سنين العمر على شريط كاسيت

محمد عبد القوي مصيلحي

فبراير ٨٧

الرواق للنشر والتوزيع

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

<u>انضم الى الجروب</u>

<u>انضم الى القناة</u>

فبراير ٨٧

(سنين العمر على شريط كاسيت)

محمد عبد القوي مصيلحي

إهداء

إلى هبة فؤاد..

التي لولاها لما كان هذا الكتاب.. ولا كاتبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إشارة

جميع الأحداث والشخصيّات والأماكن المذكورة في هذا الكتاب حقيقيّة، وأي تشابُه بينها وبين الخيال فهو من قبيل الصدفة.. فقط تم تبديل أو إخفاء بعض أسماء الشخصيّات الواردة هنا لأسباب أخلاقيّة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة..

مش فاكر آخر مرة فتحت الشبّاك دا من كام سنة.. عادةً الحاجات بتفضل على وضعها لغاية ما حد يمد إيده ويغيّرها، ولو ما حدش افتكر يعمل كدا، ممكن سنين كتير تعدّي من غير ما ناخد بالنا.. وفجأة نلاحظ الفرق، ونستغرب.. ونفكر في كلام ماينفعش يتقال بصوت عالي، لأن مش كل الناس هاتفهمه.. ومش بعيد يتقال علينا مجانين عشان مركزين مع تفاصيل، هي بالنسبة للناس التانية مالهاش معنى.. يعني مثلًا التوكتوك اللي واقف تحت العمارة، بينزّل ست كبيرة معاها ظرف أصفر حكومي، وواضح إنها داخلة مبنى الإدارة التعليميّة.. السوّاق اللي نِزل يولّع سيجارة من الكُشك، من غير ما يبطّل التوكتوك، وأغنية مهرجانات شغالة بأعلى صوت ممكن، لدرجة إنها دخلت لي الأوضة والشباك مقفول وصَحّتني من النوم.. مشهد عادي وطبيعي وكل تفاصيله معتادة.. بس أنا فاكر آخر مرة فتحتْ فيها الشبّاك دا، كان شكل العالم مختلف.. واللي كان ممكن أشوفه وأنا واقف الوقفة دي حاجة تانية، يمكن خلاص مابقالهاش وجود.. ساعتها ماكانش فيه إدارة تعليميّة جنب البيت، ولا فيه أغاني مهرجانات، ولا فيه تكاتك، ولا فيه كشك..

فعلًا العالم مكان كبير وواسع، والزمن مفيش أطول منه، والتفاصيل مالهاش أول من آخر.. اللي محدود بس هو إدراك الإنسان، شاف إيه وعاش إيه.. عشان كدا كل واحد عنده العالم بتاعه اللي يختلف عن غيره.. يعني ممكن نكون عايشين على نفس الكوكب وفي نفس البلد وفي نفس الشارع وفي نفس الزمن، بس مع ذلك كل واحد مننا في عالم.. لكن اللي أدركته إن فيه عنصر مشترك بين كل الناس مهما كانوا مختلفين.. وهو إن كل واحد العالم بتاعه بيتكون من ٣ مراحل.. المرحلة الأولى: القلعة الرملية.. هي شكل العالم ومفرداته وتفاصيله ساعة ما الواحد اتولد.. جه الدنيا لاقاها شكلها إيه؟ والناس بيعملوا إيه.. دي المرحلة اللي بتحُط أساس لشخصية الإنسان.. واللي بتدّيله تصوّره الخاص عن الأشياء، وبتشكّل إدراكه ووعيه، وبتعرّفه بالدنيا، وبتكوّن عنده رأي في الدنيا دي، وبتخلق شكل العلاقة بينه وبين كل تفصيلة من تفاصيلها.. ذوقه، اختياراته، تفضيلاته، لغته، أسلوبه، رأيه.

والمرحلة التانية: موجة البحر.. هي اللي بتصاحب مراهقته وشبابه.. المرحلة اللي الواحد ساهِم في صناعة تفاصيلها بنفسه، أو كان شاهد عليها وهي بتحصل.. أصدقاؤه، مشاويره، مغامراته، أخطاؤه، انتصاراته.. ودي المرحلة اللي بتدي الإنسان تجاربه وخبراته وذكرياته ودروسه المستفادة، لما يكون خرج من إطار الشخص اللي بيتفرج على الحياة، لمكان تاني أوسع بيتعامل فيه مع الحياة وياخد ويدّي.. والمعتاد إن دي بتكون أطول مرحلة في عمر الإنسان.

لحد ما تيجي المرحلة التالتة: كرسي الشاطئ.. شكل العالم بعد ما انت كبرت وفقدت الاهتمام والشغف والقدرة على تلقّي الجديد، وقرّرت تعتزل وترتاح.. المرحلة اللي بتشوف فيها حاجات مش بتاعتك، ناس مش شبهك، عندهم أولويات مختلفة عنك، فنون مش بتستهدفك.. تفاصيل مش قادر تتقبلها لأنها في الحقيقة مش معمولة عشانك.. زي الراجل العجوز اللي عاش طول عمره يفصّل فساتين، ودلوقت البنات بتلبس جينز وكوتشي.. دي المرحلة اللي بتقول لك سلّم على العالم واعمل له باي باي.

زمان وأنا صغيّر، كنت باستغرب إزاي جيل الآباء مش قادر يحب عمرو دياب وشايف إنه مجرد شاب مزعج بيتنطّط، وبيغنّي مزيكا غريبة، ودانه مش قادرة تتلقّاها بسهولة.. أنا بحبه وشايفه جميل، الراجل عامل أغنية حلوة، مالك مش قادر تشوف اللي أنا شايفه ليه؟ وليه لسّه بتسمع عبد المطلب وفايزة أحمد لغاية دلوقت؟ ليه مش قادر تشوف منى زكي ممثلة جامدة وقافل دماغك على فاتن حمامة؟ دا مش اختلاف أذواق.. دي حاجة أكبر، ماكنتش قادر أفهم هي إيه.. دلوقت فهمت.. دي المرحلة التالتة من حياة الجيل اللي سبق جيلي.. مرحلة كرسي الشاطئ.

لكن بالنسبة للجيل دا -جيل الآباء- هو وصل لمرحلته التالتة في زمن معقول جدًا.. الستين والسبعين عمر كافي، إن الواحد يكون أخد كفايته وشبع وتشبّع بمفردات العالم بتاعه، وعاش مرحلته التانية بالطول والعرض، أو على الأقل أخد فرصته الأكتر من كافية عشان يعمل كدا لو كان عايز.. فمش هايزعل قوي دلوقت، خصوصا وإنه مدرك قُرب الرحيل.. هو اتولد لاقى عبد المطلب بيغني، وبعد شوية بقى يحب محمد ثروت ونادية مصطفى.. دلوقت لما يسمع عمرو دياب ويتضايق، ويحس إن العالم مابقاش مكان مناسب لاستضافته أكتر من كدا، وإنهم بدأوا يطفوا النور بره، وواحد بمقشّة بدأ يكنس حواليه.. هايقرّر يقوم يحاسب ويمشي بهدوء ومن نَفسه، قبل ما يطردوه.. اللي طلع لاقاهم، مشيوا.. واللي طلعوا وهو موجود، ناس تانية أخدت منهم الميكروفون.. لمبة الجاز مش عارف ممكن يشتريها منين، ولا بتاع الجاز نفسه بقى يعدّي من تحت البيت.. الوابور اللي بيسخّن عليه الميه دلوقت مرمي في الصندرة، عشان بقى فيه حاجة اسمها سخّان.. التليفزيون بقى بالريموت، بعد ما كان راديو بس، وبلمبات.. العالم بيقول لك إحنا بنستعد لاستقبال جيل جديد.. ساعتها وانت في السن الكبير دا، مش هاتحس إن الموضوع قاسي جدًا، ويمكن كمان تكون استعدّيت للراحة ومستنّيها وأنت راضي عن حياتك.

لكن الغريب، واللي ماكُنتش واخد بالي منه قبل ما أفتح الشبّاك دا، إن جيل التمانينات اللي أنا بنتمي له.. وهو ما بين التلاتين والأربعين، كان خلّص مرحلة القلعة الرملية، وبسرعة مرحلة موجة البحر خلصت هي كمان.. وبقى له سنين عايش في المرحلة التالتة وهو مش فاهم إيه اللي حصل.

بسبب سرعة دوران العجلة في العقود الأخيرة، الحياة اتغيّرت تمامًا.. واللي شفته وعشته في سنينك دي، أبوك عاشه وشافه وهو في ضِعف عمرك.. الناس اللي اتربيت عليهم مشيوا.. والحاجات اللي كانت جزء من شخصيتك وعناصر بالغة الأهمية في فترة شبابك الأولى تلاشت.. وحاليًا انت مش سامع حواليك غير أغاني غريبة على ودنك.. مش لاقي بنطلون جينز مناسب لذوقك، والموجود كله مش شبهك.. مش عارف تتكلم مع الناس لأن اللغة اتغيرت.. مش قادر تدخل فيلم وانت مطمّن لأن عناصر الصناعة ومعايير جودتها مابقتش بتراعيك.. طعم الدنيا اختلف بطريقة انت مش قادر عليها، وهو دا الموجود.. والموجود دا مناسب جدًا لجيل أصغر منك.. مش بكتير.. بس بفترة كافية تخلّيه اتولد ونشأ بالشكل دا، فطلع مش مفتقد حاجة من الحاجات اللي انت ماكُنتش تقدر تعيش من غيرها، ودلوقت مالهاش أثر.

يعني إيه إنسان عاش حياة مشحونة بالتفاصيل والأمل والحب والإخفاقات والإنجازات.. واتربّى على حاجات وحَبّ حاجات وحلِم بحاجات.. وبقى عنده شخصية مستقلّة فريدة مختلفة.. يبص من الشبّاك مايلاقيش ولا عنصر واحد من العناصر اللي ساهمت في تكوينه؟

فكرة مدهشة جدًا إن يكون قدّامك إنسان من لحم ودم، كل حاجة اتعلمها وأثرت فيه وكوّنت شخصيته اختفت.. فتبص له كأنك شايف كائن فضائي، ماتعرفش دا جه منين واتعمل إزاي.. كأنك فتحت التلاجة لاقيت تورتاية، في عالم مفيهوش لا بيض ولا لبن ولا دقيق ولا شوكولاته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فين الطفل اللي كان بيسرّح شعره على جنب ويمشي جنب الحيط، ولو حد غريب كلّمه ممكن يتكسف ويحمر ومش بعيد يدمّع.. فين دا من الراجل العصبي المكشّر أبو خلق ضيّق، اللي بيحلق شعره بالموس والكل بيحاول يتجنبه لا ينفجر زي اللغم.. وشكلها إيه الرحلة اللي رسمت خط بين الشخصين دول؟ وتفاصيلها ومكوناتها كانت عبارة عن إيه؟.. وشكل العالم من وقتها لغاية دلوقت، كان إزاي وبقى إزاي؟

الكتاب دا مش يوميات ولا مذكرات ولا توثيق.. تقدر تعتبره character study ذاتي، بيتناول رحلتي مع عنصر واحد بس من عناصر المرحلة التانية اللي كنت فيها طفل ومراهق وشاب صغير.. وفيه كمان تحية مستخبيّة بين الفصول لبعض عناصر مرحلة قلعتي الرملية.. دا الكتاب اللي بيوصف العالم كان شكله إيه، أيام ما كان فيه بيض ولبن ودقيق وشوكولاته.. وبيوصف خطوات صناعة التورتاية اللي انت لاقيتها في التلاجة!

فكّرت في ضرورة كتابته، لما كنت بتكلم مع أحمد أخويا وجت سيرة شريط الكاسيت.. وبعدين ياسين ابنه اللي عنده أربع سنين قاطعني وسألني: إيه دا يا عمو؟

- إيه يا حبيبي؟

- البتاع اللي انت قلت اسمه دا.. بيعمل إيه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادةً الحاجات بتفضل على وضعها لغاية ما حد يمد إيده ويغيّرها.. ولو ماحدش افتكر يعمل كدا، ممكن سنين كتير تعدّي من غير ما ناخد بالنا.. وفجأة نلاحظ الفرق، ونستغرب.. ونفكر في كلام ماينفعش يتقال بصوت عالي، لأن مش كل الناس هاتفهمه.. ومش بعيد يتقال علينا مجانين عشان مركزين مع تفاصيل، هي بالنسبة للناس التانية مالهاش معنى.. بس أنا النهارده قرّرت أقول الكلام دا بصوت عالي، يمكن تلاقي له معنى، عزيزي القارئ.. يمكن يرجّعك لأيام وتفاصيل عشتها زيي وحبيتها وناسي إنك مفتقدها.. يمكن يضحّكك، ويمكن يبكيك..

ويمكن ماتلاقيش حاجة من كل دا، بس تلاقي أغنية حلوة تحب تسمعها معايا..

لا مؤاخذة، رغيت كتير قبل ما أرغي.. الكاسيت جنبك وفيه الشريط جاهز.. تقدر تدوس play.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الوجه الأول

١٩٩٧

كان عندي ١١ سنة، بس أنا كنت أصغر من كدا بكتير.. حياتي فاضية وماعنديش أصحاب ولسه سايب حلوان وناقل في شقة أكتوبر دي من سنة واحدة، بعيد عن بؤرة تجمّع عيلة الأب في محيط منطقة المعادي وثكنات المعادي وطرة وحلوان والمعصرة، وبؤرة تجمّع عيلة الأم في محيط منطقة شبرا الخيمة وبهتيم والمؤسسة.. تقريبًا حتى مفيش جيران، غير أسرة في الأرضي وأسرة في عمارة قصادنا.. ماكنتش بدأت أقرا بشكل ثابت بس كنت بقلّب في كتب محمود السعدني وأعداد مجلة الشباب اللي موجودة في البيت بشكل عابر، عشان أحس إن عندي حاجة بعملها.. ماكنتش اتحطّيت في اختبارات ولا سألت أسئلة مهمة، ولا عندي مصادر للإجابات حتى لو كنت سألت.

في الوقت دا كان حميد الشاعري بالنسبة لي حد بيعمل مزيكا، وساعات بيطلع مع المطربين يقول حتة وأحيانًا بيمثّل.. ماكنش مهم في نظري بس كنت عارف شكله واسمه مش بتلخبط فيه.. وعلى الجانب الآخر كانت أروش حاجة في العالم بالنسبة لي هي أغاني هشام عباس.. وأغنية (يا ليلة) كانت بتخلّيني أتنطط من السعادة، وأنا كنت طفل هادي جدًا، ماعنديش حاجات كتير بتخليني أنفعل بقوة..

ولما شفت كليب (عيني) في التليفزيون عند خالتي، كان طفرة سمعية وبصرية بالنسبة لطفل زيي..

واتهبلت بمعنى الكلمة.. مش مصدق إن هشام عباس العظيم عمل شريط جديد.. شريط فيه أغاني كتير زي يا ليلة وعيني.. مش هاضطر أستنى التليفزيون يذلّني بأغنية واحدة.. أنا هاشتري الشريط وأفضَل أسمع كل أغانيه للأبد.. ولو أقدر أعطّل حاسة السمع وأخصّصها بس للشريط دا، يكون أحسن.

ساعتها كنت في أولى إعدادي ومصروفي ربع جنيه، بجيب بيه كيس كشري وأنا مروّح، لأني بارجع جعان والمدرسة بعيدة، وكان الحلين اللي قدامي أركب بالربع جنيه أو أجيب كشري وأتمشّى.. عملت لأمي أراجوز لغاية ما رضيت تدّيني اتنين جنيه ونص، عشان أنزل أروح السوق.. وكان فيه هناك فاترينة بتبيع شرايط جميلة بالسعر دا.. مش زي المحل المفتري اللي بيبيع الشريط بـ١٠ جنيه و٨ جنيه.. هو عشان محل كبير وأكبر من الفاترينة يعني يفتري بالطريقة دي وماحدّش عارف يتكلم معاه؟ والغريبة إن الناس بتروح له عادي، مع إن الفاترينة جنبه مش بعيدة وشرايطها أرخص.. متخلّفين!

المهم، رحت الفاترينة العظيمة عشان أشتري الشريط العظيم، وقلت للراجل يديني شريط هشام عباس.. سألني أنهي واحد.. قلت له عيني.. قال لي دا بتاع حميد الشاعري ولسه ماجاش.. قلت له لأ هشام عباس مش حميد.. قال لي ماشي، وسابني وراح كمّل شغله.. طبعا شتمته في سري على الإحباط اللي حققه لي، وكمان جاهل وبيقاوح.. كانت صدمة إني آخد الفلوس من أمي وأنزل لحد السوق وأنا بادعي إن الراجل يكون فتح عشان ساعات بيتأخر.. ولما ألاقيه مالاقيش الشريط!

مشيت في السوق على غير هدى، وأنا محبط جدًا وحزين ومش عارف أروّح ولّا أستنى في الشارع لحد ما يجيب الشريط، ويتأكد إنه بتاع هشام عباس ويعتذر لي ويديه لي باتنين جنيه وربع بس، عشان وقفت كل دا.. وأنا بفكر هاعمل إيه لاقيت فاترينة تانية، رحت لها وأنا مقرّر إنه لو طلع بتلاتة

جنيه هاقول له يبقى لك نص جنيه، ما أنا مش هارجع من غير الشـريط.. المهم سألت الراجل شريط هشام عباس قال لي أنهي واحد، قلت له عيني.. قال لي آه حميد، موجود.. قلت له لأ مش عايز شريط حميد، أنا عايز شريط عيني بتاع هشام عباس، والنبي ماتتلخبط وتديني واحد تاني..

جاب لي الشريط اللي مكتوب عليه عيني ومحطوط عليه صورة حميد.. مش هو دا؟

قلت له أيوة هو.. كنت فاهم إن حميد وهشام أصحاب، وأكيد هو محطوط هنا مجاملة زي ما طلع معاه في الأغنية، مش حوار يعني.. أخدت الشـريط وروّحت وأنا في منتهى السعادة.. وقعدت طول اليوم أسمع أغنية عيني، وأجيبها من الأول كل ما تخلص.. سمعتها ييجي ٣٠ مرة.. وبعدين قرّرت أنقل على اللي بعدها، فكانت الصدمة..

مهما حاولوا يغيّروك أو يبعدوك عني..

إيه التهريج دا.. فين هشام؟!

الراجل ضحك عليا ولّا الشـركة هي اللي نصبت علينا كلنا، وحطّت أغنية واحدة لهشام عشان تبيع لنا بالعافية؟

وهنا ضغطي عِلي والدنيا لفّت بيّا بطريقة مخيفة، ولما بصّيت في المراية لاقيت وشي أحمر زي الطماطم.. بعدين لما هديت شوية افتكرت كل حاجة.. اسم وصورة حميد على غلاف الشريط، وكلام الاتنين البياعين.. كلها تفاصيل قرّرت أتجاهل وجودها لأني عارف الحقيقة ومش مهم أي حاجة تانية.. في اللحظة دي عرفت إن الغلطة كانت عندي أنا.. واتفاجئت بحقيقة جديدة بتقول إن فكرتنا عن العالم مش شرط تبقى هي العالم.. وفهمت خطورة اليقين التام.. واتأكدت إن عادي أي حد يطلع غلط حتى أنا.. وعشان الصدمة دي ماتتكرّرش تاني.. مضطر أبقى مرن شوية تجاه الحقائق، وأتنازل عن فكرتي الخاصة عن الأشياء، وأستسلم للأمر الواقع، وأتعايش مع الحياة اللي كل ما أثبَت على معلومة تغيرها لي!

وفضلت حوالي أسبوع مش بسمع غير أول أغنية في الشريط..

بعدها لمّا الموضوع هدي معايا شوية قلت خلاص بقى عادي، أسمع بقية الشريط أشوفه بيقول إيه.. وهنا حسيت إني كافأت نفسـي بالقرار دا..

الشريط حبيته جدًا وبدأت آخد بالي من أهمية حميد وبدأت أحبه، وحفظت أغنية (الفستان الأسود) مع إنها صعبة، ساعتها أدركت حاجة جديدة..

معنى إن فكرتنا عن العالم ممكن تكون غلط، يبقى وارد جدًا الصح اللي مانعرفوش يكون أجمل من اللي متصوّرينه.. يعني لما نفتّح مخنا ونقرّر نتعامل مع الدنيا على حقيقتها، مهما كانت الحقيقة دي غير ما إحنا كنا فاكرين، في الحالة دي مش شرط نبقى بنتنازل أو بنضطر.. وطول ما إحنا عندنا فرصة نتفاجئ، يبقى احتمال يكون اطلاعنا على حقائق الأمور إضافة حلوة ماكُنّاش عاملين حسابنا عليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

١٩٩٨

ساعة ما صدر شريط (أنا وليلى) كان حدث.. طبعًا أنا مش فاكر حجم الحدث في وقته وإن كنت أدركته بعدين، لكن أنا في وقتها كنت جزء من الحدث دون أن أدري.. بالبلدي، اتصورت وأنا مش واخد بالي.

الأول نقول أنا ليه أدركت حجم الحدث بعدين..

السبب إن سنة ١٩٩٨ كانت تاني سنة لينا في أكتوبر.. وكنت أنا ساعتها في نهاية أولى إعدادي، ورغم إن المدرسة اللي حضـرْت فيها سنة خامسة كان اسمها (المدرسة الشاملة).. بس على وقت ما أنا دخلت خامسة كانوا قفلوا استقبال تلامذة إعدادي تمهيدا لإنهاء عمل المرحلة دي في المدرسة، والاكتفاء بكونها مدرسة ابتدائي بس.. وكانت الفصول بتاعة إعدادي مخيفة بالنسبة لنا، لأن فيها تلامذة تانية وتالتة، مفيش أولى.. مفيش أي مرحلة وسيطة بيننا وبين الشوارب المفتولة والقامات الممتدة دي.. ووقت الفسحة كان محرّم علينا نعدّي من الطُرقة القصيرة، عشان لو حد فينا اتداس عليه، خلاص كدا.. ولذلك لما اتنقلت لمرحلة إعدادي، كنت مُضطر أنقل لمدرسة مختلفة بـ"يوني فورم" مختلف وتفاصيل ماكنّاش متوقعينها..

ودي كانت تالت حلقة فيما أطلقت عليه بعدين اسم (سنوات الشتات)، اللي بدأت من رابعة ابتدائي لغاية أولى ثانوي.. كنت كل سنة في مدرسة مختلفة لسبب جديد يستاهل حدوتة خاصة.. المدرسة اللي نقلونا فيها كانت مدرسة ثانوية مش شغالة، وخصّصوا لنا فيها دور مؤقتًا، لأن المدرسة الإعدادي الجديدة لسه قيد التشطيب وهاتستقبل طلبة من أول السنة الجاية..

المدرسة الثانوي دي كانت لطيفة لأنها أقرب من الشاملة، وبقى مشواري اليومي أصغر، زائد إن فيه ولد جارنا اسمه إبراهيم، يعتبر أول حد اتعرّفت عليه لما جينا سكننا هنا، اتضح بعدها إنه معايا في المدرسة الشاملة، وفي نفس الفصل.. كانت صدفة غريبة، وحسّينا إن فيه قوة عُليا عايزانا نبقى أصحاب بالعافية، والسنة دي لما لاقيت إنه اتنقل معايا لنفس المدرسة الإعدادي بقينا مقرّبين جدًا، بنمشـي سوا لحد البيت ونتكلم في أي حاجة مشتركة، وماكانش فيه حاجات كتير مشتركة، بسبب إن ماكانش عندي حاجات أشاركها مع حد.. لكن كان فيه حاجات أكتر حابب أعرف عنها، باعتباري واحد لا يفقه أي شيء وماعندوش أي مصادر للاطلاع غير راديو بحجارة، بسبب إن البيت ماكانش فيه تليفزيون، والعمارة كلها مفيهاش كهربا لسه.. أنا كنت بقول إيه أصلًا؟

آه.. ليه أدركت حجم الحدث اللي أدّى له صدور شريط (أنا وليلى) متأخر.. لأن البيت ماكانش فيه تليفزيون، والعمارة كلها مفيهاش كهربا!

المهم إن إبراهيم دا كان مهتم بالقراءة، بالمزيكا، بمسلسل هركليز.. دا واضح إنه شاب روش طحن.. إيه مسلسل هركليز دا؟ وصحيح قبل ما أنسـى، ليه كل العيال في الفصل بتقول إن سلاحف النينجا الجزء الجديد أحسن من الأجزاء اللي فاتت بكتير؟ أنا لحد ما شفت كانت الحياة حلوة يعني، إيه اللي اتغيّر؟ ما أنا هاعرف منين ومفيش تليفزيون؟ أنا بسمعهم بيتكلموا وعايز أفهم ليه.. عندي فضول..

أدركت بقى إن السبب هو اللهجة العامية اللي اتعمل بيها الجزء الأخير.. لأن العيال ماكانوش فاهمين الفصحى في الأجزاء اللي فاتت.. آه يا جهلة يا شوية رعاع!

بقى دا السبب؟

ساعات كنت بروح عند جاري دا نذاكر سوا أو نتفرّج على البرامج التعليميّة في التليفزيون، عشان الامتحانات كانت قربت.. بس أنا كان عندي سبب تاني خفي، هو إني كنت عايز أخرج من البيت أروح بيت حد تاني فيه كهربا وفيه تليفزيون وفيه تلاجة.. أي civilization من أي نوع!

كنا بقى نذاكر شوية، ونسمع شوية.. كان بيسمع ناس كتير من البديهي إني معرفش معظمهم.. من الخليج ومن لبنان ومن العراق.. ماشي، ورّينا.. لاقيت الباشا راح مطلّع (أنا وليلى) من كرتونة الشرايط، وعرفت إن فيه حد مهم اسمه كاظم الساهر.. كنت شفته قبل كدا في أغنية في حفلة من كام سنة، بس ماكُنتش أعرف حجمه ولا أهميته.. ماشي نسمع..

إلا أنت..

إيه المزيكا الفخمة دي، وإيه الأجواء الملكيّة دي؟

الموضوع كبير، بس ثواني.. هو أنا ليه مش فاهم هو بيقول إيه؟

أنا كنت بفهم سلاحف النينجا عادي وهي بالفصحى، وقريت علاء الدين والمصباح العجيب بتاعة كامل كيلاني وفهمتها كلها.. ليه مش فاهم الأغنية؟ كنت بحسب الفصحى أسهل من كدا، وإني خلاص اتعلّمتها، طِلع فيها كلام كتير لسه محتاج يتفسّر برضه، شكلها مش سهلة، وشكلنا كدا لسه ماعرفناش كل حاجة في الدنيا.. بس ليه رغم إني مش فاهم معظم الكلام، متفاعل ومبسوط؟

أشهد

ألا امرأة تجتاحني

في لحظات العشق كالزلزال

تحرقني تغرقني تشعلني تطفئني

تكسرني نصفين كالهلال

انت بتقول إيه؟ -بصوت محمد رمضان- بس جوه عقلي طبعًا، لأن أي تلميح عن إني مش فاهم هايبقى شكلي وحش قدام الواد، ويعتبرني واحد من الرعاع.. بس فعلًا عايز أفهم، نعمل إيه؟.. الكلام دا مش هايحصل دلوقت ولا كمان شوية.. كل اللي نقدر نعمله دلوقت، نكتفي بإننا مبسوطين ونتظاهر بإننا فاهمين وخلاص، كأنك بتسمع هندي ولّا فرنساوي ولّا أي حاجة.. ما دام مبسوط، ماتسألش كتير. بالنسبة له، هو كان شايف إن سلاحف النينجا الجديد ساذج، وإنه كان أحسن لما كان بالفصحى.. بالنسبة لي ماكنتش شفت الجديد، بس فاكر إن القديم كان عاجبني زمان قبل ما نيجي الشقة دي، لما كان لسه عندنا تليفزيون صغير أبيض وأسود.. وأنا كنت متفق مع رأيه من غير ما أحتاج أشوف، ولمّا في مرة كنت معزوم عنده على الفطار وجه وقت الكارتون، جابه لي عشان

أشوف الفرق بنفسي.. وأدركت فعلًا إن الجديد اللي بالعامية دا مبتذل وسوقي ودمه تقيل، وأقل من اللي فات.. وأخيرًا بقى عندي مادة للتريقة أقدر أعبّر بيها عن رأيي لما الموضوع دا يتفتح تاني في الفصل، لأني كنت بتّريق في المُطلق.. ولاجل الحظ الموضوع فعلًا اتفتح، وقبل ما أدلي بجردلي افتكرت (إلا أنت)، الأغنية اللي مافهمتش نص كلامها.

سكتت وقلت لنفسي:

لما أفهم الأغنية دي أبقى أرجع أتريق عليهم بضمير مستريح.. متهيألي الأجازة هاتكون فترة كافية عشان أقدر أترجم الكلمات دي.. بس لما الدراسة ترجع ساعتها مش هاسمّي على حد فيهم.. الرعاع!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٩٩٩

السنة الرابعة من ملحمة الشتات.. والتالتة في أكتوبر.. والتانية في المرحلة الإعدادية.. والأولى في المدرسة الجديدة اللي أخيرًا شطّبوها.. مرة قعدت في حصة فاضية أفكّر، وقارنت بين المدرسة الجديدة دي والمدرسة الثانوي القديمة اللي قضيت فيها سنة أولى، وبين اللي كان ممكن يحصل لو كمّلنا في الشاملة.. الشاملة بعيدة، بس الجديدة بعيدة برضه، الاتنين جنب بعض، والجديدة مفيهاش نباتات وزرع زي الشاملة، مع إنها لسه جديدة.. الثانوي واسعة، بس الشاملة كانت واسعة برضه، وكان فيها مساحات حرّة ومساحات متقسّمة ملاعب كورة وتنس.. فعلا الشاملة كانت مدرسة مبهجة، عشان كدا استغربت جدًا لما في نهاية سنة خامسة لاقيت إن دا رأيي لوحدي، وإن العيال ماصدقوا إنهم هايتنقلوا مدرسة تانية.. وقتها مافهمتش إيه موضع الخلل اللي كان مخليني شايف الموضوع غير الناس كلها؟ بس ماركزتش قوي.. وسنتين كانوا فترة كافية عشان أنساه.

والسنة دي كانت مختلفة شوية عشان فيه إضافات مهمة حصلت لي فيها.. ناس دخلوا حياتي، منهم ناس لسه أصحابي لغاية دلوقت.. وحاجات اتعلمتها، بعضها لسه مكمّل معايا.

في بداية السنة الدراسية دي، اكتشفت إن مجتمع قراءة روايات الجيب موجود، وإن أنا مش لوحدي ولا إحنا جزر منعزلة، زي ما كنت متصوّر بحكم طبيعة نشأتي وكثرة التنقّلات، وبالتالي طبيعة العلاقات اللي ماكُنتش بمر بيها.

واكتشفت إني ممكن أقابل ناس بتقرا الحاجات اللي بقراها وأتكلم معاهم وأسمع رأيهم، ونبدّل القصص دي ونتغلّب على حواجز الوحدة وعدم القدرة على شراء القصص بشكل دوري، لبعُد المسافات وقلّة الفلوس.. وكنا عاملين قوانين صارمة جدًا للتبديل، مش كل القصص زي بعض، فيه قصص بتتبدّل بقصتين وساعات بتلاتة، حسب طبيعة العدد وحجمه وكونه عدد خاص أو عادي.

كمان اكتشفت إن عمرو دياب ناجح جدًا وناس كتير بتسمعه.. آه والنعمة دا حصل في ٩٩ لما لاقيت كل الناس بتسمع (قمرين)، وتقريبًا دا كان أول تريند ألاحظه، قبل مايكون فيه حاجة اسمها social media وقبل ما نعرف الإنترنت وقبل حتى النوكيا ٣٣١٠.

السنة دي كمان هي السنة اللي الكهربا دخلت فيها عمارتنا، لما مجموعة من السكان الأصليين للعمارة، على رأسهم عم سيد، أول شخص يسكن في العمارة قبل مننا، جابوا كابل ضغط عالي وأخدوا وصلة من صندوق عمارة قريبة بالجهود الذاتية، وقعدت أقول لأبويا دا غلط، وشركة الكهربا هاتعمل غرامة لما تيجي توصّل لنا، قال لي لأ مفيش الكلام دا، وبعدها بشهر جت شركة الكهربا اعتمدت التوصيلة، وركّبت لها فيوزات وعلبة.

وقتها كان جميل إني أقدر أسمع براحتي على الكاسيت السانيو دون الحاجة لشراء حجارة بعد الآن.. دلوقت أقدر أوصله بالكابل، لأن قبل الكهربا ماكنش مسموح غير باستخدامه راديو، بسبب إن الكاسيت فيه موتور بيستهلك البطارية أسرع، بس كان ممكن أسمع ساعة على الكاسيت الأحمر اللي فيه الكشاف، لأنه دا بطاريته قابلة لإعادة الشحن.. كمان كنت قبل الكهربا مضطر أخلّص الواجب والمذاكرة أول ما أوصل البيت، عشان أوفّر كل نقطة ضوء ينفع أقرا فيها، لأن بالليل كان حرام أقرا

قصص على الكشاف، بس لو عايز أذاكر ممكن.. دا المنطق اللي كان بيحرّك حياتي وقتها، عشان كدا دخول الكهربا كان حدث، وعمل فرق جوهري في شخصيتي في الوقت دا..

ساعتها كانت أول أجازة أشتغلها في المصبغة..

المصبغة دي كانت مصنع صغيّر بيصبغ الخيوط، صوف وقطن وحرير صناعي، لصالح مصانع السجاد غالبًا.. مكان حيطانه مالهاش لون محدّد، ومليان أحواض ميّه وعَصّارات ومناشر وناس مبلولين، ويدخل ماجد ابن صاحب المكان للمكتب الإزاز بتاعه ويقفل على نفسه الباب، ويبدأ يركّب مجموعة الألوان اللي هانشتغل بيها النهارده، مجموعة أجولة صغيرة وأكياس مشمع وبرطمانات طويلة، كل واحد فيه بودرة من لون مختلف، وهو بيحسب النِسب على الميزان ويخلط الألوان ببعضها ويعمل التركيبة، ويطلّع من الملف ورقة عيّنة باللون المطلوب يبص لها، ويبص لخليط البودرة العجيب متعدد الألوان، فيعرف إنه صح.. ياخد اللون ويدخل بيه على مكتب الحاج عشان يعتمد قبل الشغل.. الحاج محمد محمد محمد خميس، كان راجل طيب بس مخيف.. مسن جدًا وضخم جدًا وطريقة تصرّف ماجد ابنه معاه كانت بتوصّل لنا إحساس بالهيبة مجهول المصدر تجاهه.. ماجد كان كبير وأصلع وبشنب، يعني قفِّل كل مراحل الرجولة، وكمان متجوز وعنده ٣ عيال.. بس ساعة ما ياخد بريك ويحب يولّع حجر معسل كان بيستخبى ورا الماكينات عشان أبوه مايلمحوش.. بعد فترة طويلة اكتشفت إنه بيعمل كدا عشان التدخين في مكان مغلق، مليان خيوط وكيماويات، جريمة وخراب بيوت محتمل، وإن دا مش أدب دي قلة أدب، لكن أنا كنت بحس إنه محظوظ عشان أبوه ماسمّاهوش محمد، وقرّر يكسر بيه العجلة المتوارثة من أجيال، ويتمرّد على نمطيّة تفكير العائلة الغريبة دي.. الإنسان اخترع الأسماء عشان يسهِّل تمييز الأفراد، مش عشان يعقّد الدنيا أكتر.

شغلي في المصبغة كان بيوفّر لي يومية خمسة جنيه ونص، بيصرفوا لنا منها كل يوم جنيه وقت الغدا، والباقي بنقبضه يوم السبت آخر النهار.. ناخد الجنيه بتاع الغدا ونروح عند أم محمود، نشوفها عاملة إيه النهارده.. كانتين خشب بيننا وبينه مصنع صغير، فيه تلاجة بيبسي وفيه بوتاجاز بعين واحدة، وفيه أي حاجة ممكن تلاقيها في أي كُشك، بالإضافة لإنها ساعات بتطبخ أو بتدمِّس فول أو تعمل شوربة عدس بالشعرية أو تقلي بيضتين، على حسب الأحوال.. كانت وجبتي الثابتة في الفترة دي بيضتين مقليين، كدا ٥٠ قرش.. ورغيفين عيش ببريزة.. وإزازة ميرندا برتقان حجم ١٩٢ مل القديم، وكانت بـ٤٠ قرش وقتها.. أفضل طريقة لإنفاق واحد جنيه مصري.. على آخر الأسبوع كنت باقبَض ٢٧ جنيه، ودا كان مبلغ طائل بالنسبة لي ممكن أحقق بيه أحلام كتير، وعرفت سكة الفجّالة واتعلمت أركب أتوبيس ٨٠٤ اللي بيروح رمسيس عن طريق الهرم وميدان الجيزة، ودي كانت الطريقة الوحيدة للخروج من أكتوبر، قبل الميكروباصات وقبل الدائري والمحور.. لذلك كان بيقطع المشوار في ساعتين ونص وكانت تذكرته بـ٧٥ قرش.. وكان هو خط الأتوبيس الوحيد اللي بيروح رمسيس، بجانب خط ٤٤٨ اللي كان آخره ميدان الجيزة وبـ٥٠ قرش.. عشان كدا اللي رايح الجيزة أو راجع منها كان أهم دعاء لازم يفضل يردّده، إن ٤٤٨ ييجي الأول عشان يوفّر ربع جنيه، مايبقاش بهدلة وخسارة..

اللي عرّفني طريق الخروج من أكتوبر لوحدي من غير أبويا وأمي، كان صديق أكبر مني بسنتين اسمه فريد، ومنه عرفت إزاي أروح الفجالة وأجيب القصص وأرجع تاني.. مرة رحت معاه وبعدين

بقيت أروح لوحدي.. وفاكر إن أول مرة أروح لوحدي كانت مرة ميلودرامية جدًا.. كان يوم الأحد أجازتي من المصبغة وصاحي بدري ومعايا فلوس ومزاجي حلو والجو حلو، ونزلت لاقيت أتوبيس بسرعة، وكان فاضي وقعدت وطلّعت من جيبي قصة أقراها على ما نوصل.. ولمّا وصلت اكتشفت إن المكتبة هي كمان أجازتها كل يوم حد مش جمعة.. لغاية دلوقت مش متأكد هل كان غباء مني إني ماعملتش حسابي وسألت على يوم أجازتهم، ولّا هو فعلا حظ سيء.. بس الأكيد إني عرفت يوم أجازتهم بطريقة لا يمكن نسيانها.. واليوم دا قرّرت إني مش هارجع البيت متنكد، وإني هاجيب حاجة جديدة، واشتريت شريط (قمرين).

طال انشغالي ويّاك يا غالي

وأنا إيه جرالي خلاني أدوب في هواك

إشمعنى انت حبيتك انت

إزّاي وإمتى شغلت روحي معاك

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان بالنسبة لي فكرة إن الناس بتتفرّج على أغنية واحدة في التليفزيون، وانت بس اللي عارف الشريط كله وسمعته بالكامل، دي كانت فكرة سحريّة.. لسبب ما كنت متخيّل إن كل الناس اشترت الشريط سمعت قمرين ورمته، وأنا بس اللي كملت للآخر!

لاقيت دويتو لعمرو مع الشاب خالد اسمه (قلبي).. عظمة المزيكا في الافتتاحية خطفتني، وقتها ماكُنتش سمعت مزيكا في حياتي بالتنوع الكافي، لكن كنت عارف الراي وبحبه.. وكانت ميزته بالنسبة لي إنه شرقي مش غريب على ودني، وفي نفس الوقت مبتكر ومليان مفاجآت.. وكنت أعرف الشاب خالد بأغنية (Didi) من برنامج العالم يغنّي، وبانوراما فرنسية.. والسنة اللي قبلها كنت سمعت له (عبد القادر) مع فضيل ورشيد طه، من الحفلة اللي عرفت فيما بعد إن اسمها كان Un, deux, trois, soleils أو "حفل الشموس الثلاثة".

ولاحظت حاجة غريبة جدًا، إن لحن (قمرين) الأغنية الشهيرة، هو نفس لحن (قلبي) مع الشاب خالد، الأغنية الأشهر منها، ومع ذلك ماحدش علّق على الموضوع دا، يا ترى ليه؟

أملي اللي بحلم بيه شايف عيونك فيه

العمر إيه معانيه.. العمر ليلة

قلبي الوحيد بلاقيه انتي الوحيدة فيه

انتي اللي دوّبتيه.. بين يوم وليلة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولا في التليفزيون ولا في الجرايد ولا في الشارع.. عمْر ما حد جاب سيرة النقطة دي، ولما حاولت أسأل الناس اللي سمعت الشريط، اتفاجئت إنهم بيقولوا لأ، الكلام دا مش مظبوط، انت ليه بتقول

كدا؟.. قلت أكيد مش فاكرين.. سمّعتهم الأغنيتين عشان يفتكروا، أنكروا تاني وقالوا إنهم لحنين مختلفين.. جبت ناس ماسمعوش الشريط خالص ولا عندهم عِلم ولا تحيّز مسبق، وخليتهم يسمعوا الأغنيتين.. برضه أنكروا إنهم نفس اللحن.. كنت بتعامل مع الموقف بمنهجية علميّة مش مناسبة لسنّي، بالذات وإن ماحدش علّمها لي.. بس هو تقريبًا الاستفزاز الناجم عن هدم المنطق، بيقدر يخلي الإنسان يكتشف في نفسه مهارات مايعرفهاش.

كانت صدمة بالنسبة لي، إزاي الناس مفتّحة ومش شايفة؟ والحاجة قدّام عينيها ووذانها وبينكروها.. طب يكونوا مش فاهمين في المزيكا مثلًا، سمعهم ضعيف، مش عارفين إيه هو اللحن وفاكرينه الكلمات ولّا التوزيع؟

الموضوع كان هايجنني وفضل معلّق معايا طول الأجازة، لغاية ما رجْعِت الدراسة ودخلنا توشكى، ووقتها جت لي فكرة، ورحت لواحد معايا في الفصل كان من ٣ سنين معايا في المدرسة الشاملة برضه، وقلت له: إيه رأيك في المدرسة دي.. هي أحلى ولّا الشاملة ولّا المدرستين الإعدادي التانيين؟ قال الشاملة طبعًا، يا ريتنا كنّا كمّلنا فيها وماتنقلناش، دا كفاية الزرع والملعب بتاعها.. قلت له تمام.

ودي كانت بداية معرفتي لحقائق مهمة جدًا.. مش شرط عشان انت صاحب الحق هاتكسب في نقاش وتقنع اللي قدامك، الناس سمعوا الأغنيتين وقرّروا إن اللحن مش واحد، لأن مش معقول عمرو دياب يغلط غلطة زي دي، وكل واحد فيهم قال لنفسه أكيد اللي أنا سمعته دا مش حقيقي.. زي ما العيال فكّروا إنهم زهقوا من المدرسة اللي بيصحوا لها بدري، ويقعدوا فيها بالساعات يسمعوا ناس مملة بتتكلم في مواضيع مش مهمة، فكانوا عايزين يمشوا ومش مهم إنهم رايحين مدرسة تانية، ومش مهم مزايا المدرسة دي.. هما زهقوا وبس، بالتالي أي مدرسة هاتبقى أحسن من الشاملة.

وسبت الواد ومشيت وأنا متأكد إن فيه نوع جديد من الغباء الإنساني ماكُنتش أعرفه قبل كدا، بيخلي الإنسان يطفي عقله وحواسه ويعيش زي الحيوان.. يبقى شايف ومش شايف، سامع ومش سامع.. تقدر تضحك عليه بمنتهى الهيافة، وتبيع له بتنجان أبيض على إنه أسود وتقول له ما هو أسود قدامك أهو، ويصدّقك.. ويروح يقنع الناس إنه أسود.. وافتكرت كل مرة قلت فيها رأي، والناس قالت عكسه، والحياة أثبتت صحة رأيهم.. زي ساعة ما شركة الكهربا جت اعتمدت الوصلة، وخلّتها رسمية بدل ما تعمل قضية ومشكلة.. وأدركت إن الغلط حظه حلو لأنه كتير وسهل يتكرر، وإن مش شرط عشان هما كتير يبقوا صح.. وإن عشان أروح الفجّالة لازم أغيب يوم من المصبغة، وأستحمل الخصم وتهزيء الحاج.. وإن ماجد له أخ اسمه محمد.

بعد الحكاية دي بسنين قريت لقاء مع شريف تاج ملحّن الأغنيتين، وفي وسط الكلام جت سيرة شريط قمرين.. وساعتها قال ما معناه، إن الشاب خالد لما سمع لحن قمرين عجبه جدًا، وقرّر يعمل الأغنية الدويتو بينه وبين عمرو على نفس اللحن، بس يزوّد عليها وتريات وإيقاعات معيّنة في التوزيع، هو اللي هايكتبها بنفسه عشان تبقى روحها راي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٢٠٠٠

رقم استثنائي، ناس قليلة اللي يقدروا يشوفوه، لأنه مابيحصلش غير مرة كل عشر قرون.. كنت معتبر نفسي محظوظ إني من الناس اللي حضروا الحدث دا.. دي كانت السنة اللي اتنقلت فيها مدرسة توشكى، والمرة دي النقل كان بطلب مني، بعكس كل السنين اللي فاتت، والسبب في طلبي دا، كان إني عرفت في أواخر سنة تانية إن فيه مدرسة إعدادي جديدة هاتفتح اسمها توشكى، هاتكون أقرب لي من المدرسة دي، وفكرة إنك تبقى ضمن أول دفعة من مدرسة جديدة دي حاجة ممتعة، كنت جرّبتها السنة اللي فاتت وحبيت أكررها.. بس الأهم من كدا هو إن نُص عدد مدرسين المدرسة دي هايتنقلوا، ومن ضمن الأسماء اللي اتقالت في كشف المنقولين كان أستاذ عبد السيد مدرس الرياضيات، اللي كان أقرب مدرس ليا وكنت برتاح للرياضيات في وجوده، وهي كانت سخيفة وصعبة.. زائد إن مدرس العلوم اللي كان بيدخل ينام موجود، ومدرس العربي اللي بيدخل يشرب شاي موجود، ومدرس الدين اللي فرحان بخرطوم الكهربا البرتقاني موجود.. تقريبًا كنت بدأت أنحّس من كتر التنقّل بين المدارس، عشان كدا مافكرتش كتير قبل ما أسجل اسمي في كشف الطلبة اللي عايزين ينضموا لتوشكى.. أبويا ساعتها تنفس الصعداء لما عرف إنه نفس اليونيفورم.. وإن النقل سهل جدًا مفيهوش أي مشكلة، تعال امضي على إقرار واستلم الملف، روح سلمه في المدرسة التانية وخليهم يتصلوا بينا يأكدوا على الاستلام.. حاجة في منتهى الحلاوة.

دي السنة اللي اكتشفت فيها إن فيه بنات معانا في المدرسة.. طب ما أنا على مدار الخمس سنين بتوع ابتدائي، كان بيبقى فيه بنات معانا في نفس الفصل، وماحصلش إن البنات والصبيان انفصلوا عن بعض غير مع بداية أولى إعدادي.. أنا ليه بدأت آخد بالي فجأة إن فيه معانا بنات في المدرسة دلوقت بالذات، وإن فيه بنات في الدنيا عمومًا؟

كمان دي السنة اللي أخدنا فيها درس الأحياء الشهير في حصة العلوم.. وساعتها مجموعة جديدة من العيال اللي اتعرّفت عليهم، وكوّننا شلة صغيرة من أربع أفراد، قرّروا يطلعوا عند مس رانيا في الفسحة أوضة المدرسات.. عشان يطلبوا منها تدينا درس علوم التيرم دا، وتلم لنا المنهج بشكل سهل، رانيا كانت بتدرّس في فصول البنات، لكن إحنا كان عندنا مستر محمود، فأكيد انت متفهّم وجهة النظر.. ساعتها طلعت معاهم وخلينا محمد أمين هو اللي يتكلم بما إنه صاحب الفكرة.. وخلينا الواد ريشة يقف على الباب يراقب لنا الطريق، معرفش ليه هو اقترح كدا.. غالبا قلق يدخل معانا، وقلنا له خليك، ووقفت أنا وهشام ورا أمين بخطوة زي طقم الحراسة.. هشام بيحرك طرف السجادة ببوز الجزمة ومستني الموقف العبثي دا ينتهي، وأنا عيني شوية على تعبير وشها المزيّف، وهي بتهز راسها بشكل أكاديمي عايز ينتصر للعلم.. وشوية على جيبتها القصيرة ورجليها اللي بيفركوا في بعض من التوتر.

كمان دي السنة اللي ابتدت فيها صراعاتي مع البيت، فلوس الشغل في المصبغة بتتصرف يا إما على القصص، يا إما على الفيديو جيم اللي كنت لسه عارف سكّتها جديد، وبالذات لعبة the king of fighters اللي اتحوّلت بالنسبة لي لإدمان.. كنت شايف إن دا طبيعي، حقي.. أنا عمري ما رُحت ملاهي، ولا كان عندي ذكريات وصور في المصايف، ولا زُرت الهرم، ولا ركبت جمل، ولا رحت

جنينة الحيوانات، غير مرة واتبهدلنا مشي ورجعنا ميّتين من التعب ومن الجوع، وقابلنا عمتي في الأتوبيس بالصدفة، يعني لك أن تتخيل اليوم.. ومرة تانية أيام حلوان رحنا الحديقة اليابانية، وكان أحمد لسه متعلّم المشي، أول ما دخلنا من البوابة، بيخطّي أول خطوة.. ياللا يا أحمد.. اتكعبل في طوبة صغيرة.. وقع على الأرض بدماغه زي ممثلين البانتومايم.. فتح دماغه وقعد على الأرض يعيط، راح أبويا شايله ولفّينا ورجعنا.. حصة الألعاب اللي في حياتي كنت بنضّف فيها الحوش.. ودي كانت أول فلوس أكسبها بتعبي، المفروض أعوّض نفسي عن اللي اتحرمت منه، وفي الآخر دول كام جنيه مش ثروة، ولا أنا كنت طفل متطلّب، أنا مارحتش اشتريت بلاي ستيشن مثلا ولّا حتى أتاري زي العيال التانية.. مفيش حاجة للمساعدة في البيت؟.. أو ذاكر، انت مابتذاكرش، مابقيتش أشوفك ماسك كتاب.. ما أنا لسه مخلص قدامك! انت كنت بتعمل الواجب، هو انت فاكر هي دي المذاكرة؟.. أو كفاية قراية بقى، الساعة بقت سبعة.. ونور الشقة كله يتطفي عافية، ومايبقاش فيه غير التليفزيون بس هو اللي عامل جو أزرق شبه مكاتب الجواسيس، دا عشان ماقراش أكتر من كدا لا نظري يضعف.. أو كفاية الكاسيت اشتكى، انت عارف دا معايا بقى له كام سنة؟ انت بتضيّع عمره كدا ارحمه شوية..

في الوقت دا كنت اكتشفت حاجة لطيفة اسمها ووكمان.. ودا عبارة عن جهاز كاسيت صغير حجمه يادوب على قد مساحة الشريط، والمفاتيح بتاعته صغيرة، ووزنه خفيف وبيشتغل بالبطاريات.. وأحسن حاجة فيه إن له سماعات خاصة تقدر تسمع عليها لوحدك، من غير ما حد يشتكي ولّا يقول لك الكهربا ولا يقول لك وطّي الصوت، ولا أي حاجة بقى.. والأحسن من كدا إن فيه منه صيني ورخيص وبيتباع في السوق، ولما سألت عليه طلع بعشرين، خمسة وعشرين جنيه، حاجة زي كدا.. والجهاز كان لونه فخم، دهبي في فضي، تحس إنه تكنولوجيا جاية من الفضاء.

السنة دي ماكانش حد عاجبه حاجة منّي، ولا أنا عاجبني كل اللي بيحصل دا، وبدأت أزهق وبدأت أحس إن كدا كتير.. ومش فاهم كل الغضب المتبادَل دا مصدره إيه، ولا فاهم مالهم بقوا مزعجين أكتر من الأول ليه؟.. ولما لاقيتها عمالة تخرب والحياة بقت صعبة زيادة عن اللزوم، قلت يبقى هو دا الوقت المناسب.. أنا هاطربقها على دماغهم وأرزع لهم التقيلة.. أنا مش داخل ثانوية عامة!

قلت الجملة دي، وحطيت سماعة الووكمان على وداني، ودُست play..

وفجأة النور ضرب في وشي، قوة عُليا شفطتني كأني بتخطف في سفينة فضائيّة، أو وقعت في نهر الزمن.. المادة والطاقة وكل الحاجات اللطيفة دي دخلوا في بعض، وحسيت إن فيه شمس مدفيّة قلبي وبتشحنه لحد ما النور خرج من عينيا.

ليلة يا حبيبي

يا حبيبي بس ليلة

ليلة لو تيجيني

هاتلاقيني عمري ليلة

أنا بحب الأغنية وشفت الكليب بتاعها كتير في التليفزيون، بس ماكنتش متوقع إن الطبلة هاترن في ودني الرنّة دي، ولا صوت سميرة هايقّطع في قلبي جامد كدا.. شايف قدامي ناس كتير ملمومين حواليّا، معرفش مين دول.. بيتحركوا slow motion وبيحاولوا يتكلموا، بس حركتهم تقيلة وصوتهم مش طالع، كأني في عالم وهما في عالم.. وكل إدراكي تلخَّص في صوت.. صوت ناعم مستولي على وعيي ومحاوطني من كل ناحية.. كانت بتغنّي لي أنا بس.. ماحدش يقدر يشوفها ولا يسمعها غيري.. وغمّضت عيني عشان أشوفها، وشفتها.. وفي لحظة واحدة زي التقاء شرارة عشوائية بحفنة من البارود، فجأة عرفت إني بحب الست دي.. وبحبها بشكل مختلف عن الطريقة اللي أي معجب هايحب بيها فنانة.. أنا بحبها!

بيتنا ماكنش فيه شرايط كتير، عشان كدا ماكانش فيه مكان مخصّص لحفظ الشرايط، بس أنا استخدمت دُرج فاضي في الشوفينيرة، وعشان مايبقاش في الدرج أربع شرايط بس، لميت كل شرايط البيت.. شريط لأركان فؤاد وشريط لرجاء بلمليح اللي كان فيه أغنية (بتلوم عليا ليه)، و(القلب الطيب) بتاع فؤاد.. (في عشق البنات) بتاع منير.. (تملّي معاك) عمرو دياب.. وكام شريط قديم من أيام سفر أبويا متسجِّل عليهم أغاني من الراديو.. وفيه كرتونة فيها شريطين كدا ماكنتش أعرف بتوع إيه، واحد فيهم مكتوب عليه "بغداد – أبريل ١٩٨٣" والتاني "القاهرة – فبراير ١٩٨٧".. لميتهم مع الشرايط وعملت بيهم صف.. أول صف.

وبدأت أدوّر على صور سميرة في المجلات القديمة، تحت مساند الكراسي ومراتب السراير، وأقصها وألزقها على حيطان الأوضة، وأشتري لها بوسترات، وأفضل أعيد وأزيد في أغانيها، وأقعد أألف سيناريوهات عبثيّة جوّه خيالي، عن كل مرة اتقابلنا، قلنا إيه، وعملنا إيه، ورحنا فين.. وكتبت لها أغاني، عشان لما أقابلها أسمّعها.

وقتها كان انتشر مصطلح التنفيض، إنك تسمع الكلام اللي مش عاجبك وتريّح اللي قدامك وتهز راسك وتقول له حاضر، وأول ما تدوَّر وشك تنفض ودانك من كل الكلام دا، كأنك ماسمعتش حاجة.. ودا نوع من أنواع التكبير والتطنيش كانوا لسه مخترعينه قريب.. بالنسبة لي ماكانش عاجبني الكلام دا، أنا محتاج أقول آه وأقول لأ، ولو ماعملتش كدا فيه عفريت تحت جلدي هايجنّن أهلي ويخلّيني بتشال وبتهبد، وأنا مش عايز الانفعالات المبالغ فيها دي.. وبما إن مفيش فايدة من النقاش، وإن عمرك ما هاتقدر تغيّر رأيهم أو تقنعهم بفكرة، إذن الحل الوحيد هو الووكمان.. أنا مش سامع، بتقولوا حاجة؟ وطبعًا دا خلى الووكمان في حد ذاته سبب جديد من أسباب الصراع الأبدي..

بعدين لما رفَعْت السمّاعة من على وداني، لاحظت إن الفترة اللي فاتت دي حاجات كتير حصلت، أبويا غضب وقفش وخاصمني، أمي هايحصل لها انهيار عصبي، وبعتت تجيب خالي يتكلم معايا ويعقّلني، وماحدش فاهم حتى أنا ليه قرّرت أعمل كدا.. حسيت إني كنت أناني قوي، هما من حقهم يعرفوا اتصدموا ليه.. لما فكرت شوية لاقيت إن الكلام مش هايغير حاجة، وإن دا مجرد توضيح موقف، فماكانش فيه حاجة تقلل من الإيجو الرهيب -اللي كان بدأ يتنامى عندي مؤخرًا لسبب ما- في إني أحكي لهم.

ووضّحت لهم رأيي في مسألة الثانوية العامة، ودراسة مواد كتير مابحبهاش، ومصاريف وتعب وضغوط نفسيّة مع مدرّسين هما كمان مش طايقين الهدوم اللي عليهم، وحالة من الهستيريا بتغلّف كل تفاصيل حياتي.. عشان إيه؟ أدخل كلية أربع سنين في نظام تعليمي فاشل.. أربع سنين من التعاسة بدرس مواد صعبة جدًا تحت رحمة دكاترة ساديين نرجسيين وعندهم كل الأمراض، ليه؟ عشان الوظيفة؟ أنا معايا في المصبغة ناس في ثانوية عامة وناس في جامعة وناس متخرجين من جامعة، القهوة بقابل عليها ناس محامين ومحاسبين متخرجين من خمس سنين وعشر سنين، وشغّالين في سوبرماركت ومصنع بوزو.. إيه العبث دا؟ أنا مش هاتعلّم غير حاجة بحبها، ولازم أتعلمها بطريقة بحبها، وإلا هاكره الحاجة اللي بحبها وهاكره حياتي.. واضح؟

لما لاقيت الكلام كله بقى اخزي الشيطان، حد يعمل كدا، ماتخيّبش أمل أمك، ارجع عن اللي في دماغك.. كلام يتقال لواحد رايح يقتل أو يحرق قرية، فحسّيت إني عملت اللي عليّا تمامًا، وحطيت السماعة تاني ودُست play.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فاكر إني من كتر حبي لسميرة وتركيزي مع كل حرف خارج منها، لاحظت ملاحظة غريبة جدًا، إن الست دي بتنطق حرف اللام بطريقة مبتكرة! مفيش ست في الدنيا بتنطق حرف اللام زي سميرة.. مرة قلت الملاحظة دي لواحد من رواد القهوة، اتعودت أقابله في الماتشات لما أقعد مع أصحابي، ونشأت بيننا علاقة سلامات من بعيد، اتطوّرت لفتْح مواضيع، وتقريبًا الراجل لاقاني مسلّي أو ارتاح لسبب ما في الكلام معايا وأنا في السن دا، فبقينا شبه الأصدقاء.. ممكن نلعب طاولة وممكن نتكلم في أي حاجة عامة، لو تصادف وجودنا في المكان في نفس الوقت.. كان يساري طيب وعضو في حزب الكرامة وقتها، لما كان اسم حمدين صباحي حاجة تدعو للتفاؤل.. ساعتها فاكر إن صديقي دا قال لي بالحرف الواحد: طبعًا.. دا عبد الوهاب نفسه قال عليها كدا! سألته وأنا مستغرب: قال إيه؟ صوتها حلو يعني؟ قال لأ، قال عليها أحسن ست بتنطق حرف اللام، ماكانِتش لسه بقت ست، كانت بنّوتة لسه جاية من المغرب، وقال عليها كدا.

اتبسطت من الصدفة، وحسيت إن سماعة الووكمان لما عزلتني عن العالم بكل الدوشة وكل الأذى وكل الزحمة، وصلّتني لحالة من السمو، أقدر معاها أعرف حاجات من النوع دا لوحدي.. متهيألي دي كانت من المرات النادرة اللي حسيت فيها بالرضا عن نفسي وعن العالم، وكنت ناوي أطلب شاي ساعتها، بس غيرت رأيي وطلبت سحلب عشان أحتفل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠١

آخر سنة من سنوات الشتات، كانت أولى ثانوي.. في المدرسة اللي قرّرت أدخلها بعد محاولات عبثية من أهلي، لفهم سبب عدم رغبتي في التقديم في ثانوية عامة زي كل البشر الطبيعيين.. طبعًا سبب عبثية المحاولات كان من الطرفين، هما مش مهتمّين يفهموا أسباب، هما عايزين الوضع يتغيّر، وأنا مش مهتم برأيهم، أنا هاعمل اللي عاجبني وماعنديش طاقة أفهّم حد مش عايز يفهَم..

والأسباب اللي خلتني أقرّر أدخل (مبارك/كول) بالذات كانوا كتير، لكن أنا هاذكر منهم تلاتة بس.. السبب الأول هو نظام الدراسة، الحضور كان يومين بس في الأسبوع، و٤ أيام في مصنع أو ورشة للتدريب العملي مقابل مكافأة رمزية قيمتها ٥٠ جنيه، زائد فرصة لمنحة مجانية لاستكمال الدراسة في ألمانيا، غير إنهم ٦ مواد بس، منهم ٣ عملي مش أكتر، وماكانوش صعبين.. وأنا كان حظي إن المصنع بتاعي مش شغّال بس طلبني أنا واتنين كمان عشان بيجهّز نفسه يشتغل، وعايز يلحق يحجز طلبة للتدريب، ودا خلاني لمدة سنة دراسية كاملة، بروح المدرسة يومين وأقعد في البيت ٤ أيام، وكل أول شهر أروح لغفير المصنع بكارنيه التأمين الصحي، وبعدين بالبطاقة لما طلّعتها، آخد الخمسين جنيه وأروّح بيتنا.

السبب التاني هو إني كنت عايز أفهم هي إيه الكهربا دي، عبارة عن إيه؟ أنا قريت واتفرّجت في مجال الخيال العلمي على حاجات كتير في فترة قصيرة، واتكوّنت عندي حصيلة علميّة، سطحية طبعًا بس لا بأس بها بالنسبة لسني وحجم اطلاعي الضئيل.. إنما لحد دلوقت ماحدش قدر يشرح لي يعني إيه كهربا، وإزاي حاجة مش فاهمينها ولا شايفينها بتعمل كدا.. تديها للمروحة تتحول لحركة، تديها للمكواة تتحول لحرارة، تديها للتلاجة تتحول لبرودة.. إيه دا، سحر؟!

السبب التالت هو إني كنت شايف المشروع دا جميل قوي، مدرسة فنيّة عارفة قيمة التعليم الفني، وجايبة مناهج وأساليب تدريس من ألمانيا، معدّات وأدوات ومعامل وورش على النظام الألماني، حاجة فخمة جدًا، ومكان بيعلّم بجد، نظري عشان تفهم، وعملي عشان تمارس الشغلانة بإيدك، وتصنع منتَج متعلّق بتخصّصك.. هو مش عايزك صنايعي إيده خبيرة وعقله ممسوح، ولا مهندس عقله كبير بس إيده ناعمة، هو عايز يخلّيك الاتنين سوا.. وأنا كان رأيي إن مشروع بالرُقي دا، من حقّه يكون فيه ناس اختارته عشان مقدّرة دوره، وإنه مش مجرد مكان بنروحه لما مجموعنا مايجيبش المدرسة البريما دونا.

خلال فترة قصيرة من بدء الدراسة، أدركت إني كنت صح، وإني كبرت وبقيت قادر على اتخاذ قرارات كبيرة لنفسي حتى لو خالفت رأي الجميع، أولًا عشان كنت شاطر في المدرسة لأني بتعلم حاجة مهتم بيها، ثانيًا لأن كان عندي متّسع من الوقت طول الأسبوع، مش مضغوط ولا مطلوب مني خمسين حاجة، ومن درس لدرس ومن بيت لبيت زي المتشردين.. ولما كان بيقابلني حد من زمايل إعدادي دخل ثانوية عامة، وأقارن حياتي بحياته، بجد كنت ببقى مُشفق عليه، حتى وهو بيحاول يتنطّط عليا ويحسّسني إنه أحسن مني.. حتى وهو بيعمل كدا كنت ببصّ له بعطف، وأقول لنفسي زي بعضه معلش، كويس إن عنده حاجة في وسط الهمّ دا يعتبرها ميزة!

طبعًا الخمسين جنيه اللي باخدها من المصنع، كانوا أقل بكتير من لو كنت نزلت اشتغلت في المصبغة الأيام الفاضية، بس مع ذلك قرّرت مانزلش، واعتبرت إن ٥٠ جنيه مع الراحة والتركيز على عمل اللي يعجبك، أو على الأقل الامتناع عمّا لا يعجبك، أحسن من الفلوس والإرهاق والتعب.. وأنا بدرس، ماحدّش يقدر يقول لي اشتغل، وبمشّي نفسي بالخمسين جنيه ومابطلّبش حاجة من حد، يعني ماحدّش هاياكل دماغي.. وقلت لنفسي إني هاستغل الوقت دا عشان أعمل حاجة بحبها، حاجة تخلّيني مميّز ومش زي كل الناس، حتى لو بقيت مهندس أو أسطى، هايكون جنب دا حاجة تانية أهم.. حاجة مدهشة مفيش ناس كتير بتعملها.. ماكُنتش لسه عارف هي إيه الحاجة دي، بس كنت عارف حاجة تانية أهم: إني موهوب، وإن الموهبة دي طاقة صافية زي الكهربا مالهاش شكل معيّن، لو اديتها لحد بيحب الرياضة هايبقى بطل، ولو اديتها لحد بيحب الفن التشكيلي هايبقى رسام أو نحات، وعشان كدا هي طاقة مالهاش تفسير ولا نقدر نقيسها، بس نقدر ندركها لو موجودة، وهي موجودة.. ودا كان سبب تاني من أسباب حبي للكهربا، إنها مماثلة للموهبة وبتتصرف زيها.

وعلى ذكر الموهبة، الكلمة الغامضة دي اللي ماحدش قادر يتفق لها على وصْف.. دايمًا لما عقلي بيحاول يفتكر شخص موهوب بشكل نموذجي، الشخص اللي صورته ينفع تتحط جنب كلمة (موهوب) في المعاجم المصوّرة، كان أول اسم ييجي على بالي كل مرة هو سعاد حسني.. وكنت بضحك جدًا كل ما أتخيّل إني بقارن نفسي بواحدة ست، فضلًا عن إنها سعاد.. ومهما حاولت أفتكر أسامي ناس تانية رجالة أو ستات، كانت بترجع سعاد تطفو على قمة الليستة، مفيش حد فيهم قدر يكسر رقمها القياسي عندي.. الست كانت كل حاجة.. كل الدنيا.. ماكانِتش أجمل ست بمعايير الفنون والرياضيات والنسبة الذهبية، بس مستحيل ماتسحركش لو انت مين.. بسيطة وصغيرة قد العصفورة، لكن جواها كل أنوثة العالم، ودلع العالم، وخفة ولطف وطاقة وإحساس كل ستات العالم.. إزاي إنسانة واحدة في موقف واحد تبقى cute و sexy و funny، كل دا مع بعضه؟ شقّية وهادية في نفس الوقت، خجولة جدًا بس وشها مكشوف.. معرفش إزاي بس هي دي سعاد، إنسانة معاها قوة خارقة توظفها كيفما شاءت.. غنا، تغني أحلى غنا، ويلحّن لها محمد الموجي وكمال الطويل وسيد مكاوي وعمّار الشريعي.. ويكتب لها الكلمات حسين السيد وصلاح جاهين.. تمثّل؟ يخرج لها نيازي مصطفى وحسن الإمام وكمال الشيخ وبركات وسمير سيف ويحيى العلمي.. تغمض عينيها، الليل يليّل.. تحرك إيديها، نسيج الواقع يتغيّر.

بس الواحد يوظّف الموهبة دي إزاي؟ أنا فاكر إن قبل الوقت دا بسنتين، كنت شفت إعلان عملته الدار اللي بتطبع سلاسل كتب الجيب اللي أنا متابعها، كان إعلان عن مسابقة أدبية بيستقبلوا فيها أعمال القراء.. في الوقت دا عجبتني فكرة إني أبقى كاتب، ودي ماكانِتش أول مرة تراودني الفكرة، لكن وقتها برضه فضلت مجرد فكرة، وماكانش جه وقتها عشان تخرج لحيّز التنفيذ، إنما بعدها بشهور قليلة لما شفت السلسلة الجديدة اللي صدرت، ومنشور فيها القصص اللي فازت، وشفت صور المؤلفين، وقد إيه هما لسه شباب صغيرين، مش في حجم ولا ضخامة نضّارة د. أحمد خالد توفيق، أو شنب د. نبيل فاروق.. ساعتها حسيّت بالغيرة، ونزلت اشتريت رزمة ورق فلوسكاب وقلمين فرنساوي وكتبت قصة، كانت لطيفة وقتها.. أخدتها ونزلت بيها الفجّالة، وهناك عرفت إن دي المكتبات بس، لكن المطابع في العباسية، وبالفعل اتجهت للعباسية للمرة الأولى واتصدمت لما عرفت إن مالهاش مترو، بس اتنططت شوية حلوين في الأتوبيسات، ودي كانت حاجة كويسة وقتها، لأني

محتاج أعرف الدنيا والمناطق والشوارع، خصوصًا وإني عكس كل الكوكب تقريبًا، بحب القاهرة.. الشخص اللي قابلني كان في منتهى الذوق والكرم، ووعدني هايرد عليا في أقرب فرصة، وماردش.. زعلت فترة وبعدين أدركت إنها كانت قصة عبيطة وكويس إنه ماردش، ساعة الواقعة دي في أواخر ٩٩ وأوائل ٢٠٠٠ النشر ماكنش سهل، كان فيه عدد قليل جدًا من دور النشر، ما بين أهلية وحكومية.. وكان معروف مين القارئ ومين الكاتب، والباب اللي بين العالمين دول كان مقفول، عشان كدا لما ماوصلنيش رد منهم، صرفت نظر عن الفكرة كلها، لأن حتى لو كنت شايفها قصة حلوة، ماكانش هايبقى عندي طريقة تانية أحاول بيها.

فاكر في أيام الجُمعة، كان عندي عادة مستجدّة في الفترة دي، إني كنت بصحى الصبح وأنزل أفطر على عربية الفول اللي على ناصية الشارع، وأشتري (الأهرام) من الراجل اللي فارش جنبها، وأروح أقعد في (الملكة)، القهوة القريبة من بيتي، واللي لسبب ما كانت مركز تجمّع كل الناس اللي أعرفهم تقريبًا، عشان كدا ماعدّاش وقت طويل لحد ما واحد من أصحابنا أطلق عليها البؤرة.. ومن ساعتها بقت (البؤرة).. في الوقت دا بتكون رايقة وتقريبًا مفيهاش غيري، أدخل أصبّح على روبي اللي لسه صاحي، وأطلب شاي وحجر معسل سلوم، وأطلع بره في الهوا أقرا الجرنال وأحل الكلمات المتقاطعة ولا أجدعها موظف على المعاش، لغاية ميعاد الصلاة.. الجمعة دي ماحلّيتش الكلمات المتقاطعة ولا كملت الجرنال، وقفلته على التحقيق اللي بيتكلم عن رحيل سعاد حسني، وكنت أول مرة أعرف الخبر مع إنه حاصل من كام يوم، بسبب إني ماكُنتش مركز مع التليفزيون في الفترة الأخيرة.. ماعرفتش أعمل إيه عشان أصرف عقلي عن التفكير.. الووكمان بطارياته ضعفت وعايز أجيب له غيرها، بس الناس لسه قافلة عشان قبل الصلاة.. قلت لروبي يغيّر لي حجر معسّل، وحطيت السمّاعات على وداني وفتحت الراديو على إذاعة البرنامج العام، ماظنش الراديو هايقول لأ للبطاريات النص عمر دي..

أنا راح منّي كمان حاجة كبيرة

أكبر من إني أجيب لها سيرة

قلبي بيزغزغ روحه بروحه

علشان يمسح منه التكشيرة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخبر دا ما عدّاش ببساطة، أنا آه ماكُنتش حابب آخر أفلامها، ولا كنت شايفها بنفس جمالها وقوة أدائها، دون أي اعتبار لعوامل السن والمرض والحالة النفسيّة والانقطاع عن العمل فترة طويلة، لكن رغم كدا كنت حزين عشان الست دي لها فيا كتير قوي.. كانت جزء من تربيتي واطلاعي وذوقي وشخصيتي، وطوبة مهمة من أساسات المرحلة الأولى من العالم بتاعي.

خدت لي حوالي أسبوع مخطوف، كأن اللي ماتت دي حد من أهلي، وخلال الأسبوع دا ماحدّش سابني في حالي، التليفزيون مالوش سيرة غيرها، الراديو مابيذيعش غير أخبار عنها، الجرايد كلها تحقيقات عن الملابسات والوقائع المتعلقة برحيلها.. أنا فاكر إني في الأسبوع دا شُفت كميّة سمير

صبري ومفيد فوزي تكفي أربع أجيال.. حبست نفسي في أوضتي أنا والووكمان وشريط قديم، الكلام اللي عليه شبه ممسوح..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مرة كنت عند خالتي وقالت لي: أمك حكت لي إنك مخلّص فلوسك على الشرايط.. خد من كرتونة الشرايط دي اللي انت عايزه، وخلي فلوسك هات بيها حاجة للمدرسة ولّا اديها لأمك.. قمت أشوف الكرتونة فيها إيه وأنا رجليا تقيلة مش عايزة تتحرّك، عشان متوقّع اللي ممكن ألاقيه فيها.. شريط حفلة لهاني شاكر وشريط لميادة الحناوي، وشوية شرايط لمحمد رشدي والعزبي.. الدنيا غيّمت قدام عينيّا، كنت عارف والله.. وافتكرت ساعة ما ستّي عرفت إني بحب القراءة، راحت جابت لي أعداد قديمة من جرنال المسا من عند حد تعرفه، عشان أبويا اشتكى لها إني مضيّع فلوسي على القصص برضه، نفس الموقف بالظبط.. مسكت كرتونة الشرايط وحاولت أقلّب فيها بضمير وأنا راسم على وشي تعبيرات دهشة وإعجاب، عشان أحسّس خالتي بقيمة الكنز اللي ادتني مفتاحه، وأنا نِفسي أختفي وأظهر في بيتنا.. وفجأة عيني نوّرت وماصدّقتش اللي أنا شايفه دا ولا كنت متخيل إمكانية وجوده أصلًا، وفكّرت إني لو طلبت منها الشريط دا، هاتقول لي لأ بلاش دا بالذات عشان بتاع خالك وهايسأل عليه، بس قرّرت أجرب حظي.. كان هو الشريط الوحيد اللي مالوش علبة ومكتوب عليه (أغاني مسلسل هو وهي) بخط بهتان قرب يتمسح..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يا سلام على البنات

الأروبة المدهشات

ذاكرة فوتوجرافية..

كومبيوتر معلومات

يا بنت مؤدبة..

يا حلوة يا مُرتّبة

وفي حتة الموهبة..

كم فينا من مبدعات

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خلال الأسبوع دا كنت عايش حالة من الهلع مستني أي حاجة تحصل، وبدأت أفكر بطريقة: يا ترى مين اللي عليه الدور؟.. أنا مدرك إن كل نفس ذائقة الموت وكل حاجة، بس انهيار جزء من قلعتك الرملية بيحسّسك إن العالم مكان غدّار ولازم تخلي بالك، لحد ما فكرة جت لي خرّجتني بره المود دا إلى حد ما.. ليه ماخُدش موضوع الكتابة على محمل الجد شوية عن كدا، وأكتب حتى لو النشر متعسّر بس على الأقل إذا حصلت مسابقة تانية زي اللي حصلت من سنتين، يكون عندي حاجة أقدر

أقدّم بيها.. وكتبت عدد كبير من القصص القصيرة كنت فرحان بيهم قوي، لكن لاحظت حاجة غريبة، إن كل قصة بعد ما يتكتب وراها أربع خمس قصص، بقرّر التخلّص منها لأني مابقيتش شايفها كويسة، ودا معناه إني قعدت فترة طويلة بضيف قصص على نهاية الدفتر وبحذف قصص من بدايته!

ماكُنتش بالذكاء الكافي عشان أفهم لوحدي من أول مرة، بس بعد كذا مرة فهمت.. أنا دلوقت لما بفتكر القصة اللي رُحت سلّمتها للمطابع في العباسية، بحمِد ربّنا إن الراجل ماردش عليا، لأنه لو كان اتصل بيا، أكيد كان هايبقى عشان يهزأني على القرف اللي أنا كتبته دا.. وساعتها كانت أول مرة أحس إني مش زعلان إن النشر كان بالصعوبة دي، وإن الوضع لو كان غير كدا، وحد وافق ينشرها، مؤكد كنت هاندم بعدين.. ومش بس النشر، أنا لازم أبطل أخلّي أصحابي يقروا القصص بتاعتي لغاية ما يعدي عليها شوية وقت وأقراها تاني، وأتأكد بنفسي إنها لسه كويسة وصالحة للعرْض..

وراجعت نظريتي عن الموهبة، وكوني موهوب من عدمه، وفهمت إن تصوّري كان غلط.. سعاد حسني طول عمرها موهوبة، بس الموهبة لوحدها ماكانِتش كفاية عشان تنقذ فيلم زي (الراعي والنساء).. الفيلم مش حلو مع إن صنّاعه كلهم مواهب كبيرة حسبما يفترض، بس الحقيقة إن الموهبة مهما كانت طبيعتها، هي ليست كل شيء، ويمكن ماتكونش شيء جوهري أصلًا.. وإن الأهم منها حاجتين: الشغف اللي يخطفك ويخلّيك تحب حاجة معينة، والتعلّم والتدريب الكافي لحد ما تقدر تتمكّن من الصنعة وتخرج منتَج صالح للعرض العام.. ودا معناه إن أي حد بيحب أي حاجة، يقدر يعملها لو عنده الشغف، وأخد وقته في التعلّم والتدريب..

في بداية التفكير كنت متضايق، لأن اكتشاف إني لا موهوب ولا عندي قدرة نادرة زي الأبطال الخارقين، ماكنش أفضل إحساس.. زائد إني افتكرت سعاد، وافتكرت رأيي في آخر أفلامها، وحسيت بالذنب.. بس مع نهاية وضعي للتصوّر الجديد، كنت سعيد لسببين مهمين: الأول لما عرفت إني ممكن أبقى بطل من غير ما أبقى خارق، لو اتمرنت كتير.. والسبب التاني عشان سعاد حسني اللي علّمتني أشوف الجمال وأحب الفن وأفهم الأنوثة، وقت الأمجاد الكتير اللي صنعتها على مدار تاريخها الفني.. هي نفسها اللي ساعة ما عملِت الفيلم اللي ماعجبنيش، برضه قدرِت تعلّمني حاجة جديدة..

شكرًا يا سعاد على كل شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠٢

السنة دي كانت سنة مطفيّة شوية بالنسبة لي، اللي يشوفها من بره ممكن مايلاقيش فيها حاجة تستاهل تتقال، بس انت ماتعرفش الوقت بيعدّي إزاي على صاحبه، غير لما تحط نفسك مكانه أو تدخل جوّه عقله، افتكر كام واحد في حياتك تعرفه من سنين، لا بيتغيّر ولا حاجة بتحصل له ولا الزمن بيعدي عليه، كأنه مَعلم من معالم المنطقة اللي هو عايش فيها، تمثال أو كُشك سجاير، مش إنسان.. تفتكر الشخص دا من جواه شايف حياته زي ما انت شايفها؟ أشك.

بالنسبة للي حواليّا كنت طفل ومش طفل، كبرت وماكبرتِش.. السنة دي كنت طلّعت بطاقة، وبقيت في تانية ثانوي، وشكلي اتغير في المراية، بس أنا كنت لسه شايف نفسي ماكبرتش، والسبب إني كنت محاط بأصدقاء، أنا أصغر واحد فيهم كلهم.. الناس اللي كانوا أصحابي وأنا في أولى إعدادي هما كانوا في تالتة ساعتها، ولما كنت في أولى ثانوي كانوا برضه في تالتة، لكن السنة دي هي السنة اللي راحوا فيها معاهد وجامعات وعرفوا ناس تانية وأماكن تانية وحياتهم اتسعت والتزاماتهم كترت، وأنا سابوني وراهم.. كان صعب جدًا أتواصل معاهم من غير ما أمشي مشوار طويل لغاية بيت الواحد فيهم، عشان أتأكد إذا كان موجود ولّا مش موجود.. وأنا معظم أصدقائي كانوا من سكان الحي السادس زيي، بس كنا متوزعين بطريقة متباعدة كأن رئيس الحي مسكنا في إيده وهزّنا زي زهر الطاولة، ورمانا بكل قوته، فكل واحد اتحدف في زاوية.

ودي السنة اللي أدركت فيها إن أصحابي كانوا دايمًا أكبر مني لسبب وجيه، لأني كنت محتاج حد يعرّفني بالعالم، ويفتح لي أبواب، ويتكلم قدامي عن تفاصيل الدنيا اللي أنا ماسمعتش عنها.. مين راح فين، ومين جه منين، ومين خرج مع بنت، ومين قابل الكاتب الفلاني واتصوّر معاه.. أبسط تفاصيل الحياة الطبيعية بالنسبة لمراهق في سني، كانت حاجات مُستغلقة عليّا وصعبة التصوّر لأن مالهاش عندي أي مرجعيّة، عشان كدا كان وجودهم ضروري بالنسبة لي.. أما أنا كنت صاحبهم لأني كنت صغيّر في السن والحجم، ومنبهر وعينيا متّسعين طول الوقت، وكنت باسمع الكلام وشخصيتي شبه منعدمة.. يالا نروح، نروح.. يالا نرجع، نرجع.. أنا معاكم شوفوا إيه الصح وقولوا لي.. فكنت دايمًا بصدّر لهم إحساس بإنهم كبار ومعلمين أجيال.. علاقة تبادلية بسيطة أدركت بعدين معناها، وهو إنهم في الحقيقة كانوا أصحابي أكتر بكتير ما أنا كنت صاحبهم، ومع أول تغيّر حصل في حياتهم كان أسهل حاجة عليهم هي الاستغناء عني.

خلال آخر سنتين تلاتة كانت حصلت شوية إشارات توصل لي المعاني دي، بس لأنهم موجودين وأنا موجود، ماكنتش مركّز قوي.. وأفتكر إن من قبلها بسنتين لما رحت سينما أول مرة في حياتي وكنت لوحدي، كان بسبب إني وصلت لمرحلة اليأس من إن حد فيهم ييجي معايا، وأنا عمري ما كنت رحت ولا أعرف بتتراح إزاي، زائد إن فكرة إني أعمل حاجة لوحدي كانت مستبعدة تمامًا.. فاكر إن دا كان في العيد الكبير بتاع سنة ٢٠٠٠ وكنت عايز أدخل فيلم (الناظر)، والمشوار دا فِضل يتأجل لحد ما الفيلم اترفع من السينمات، ودا كان أول إحباط كبير ييجي لي من ناحية أصدقائي.. ووقتها كان كل واحد فيهم مشغول مع أهله أو مسافر، وقرّرت إن ليلة الوقفة مش هاتعدّي عليا وأنا في البيت، أنا هاخرج حتى لو لوحدي، وحتى لو مش عارف هاروح فين.. يومها كان في جيبي عشرة جنيه وقلت

هانزل، قالوا لي رايح فين قلت لهم معرفش.. ونزلت وقفت على أول الشارع لغاية ما جه ميني باص الجيزة وكانت التذكرة بجنيه، وقرّرت أركبه بدل الأتوبيس أبو ٥٠ قرش لأني مش عايز أقف، أنا نازل أتفسح.. فعلًا ماكنتش أعرف أنا رايح فين، بس لما ركبته قرّرت إني هانزل الهرم في أي حتة زحمة فيها ونس.. عايز أشوف ناس فرحانين لابسين هدوم جديدة وماشين يضحكوا ويتكلموا.. هاتمشّى شوية وأركب وأرجع، كانت خطة محكمة.. بس اللي ماكُنتش عامل حسابي عليه هو اللي حصل ليلتها.

ساعتها فاكر إني نزلت عند كايرو مول والجو كان لطيف والوقت مقرّب على تسعة بالليل والناس كلها في الشارع، ماكُنتش حاسس إني لوحدي، وفيه اتنين تلاتة ابتسموا صدفة وهما عينيهم في عينيا، كنت مبسوط وأنا حابب أصدّق إنهم ابتسموا لي، باعتبارنا في عيد وكل الناس بتحب بعض من غير سابق معرفة.. وفضلت أتمشى لحد ما لاقيت نفسي قدام فندق مينا بالاس، وكان معلّق بوستر كبير لمحمود عبد العزيز لابس قميص أحمر وحاطط على راسه زمبيل زي بتاع الطباخين.. وقرّرت إني هادخل سينما الليلة دي للمرة الأولى.. طلعت فوق وكان الاستقبال بتاع السينما فاضي، والراجل قال لي عندنا قاعة واحدة بتعرض فيلم (النمس).. ماكنتش مهتم قوي النمس ولّا السلعوة، أنا عايز أدخل سينما وخلاص.. وسألت الراجل التذكرة بكام، وكنت عامل حسابي تطلع بخمسة ستة جنيه، أشوف الفيلم وأرجع.. أشرب عصير قصب قبل ما أطلع وأشتري حجرين للووكمان، وبكدا تكون السهرة المثالية ليوم الوقفة دون الحاجة لأصدقاء ولا لأي حد في الدنيا.. قال لي التذكرة بعشرة جنيه.. تراجعت خطوة عشان أكنسل الخطة كلها، وبعدين لسبب ما لاقيتني بقول له تمام.. ومديت إيدي في جيبي عشان أتأكد يمكن أكون عادد الفلوس غلط، تسع ورقات كل ورقة بجنيه.. قلت له معايا تسعة جنيه بس.. أنا معرفش هو كان راجل طيب ولّا أنا كان شكلي مثير للشفقة ولّا بس عشان المكان كان فاضي وماصدّق حد عبّرهم.. بس هو من غير ذرة تردد قال لي: ولا يهمك، وأخد مني الجنيهات وقادني لباب القاعة.. كان واقف على بابها شاب دخّلني وأخد مني التذكرة عشان يقعّدني، وفضل واقف جنبي وهو بيقول لي نورت يافندم وأنا أقول له بنورك ربنا يجعله عامر، لغاية ما قرر ينسحب ويخرج.. بصيت حواليا ماكنش فيه أي كائن حي غيري في القاعة.. مكان شبه مظلم، كراسي مرصوصة جنب بعض بشكل مثير للإعجاب والدهشة.. عندنا في البيت مفيش كرسيين أنتريه على نفس الاستقامة.. وشاشة ضخمة قد التليفزيون بتاعنا خمستاشر ضعف ع الأقل.. فاكر إني فضلت أقوم من على الكرسي دا أقعد على الكرسي دا.. كنت عامل زي (أليس) في بلاد العجائب أو (تشارلي) في مصنع الشوكولاته.. قعدت على عشر كراسي لحد ما استقريت على واحد.. وشوية وبدأ الفيلم، ماكنتش عارف الصوت جاي منين ولا كنت مصدق اللي عيني شايفاه.. طوفان من الصور والأصوات غلّف كل الحواس وربطني في الكرسي خلاني مش قادر أرمش بعيني، كأني وقعت جوه عالم تاني معمول مخصوص عشان يخليني مبسوط أنا بالذات.. مقدرش أنسى نهلة سلامة اللي كانت مخلياني قاعد مش على بعضي، بس كان دايمًا تدخّل عبد العزيز مخيون في المشهد بيحصل في الوقت المناسب عشان يرجّع لي ثباتي الانفعالي، بينما محمود عبد العزيز الشاب الغلبان اللي حظه عامل زي حظي، مش مبطّل ضحك وهزار، ولا بيتأثر بكل المقالب اللي عمّالة تحصل له، وكأنه مقرّر زيي إنه هايتبسط بصرف النظر عن كل التفاصيل.. كنت قاعد مفيش في جيبي جنيه، بس كنت مبسوط، وماقُمتش خرجت غير لما التترات خلصت والمزيكا وقفت والنور نوّر.. ولما خرجت كان

الوقت تقريبًا نص الليل والجو برد والناس انسحبت من الشارع، وبيني وبين بيتنا مسافات، وماعنديش أي فكرة هاعمل إيه ولا هاروّح إزاي، بس مع ذلك كنت سعيد.. زي سعيد النمس.. وقرّرت إني على الأقل هاتمشّى في اتجاه أكتوبر وأسترجع تفاصيل الفيلم في عقلي واستمتع بالهوا اللطيف البارد لغاية ما تحصل حاجة.. أكيد ماكنتش هاروّح بيتنا مشي، بس مش معنى كدا إني أمشي في اتجاه الجيزة.. ما حسيتش بنفسي مشيت كام كيلو ولا كام ساعة، بس تقريبًا وقت ما عربية ميني باص وقفت جنبي والسواق سألني: أكتوبر؟ كنت قريب من مسرح الهرم اللي كان اسمه في الوقت دا مسرح الزعيم، وبعد ما ركبت قلت له أنا معاييش فلوس.. تنّح لي شوية كدا مش عارف يقرر، وبعدين لسبب ما قال لي اطلع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد الليلة دي بسنتين كنت بقيت أكثر قدرة على التعايش والانبساط لوحدي.. كنت مضطر ومش عايز أضيّع دقيقة زيادة من عمري مستني حد، كنت محروم من حاجات كتير أهمها الونس، وإن حد يشاركني أي لحظة تافهة من لحظاتي التافهة الكتير، بس ماكنتش بخلي دا يعطلني.. اتعلّمت ألاقي الونس في واحد ماشي في الشارع بيضحك بصوت عالي في الموبايل.. في بنت حلوة قاعدة جنبي في الأتوبيس بتسألني: هو فاضل كتير على الطالبية؟.. اتصاحبت على كل الناس في الشارع، صاحب الكُشك ودكتور الصيدلية والست اللي واقفة في المكتبة، عشان لما أعدي من الشارع ألاقي حد أسلّم عليه.

في الوقت دا نزل شريط جديد تمامًا.. جديد بمعنى إن المحتوى اللي بيقدمه مختلف ماكنش عدّى عليا قبل كدا، ومافهمتش دا يبقى إيه؟ كان اسمه (فري ميكس ٣)، أو الاسم الدارج بتاعه وقتها: تامر وشيرين.. ولد وبنت أول مرة أشوفهم، في يوم وليلة لاقيت بوستراتهم مغرّقة الدنيا، ماحدش يعرفهم ولا سمع عنهم قبل كدا.. بس لما كنت بعدي من قدام محلات الكاسيت كنت بسمع وأقف دقيقة لحد ما الجملة تخلص..

إيه يعني غرامك ودّعني

إيه يعني فارقني ولا رجع لي

ليه فاكر إن الدنيا في بُعدك

مافيهاش ولا قبلك ولا بعدك

دا أنا بيك من غيرك مش فارقة

قدّامك أهو لسه بغنّي

دا صوتها؟ مين البنت المدهشة دي؟ بعد فترة عرفت إنها نفس البنت اللي غنت مع محي دويتو في شريط (صورة ودمعة)، بس مين كان مركّز ساعتها عشان يعمل الربط دا؟

يومها دخلت محل الكاسيت اللي جنب الفاترينة واشتريت الشريط من غير تفكير، لسبب ما كنت واثق إنها تجربة مش هاندم عليها.. في الفترة دي كنت بسمع كل الناس، واتعودت على كل الأصوات

وعارف مين بيعمل إيه ومستني أي حد ينزل بأي حاجة.. بس إني ألاقي أصوات فريش بشكل مختلف بأغاني جديدة مش متوقعة، ونازلة بالتقل دا وبحجم الدعاية دا، كانت مفاجأة ماكُنتش مستنيها ولا عامل حسابي عليها.. وأنا خارج شفت الفاترينة العظيمة اللي اشتريت منها شرايط كتير السنين اللي فاتت، وكنت ناوي أعتذر للراجل لأنه زمانه شافني وأنا داخل المحل على غير العادة، وأشرح له إن الشريط الأصلي له بهجة مختلفة وفيه مستوى جودة هو بيحاول يجتهد بس مابيعرفش يوفّرها لي، وإني مش خاين ولا إنسان سيء بس هي الحياة كدا.. لكن لما عديت من جنبه لاقيته بص لي من غير ما ياخد باله مني كأنه أول مرة يشوفني، ساعتها قلت بركة يا جامع إنها جت منه!

مش فاكر دا كان تالت ولّا رابع ووكمان.. كان نفسي في مرة اترقّى واشتري كاسيت كبير حقيقي ببابين، وكان حلمي هو الكاسيت الباناسونيك الياباني أبو سماعات منفصلة، بس دا كان حلم بعيد شوية، عشان كدا كان كل ما يبوظ ووكمان اشتري غيره، لأني مش هاسمع على السانيو العتيق دا تاني خصوصًا وإنه بسماعة واحدة ماتعرفلوش يمين من شمال.

حبيبي وانت بعيد

مشتاق للمسة إيد من غير ولا همسة

غمّض ومد إيديك

أول ما أفكر فيك هاتحس باللمسة

ماتضايقتش من تامر وشفته لطيف مش سيء، وفيه حد عرّفني معلومة إنه نفس الشخص اللي عمل أغنية في شريط فري ميكس ٢٠٠٠ اسمها (ولّا إيه).. وافتكرت الأغنية وحبيت نصر محروس وقدّرت الطريقة اللي بيشتغل بيها عشان يصنع نجوم، أو يقدم تجارب مختلفة لنجوم موجودين بالفعل.. من غير الراجل دا ماظنش كان ممكن نسمع دويتو بين منير وخالد عجاج مثلًا.. ورغم إني استلطفت تامر بس فاكر إني حبيت شيرين بسرعة، وحسيت إنها هاتنجح وتبقى حاجة كبيرة، ماكانش في دماغي إن الولد والبنت دول هايبقوا من أنجح المطربين في المنطقة كلها خلال سنوات قليلة، بس كنت حابب فكرة إنهم طلعوا سوا، بما إن كل واحد فيهم مش معروف ومالوش جمهور، وحسّيت إنهم زيي كانوا بيدوّروا على الونس برضه، كأنهم طالعين مستخبّيين في بعض، عشان اللي ينجح فيهم يشد أخوه، واللي يقع فيهم أخوه يشدّه.

وقتها كنت بقيت أحسن شوية وخبرتي زادت بدخول السينمات، واكتشفت سينما صيفي في الهرم اسمها (رادوبيس).. والسينما الصيفي دي للي مايعرفش، عبارة عن قاعة مكشوفة مش مغطاة، والقعدة فيها كانت شبه قعدة النوادي أكتر منها قعدة قاعة سينما، وكانت بتعرض فيلمين في بروجرام واحد وتذكرتها رخيصة.. عيبها بس إن الفيلم الأولاني بيبدأ قبل ما الشمس تنزل تمامًا، ودا معناه إن أول عشر دقايق من الفيلم بالنسبة لي هايكونوا صوت بس.. لكن كله يهون، مش بس لأنها رخيصة، ولا عشان بتعرض فيلمين، بس فعلًا المود بتاعها كان مختلف وله بهجة تانية كأنه مود خروجة عائلية مش خروجة سينما.. ترابيزات بلاستيك وحواليها كراسي، والناس قاعدة تاكل وتتكلم وتضحك في انتظار بداية الفيلم.. المود دا كان بيحسسني كأني جزء منهم وقاعد معاهم.. في اليوم دا قلت أنا

مش هاروح لوحدي، أحمد أخويا كان صغير لسه يادوب حداشر سنة، وعمره ما راح سينما.. قلت له فيه سينما في الهرم بتعرض مافيا واللمبي مع بعض، تيجي؟.. قال لي آجي.. وخدته ونزلت وأنا في ظاهر الأمر بفسّح أخويا الصغير وبعزمه على سينما لأول مرة في حياته وأعرّفه على حاجة جديدة في الدنيا، بينما في الباطن أنا بتحايل على الواقع عشان أخلق لنفسي ونس، وأضمن وجود حد أتكلم معاه في الطريق وأنا رايح، وبعدين نتكلم عن الأفلام اللي شفناها وإحنا راجعين.. مانساش اليوم دا لأني مش بس كنت راجع مبسوط بالسينما، أنا كمان اكتشفت إني ممكن أكون كبير وممكن أبقى ويلي وونكا بعد ما كنت تشارلي، وإن فيه ناس في الدنيا أنا بالنسبة لهم ممكن ألعب دور المرشد بكفاءة، والأهم من كدا إني اتعلمت إن لو فيه حاجة انت مفتقدها ومستنيها من الدنيا، وقدرت إنك تديها لحد، هاتحس بالظبط نفس إحساس إنك حصلت عليها.. فرحة أحمد وإحنا راجعين ردت لي الثقة في حاجات كتير، وعرفتني إن البحث عن الصحبة مش عيب، ولا إنك تبقى لوحدك بالضرورة حاجة وحشة.. في الحالتين انت بقيت قادر تتبسط، والأهم إن انبساطك وفيه حد معاك، مش مرتبط شَرطيًا بوجود حد معاك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠٣

إيه الأسباب اللي ممكن تخلي مكان ما يبقى مهم في حياة ولد عنده سبعتاشر سنة، من غير ما يكون سكن فيه ولا حَب فيه ولا خرج فيه مع أصحابه وعمل ذكريات؟ أنا ذكرياتي مع المنيل اللي خلت المكان دا استثنائي بالنسبة لي، بتتلخص في نقطتين: أول مرة شفت النيل في الواقع مش في التليفزيون كان أثناء مروري على كوبري عباس -لا مؤاخذة يا عدوية!- وأول مرة أكلت على عربية فول كان في الملك الصالح.

كان عندي أربع سنين تقريبًا، وكان شغل أبويا هناك قبل ما يتنقل فرع الجيزة.. يومها كنت صاحي بدري في وقت نزوله وشبطت فيه عشان ياخدني معاه الشغل، وأنا كنت بشبط كتير وكل مرة كان بيخلع مني بطريقة مختلفة، بس المرة دي وافق وخلّى أمي تلبسني بسرعة ونزلنا مع بعض.. زمايل أبويا كانوا يعرفوني وبيبعتوا لي هدايا بين وقت والتاني، لعب وهدوم جديدة، وكان بيكلمني عنهم ويحكي لي إنهم حضروا عيد ميلادي الأول، مدام فاتن سألتني عليك.. عمو جرانت باعت لك السلام.. وكنت عايز أروح معاه مرة، أشوفهم وأسلم عليهم، مش بس عشان أشكرهم، كان عندي فضول أقابل الناس اللي بيحبوني من غير ما أكون عارفهم دول، وأشوف بعيني يا ترى الناس لما يحبوا حد بيتعاملوا معاه إزاي.

في اليوم دا أخدني قبل ما يدخل الشركة، وعلى غير العادة ماكانش منزعج من تعليقي وسؤالي وانبهاري بكل التفاصيل اللي بنمر عليها في طريقنا.. فطّرني معاه على عربية فول ورا سينما فاتن حمامة، وكانت تجربة روحية بالغة الثراء، وفضلت سنين طويلة مش ناسي طعم الفول دا، وكل ما أفكّر أبويا بالواقعة كان يقول لي: آه فعلًا كان بالزيت الحار.. فاكر إن الراجل بتاع الفول دا كان مسن جدًا وماكُنتش مصدّق إنه واقف على رجليه وبيخدم عشرين واحد مستعجلين وكلهم بيتكلموا في نفس الوقت، ومن غير ما ابتسامته الودودة تتغير، ولا يتوقف عن الحركة لحظة واحدة.. لاحظت كمان إن كل الناس بتحبه وبتقدّره، وهو كان بيعامل الكل بلطف وود كأنه أبو الكل.. حبيت الحالة جدًا، وحبيت النيل والشوارع والناس والتفاصيل.. وفضلت دايمًا فاكر عم عبده صاحب عربية الفول، ونفسي أكرر التجربة وأروح آكل عنده، وفضل عم عبده في خيالي نموذج للشخص التقليدي الجميل اللي بيقدم للناس خدمات رائعة بكل حب لأن دا دوره في الحياة.. أكيد كل واحد في حياته عم عبده.. لحد ما اكتشفت إن اسمه عبد الراضي، وعقلي صوّر لي إن هو الوحيد في الكون اللي بالاسم دا، واتحول بالنسبة لي من شخص موجود في حياة كل الناس، لكائن سحري ماحدش يعرفه غيري، ووقتها بطّلت أزعل من عدم تكرار التجربة، وتوقفت عن الأمنية دي، وقلت لنفسي: لو فرصتك في إنك تقابل شخص اسمه عبد الراضي نادرة جدًا، ففرصتك في إنك تقابله مرتين معدومة. عشان كدا ماتضايقتش، بالعكس فرحت، وحسيت إني راجع لبيئتي الأصلية، لما دخلت تالتة ثانوي واكتشفت إني لازم أروح المنيل أربع أيام في الأسبوع، بسبب إن مصنع أكتوبر اللي كان من المفترض أتدرب فيه كجزء من دراستي، مش هايشتغل في القريب العاجل، وإن فرع المنيل هو اللي شغال حاليًا وطالبنا هناك، أنا والاتنين زمايلي اللي معايا.. كانت مشكلتي بس في بُعد المسافة بين أكتوبر ومصر القديمة، وعشان كدا اقترحت عليهم في البيت أروح أقعد في المعادي أيام الشركة مع جدتي -اللي كنت بقول لها ستّي- بحيث أتحرك بسهولة كل يوم الصبح للشركة، وأبقى أرجع أكتوبر أيام الخميس.

بيت المعادي دا مانساش أول ليلة قضيتها فيه من غير أمي وأبويا، بسبب إن حصلت مشكلة صحية كبيرة لحد من قرايبنا في شبرا، وكان لازم يروحوا فورًا ومفيش مجال ياخدوني معاهم، وساعتها سابوني أبات مع عمي وستّي، وكان عمري سنة.. غريب إن الإنسان ممكن يفتكر حاجات عن نفسه وهو لسه سنة أو شهور، وينسى أكل إيه إمبارح، بس فاكر إن بسبب العياط والدوشة اللي عملتهم عشان أخرج بره البيت وأطلع الشارع، وإنهم فضلوا سهرانين جنبي مش عارفين يناموا لحد قرب الفجر؛ اضطروا يخوفوني بالكلب الأسود الكبير المربوط بره وبياكل العيال، ومن ساعتها اتعقدت من الكلاب وبقيت أخاف منهم طول عمري، وبقيت لو ماشي في شارع وشفت في آخره كلب، كنت ألفّ وأمشي من شارع تاني.. بس دلوقت خلاص، ماحدش هايقدر يخوّفني بالكلب تاني، أنا كبير وأعرف أخاف لوحدي.

النظام في بيت المعادي كان نظام، نايم بدري نايم متأخر مطبق ولسه مانمتش، هاتقوم تفطر.. والفطار عند ستّي ٣ مراحل، وكل مرحلة فيهم مظبوطة على الساعة، سبعة بالظبط بنشتري اللبن من الست أم عاطف جارتنا، وأول مرحلة كانت كوباية الشاي بلبن.. ولأنها البوابة الفاصلة بين عالم النايمين وعالم الصاحيين، كانت مرحلة بالغة الأهمية بالنسبة لستّي.

في أول يوم قرّرت أعمل لها الشاي بلبن بنفسي، عشان ماكُنتش عايز أحس إني عبء عليها ولا بتعبها.. مش عارف أقول يا ريتني ماعملت كدا ولّا كويس إن دا حصل، بس الخلاصة إني اتعلمت منها درس مايتنسيش، وهو إن اللبن لو بايت في التلاجة من إمبارح، يبقى يتسخّن، مش عشان الشاي سخن نقوم نحط عليه اللبن كدا وخلاص، مش سبهللة هي.. ساعتها بعد ما قالت كل اللي في نفسها وهِديت شوية، قالت لي إن "كل شيء وله شيء".. وإن عشان تتبسط بالحاجة لازم تعملها صح مهما كانت صغيرة، وقالت لي فيما معناه إنك لما بتستهون بالتفاصيل بتستهون بنفسك وبحقك في الانبساط.. هي يومها اعتبرتني متسرّع، وبتصرّف قبل ما أفكر، ودا دليل واضح على غبائي، والحقيقة هي ماكانِتش غلطانة قوي.. ولما طلبت منها تاني يوم وتالت يوم ورابع يوم إني أعمل الشاي بلبن عشان أثبت لها إني اتعلمت الدرس، كانت بترفض كل مرة من غير إبداء أسباب، لحد ما في يوم قرّرت تقول لي إن التسرع دا هايخسّرني فرص كتير بعدين، وإن ماكُنتش أتعلم من دلوقت في حاجة زي الشاي بلبن، هاندم على حاجة أهم في يوم من الأيام.. أنا وقتها كنت شايفها بتبالغ، وإن الموضوع مايستاهلش دا كله، بس بعدين فهمت إنك لو عايز تعلّم مراهق درس، مفيش أحسن من الطريقة دي.. حرماني من إني أعمل الشاي بلبن بنفسي ماكنش هايحرمني من دخول الجنة، بس هي عرفت توجعني وتحسسني بعدم الأهلية لتولي مسؤولية بالحجم التافه دا.. في الحقيقة المراهق كائن عنيد وقليل الخبرة ومتسرع ومغرور، ومفيش طريقة في الدنيا تخليه يتغيّر أو يكتسب صفة إيجابية، من غير ما تتحداه وتقهر الإيجو بتاعه بشكل ناعم غير مهين مايقدرش يلومك عليه.

المرحلة التانية من الفطار كانت الساعة تسعة، مرحلة الطعمية.. طعمية سخنة من عند الرفاعي وعيش فينو صابح من فرن فانوس، وجنبها لازم الطرشي والجرجير وسلطة الطماطم.. رغم إنها ست مش متعلمة من أصول ريفيّة، بس كانت أستاذة التفاصيل بالنسبة لي بلا منازع، ولحد دلوقت كل ما أفتكرها وتوحشني بفتكر اللي سابته لي سواء بقصد أو بشكل عفوي.. والطعمية دي كان كفاية رغيف واحد منها، عشان بعد الضُهر فيه فقرة الأكل البايت من غدا إمبارح، ودي كانت المرحلة

التالتة من الفطار.. والحاجة الوحيدة اللي ممكن تسمح لك بتفويت مرحلة من مراحل الفطار التلاتة، إنك ماتكونش موجود في البيت وقت حدوثها.. وعشان ظروف خروجي الصبح للشغل كنت بكتفي بكوباية الشاي بلبن، وممكن أأخر نفسي شوية عشان ألحق مرحلة الطعمية والفينو لأنها هي اللي هاتسند معايا طول اليوم، باعتبار إن رجوعي بيكون بعد وقت الغدا، اللي عادةً بيتأخر شوية هنا، وبيكون آخر وجبة في اليوم، لأن البيت دا لا يعترف بوجبة العشا.

وفي يوم كنت خارج من الشركة مع أحمد وأشرف زمايلي وبنتمشّى في الروضة، وعدّينا من قدام محل الكاسيت اللي هناك.. كان محل كبير واخد مساحة الرصيف العريض كلها وعاملها مدخل، معلّق على بابه بوسترات تسد عين الشمس.. علّم قلبي.. قد الحروف.. عمري معاك.. ووسط كل الناس دي كان فيه بوسترات لشباب وبنات جداد ماحدش شافهم قبل كدا.. تعدي من البوابة الافتراضية، بين البوسترات، تلاقي مترين تلاتة ضِل قبل باب المحل الفعلي.. محطوط فيهم سماعات عملاقة، للي عايز يقف يسمع، وفي نفس الوقت دوشة الشارع والعربيات بره مخلية الحركة دي ماتضايقش حد من الجيران لأنها بتعزل الصوت في مساحة ضيقة.. ماكُنتش مستغرب كمّ البوسترات للناس الجداد، لأن الفترة دي شهدت ظهور ناس كتير للمرة الأولى، لما كنت أسمع صوت حد فيهم صدفة كنت بفرح، وفكرة إني أشتري شريط لحد معرفش هو مين ولا عمري سمعت صوته، بنسبة كبيرة كانت مفاجأة لطيفة ليا أكبر من كونها مخاطرة.. بس النهارده أنا كنت رايح لسبب محدد، قلت للعيال يستنوا دقيقة واحدة ودخلت اشتريت (روحي فيك) لمصطفى قمر.. واستحملت نفس التعليق المكرر من أشرف كل مرة يشوفني خارج من المحل في إيدي شريط.. "يابني انت مجنون؟".. أشرف كان شايف معظم تصرفاتي متهوّرة وإني برمي فلوسي في الأرض، وماينفعش أي شريط جديد حتى لو لمطرب بحبه أروح أشتريه وخلاص من غير ما أكون سمعته واتأكدت إنه حلو، وغلبت أفهمه إني هاسمعه إزاي من غير ما أشتريه أصلًا، بينما أحمد كان عدمي جدًا بيتفرج علينا وساكت، مالوش رأي وشايف إن كله محصّل بعضه، ولسبب ما لا كان أشرف بيزهق من النصيحة ولا أنا كنت بتوقّف عن تكرار شرح وجهة نظري، لحد ما الموضوع يتغيّر ورأينا مايتغيرش.. لكن المرة دي بالذات ماركزتش قوي مع كلام أشرف وهزيت راسي فيما معناه (معلش خلّيها عليك المرة دي) وأنا نُص سرحان، والسبب هو بوستر معيّن لمطرب شاب، شكله وقتها ماكانش مُلفت للنظر قوي، زيه زي كل الشباب في الشارع، بقميص أزرق فاتح، تحته body أبيض مضلّع.. إنما ليه هو بالذات اللي خلاني وقفت وادّيته جرعة انتباه أكتر من غيره؟ يمكن بسبب لوجو الشركة على البوستر عقلي الباطن حلل معلومة معينة ماكُنتش منتبه لها ساعتها؟ جايز.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من سنين وأنا واخد بالي من نقلة موسيقية عامة، بدأت عند عمرو دياب، وانتشرت عشان تسيب بصمة واضحة على معظم المطربين الموجودين وقتها.. لمسة لطيفة مش معنيّة بتغيير شكل حد، إنما كانت بتقدّم لكل فنان مستوى أبعد من الجودة وتبروز صورته وشخصيته الموسيقية بشكل أوضح، اللمسة دي صاحبها هو طارق مدكور.. وكان اسم الموزع الموسيقي المهم دا، هو أول اسم ألاحظه من بين صنّاع الأغاني وقتها، وأتتبّع اسمه سنة ورا سنة على كل شريط جديد أشتريه، وأدوّر على الأغنية اللي هو موزّعها، وأحوّش لها لحظة مناسبة عشان أسمعها للمرة الأولى بشكل لائق.. طارق

ماكنش بس موزع موسيقي، ولا علاقته بعمرو دياب بدأت مع شريط (يا عمرنا) زي ما كنت متصوّر، وإنما كمان هو لحّن له أغنية في شريط (غنّي من قلبك) اللي صدر سنة ٨٤.. وبعدها اتعاون معاه كموزّع لسنين طويلة، خلال فترة شغل عمرو مع الشركة اللي كانت بتنتج أغانيه بشكل حصري، من أول ظهوره لغاية قُرب نهاية التسعينات، نفس الشركة اللي شُفت اللوجو بتاعها النهارده على بوستر لمطرب شاب بيظهر للمرة الأولى.. وماعدّاش وقت كبير لحد ما لاحظت بأثر رجعي اسم نفس المطرب على غلاف شريط (جوه في قلبي) لهشام عباس اللي صدر قبلها بسنة، مكتوب له شكر ضمن أعضاء الكورال اللي غنّوا في الشريط، وكان ساعتها مكتوب بالألف واللام: محمد الحماقي.

من متابعتي لمجلات الشباب والكواكب وأخبار النجوم، قدرت أعرف إن حماقي كان مغنّي كورال بيشتغل مع طارق مدكور في الأغاني اللي بيسجلها، يقول ورا هشام عباس ومصطفى قمر وغيرهم.. وإنه اشترك بأغنية في شريط (لقاء النجوم - المجلّد الثالث) اللي صدر في ٩٨.. وإن طارق قرر يتبنّاه فنيًا، وكمان يوزع له كل أغانيه بنفسه.. ولما شفت كليب أغنية (بتضحك) في التليفزيون، انبهرت بالغنا وبالمزيكا وبالتوزيع، وحبيت حماقي جدًا وفرحت بيه، بس المفاجأة الأكبر من دا كله، هو إن ملحن الأغنية كان طارق مدكور نفسه.

آخر كلام، إطمن، هنساك قوام

أصل خلاص هعمل لك إيه

ولا حاجة فيك بتأثر وعتابي ليك

يا حبيبي استهترت بيه

وفهمت قد إيه طارق كان مؤمن بالشاب دا وعايز يقدّمه في أحسن صورة ممكنة، وإنه كان متحمس له لدرجة إنه يقدم نفسه كملحن من خلال صوته، ودي ماحصلتش -على حد علمي- من قرابة عشرين سنة، ويختار له الأغنية اللي هاتتصور بالذات من ألحانه.. وجود لوجو شركة المنتج نصيف قزمان، واسم طارق مدكور موزعًا وملحنًا ومنتجًا فنيًا، على الشريط الأول لحماقي، حسسوني إن الزمن بيعيد نفسه، وإن فيه نجم كبير بيتولد قدام عينيا، بعد سنين هايكون له شأن مهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من فترة قريبة شفت مقطع قديم من منتصف التسعينات لإحدى حفلات مصطفى قمر، وكان بيغني فيها أغنية سلّمولي، ووراه ضمن الكورال ولد لابس بدلة رمادي واسعة جدًا ومبتسم للجمهور بسعادة رهيبة كأنه مش مصدّق إنه جزء من الحالة دي، مع إن دوره فيها كان مغنّي كورال ورا النجم مش أكتر من كدا.. الولد دا كان حماقي.. اللقطة دي خلتني فرحت لأن بالنسبة لي مفيش أجمل من إن الواحد يتعب عشان حاجة بيحبها، وفي الآخر تعبه مايروحش ع الفاضي.. وافتكرت أول مرة مسكت فيها شريط (خلينا نعيش) لحماقي وفتحت الغلاف بتاعه عشان أعرف مين اللي عاملين له الأغاني، ولاقيت إن فيه أغنية من ضمن الأغاني اسمها (آديني بدوب)، الملحن بتاعها هو مصطفى قمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم دا كنت خارج من البيت بدري، حتى كوباية الشاي بلبن مالحقتش أشربها، بسبب إن المهندسة نادية لوت بوزها عليا إمبارح وكلمتني بطريقة ماعجبتنيش، عشان كل يوم باوصل الشغل متأخر نص ساعة، وأنا كنت مفهّمهم إني باتحرك من أكتوبر يوميًا عشان يبقى لي عذر أتأخر النص ساعة دي، وفاكر إني قلت لها: انتي كان عندك ٣ اختيارات، الأول إنك تأخّريني نص ساعة عن ميعاد الخروج، والتاني إنك تخصمي لي كل يوم نص ساعة.. ليه اخترتي الحل التالت اللي مش عملي ولا هايخلي حد فينا مبسوط؟ وبصّت لي كتير قوي وبعدين جريت تدبدب في الأرض ودخلت مكتب المهندس أسامة صاحب الشركة تعيّط له على الإهانة القاتلة اللي تلقتها، وبَعَت لي وكان مبتسم ولطيف وقال لي: تقدر تيجي على نفسك وتنزل بدري نص ساعة يومين تلاتة بس لحد ما المهندسة نادية تخلص لنا البروجرام اللي بتكتبه لنا دا؟ هي مزاجية جدًا ومش عايزين دا يعطلنا.. حسيت إن الراجل ذوق معايا، فقلت لازم أطلع جدع معاه وخرجت من غير فطار عشان خاطر عيون الهانم.. يومها جت لي فكرة إني آخد المترو لحد الملك الصالح وأروح أفطر على عربية الفول بتاعة عم عبد الراضي، كنت متأكد إن الراجل اللي كان عنده حوالي ستين سنة -من ١٣ سنة- مابقاش موجود، بس قرّرت إني لو لاقيت عربية فول هناك هاعتبرها بتاعته، وهاسأل الشخص اللي شغال عليها: عم عبده أخباره إيه؟ العادي إن في الوقت دا عربيات الفول بتبقى زحمة جدًا، وخمسين واحد بيتكلموا، فلو الراجل سمعني بنص تركيز واستنتج من الجملة إن شخص مايعرفوش بيسأله بود عن شخص تاني مايعرفوش، غالبا هايطلع عاقل ويكبر دماغه ويقول: الحمد لله، ويبقى كدا هو أدى دوره في اللعبة، وأنا أبقى حقّقت حلم العودة، وقرّرت إن الفول هايعجبني حتى لو طلع وحش، الفرق بس هو إني هاجي تاني أو مش هاجي.. وكالعادة طول الطريق عقلي قعد يفكّر في الاحتمال السلبي، وهو إن خلاص مابقاش فيه عربية فول في الحتة دي، وساعتها هاتصرف إزاي وأتحايل على الواقع إزاي، والأهم هافطر إزاي؟ الأقدار كانت رحيمة بيّا ولاقيت بالفعل عربية فول في النطاق اللي فاكر إني فطرت فيه مع أبويا زمان، وقرّرت إنها هي عربية عم عبده وإن الجدع اللي واقف شغال عليها دا ابنه أو حد بيشتغل عنده، بس لاجل الحظ كانت العربية فاضية مفيهاش زباين كتير وهو كان لسه بيقلي طعميّة، وولد راكب عجلة بينزل له عيش.. هاتفطر؟ قلت له لما تخلص على مهلك.. وبعدين قايست وقرّرت أسأله، أمال عم عبده أخباره إيه؟ فقال لي تمام، أجيب لك إيه؟ هزيت راسي مش مستوعب رد الفعل ومسكت نفسي عن إني أسأله: انت متأكد؟ وطلبت طبق فول زيت حار وبصلة ووقفت أفطر في صمت.. كان نفسي أسأله أمّال هو فين، بس خُفت أبوّظ اللعبة على نفسي، وحاسبته ومشيت وأنا مش متأكد هو يقصد نفس الـ(عم عبده) ولّا شخص تاني، ولّا هو أصلًا ماسمعش، ولّا سمع وطلع عاقل زي ما أنا كان نفسي يعمل.. بس اللي حصل بعدها إن حيرتي زادت أكتر من الأول وقلت ياريتني ماعملت كدا.

لما دخلت المكتب كنت متأخر برضه، بس المرة دي خمس دقايق، أول ما دخلت لاقيت نادية في وشي واقفة وحاطة لي إيديها في وسطها ومكرمشة وشها زي الطفلة اللي حد خطف لعبتها، قلت لها: بقول لك إيه.. أنا جايب لك معايا البن اللي عجبك قبل كدا، وناوي أدلّعك طول النهار بحق الخمس دقايق دول وأعمل لك بلاي ليست كلها مصطفى قمر عشان عارفك بتحبيه، تشربي قهوة ولّا نكشّر في وش بعض لحد آخر اليوم؟ قالت لي خليها ع الريحة، وضحكت الحمد لله.

وإحنا خارجين أشرف كان عايز ينزل الجيزة يشتري كوتشي، قلت له نطلع على الروضة الأول نجيب حاجة وبعدين نرجع.. لما لاقاني خارج من المحل وفي إيدي شريط (خلينا نعيش)، حرفيًا زعق لي بعلو صوته في وسط الشارع وقال لي (انت مجنووون؟) بطريقة خلت الناس تبص علينا.. رد فعله المبالَغ فيه ونظرات الناس خلّوا أحمد مسك بطنه من كتر الضحك وماعرِفش ينطق بكلمة، وكان على وشك يترمي على الأرض ويرفّس.. حطيت الشريط في جيبي وأخدتهم الاتنين كل واحد من إيد ودخلت بيهم مدخل المحل، ووقفنا قدام السماعات اللي بره الباب عشان يسمعوا.

آن الأوان نرجع تاني

وكفاية حلم وعمر ضايع في البعاد

وحياة عينيك استناني

والليلة قلبي أيوة جايلك في الميعاد

وبصيت لأشرف عشان أشوف رد فعله، لاقيته حاطط وشه في الأرض وخزيان، فقلت له بحكمة الشاي بلبن: ولا يهمك كلنا بنتسرّع.. أحمد كان مبسوط بالأغنية وهو لسه مش قادر يبطل ضحك، وقرر يقعد على الرصيف لحد ما الأغنية تخلص، وبعدها قال لأشرف: تعرف لو سمعت منك جملة "انت مجنون" دي تاني هاعمل فيك إيه؟ بس كأنه لما قال كدا قرر إن الجملة تفضل إيفيه كلاسيكي بيتخلل أي كلام بنقوله على مدار السنة، كل ما حد فينا يعمل تصرف غريب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لاحظت بعدها إن ناس كتير من اللي أعرفهم لما كانوا بيسمعوا أغاني الشريط للمرة الأولى، كانوا بيستغربوا جدًا، ويقولوا إزاي ظهر فجأة، وكان فين، وليه ماسمعناش عنه قبل كدا؟ ماكُنتش بعلّق، بس كنت متأكد إن كل حاجة الإنسان بيلاحظها بقوة، بيكون لها مرة أولى غالبًا ماحدش فاكرها.. لولا عم عبد الراضي ماكُنتش رحت أفطر على عربية الفول دي النهارده بالذات، واللي نسيت أقول إن الفول بتاعها عجبني ورجعت له وبقى الراعي الرسمي لفطاري كل يوم لحد آخر السنة، ولولا حادثة بياتي للمرة الأولى في بيت المعادي زمان، ماكنش هابيجي على بالي أروح أقعد مع ستّي أيام الشغل، ويمكن وقتها لو ماكنش حصل كدا ماكُنتش هاتعلّم أقدّر قيمة التفاصيل الصغيرة، اللي لما بتترص جنب بعض بعناية بتخلق صورة كاملة أمتع بكتير.. التفاصيل اللي لولاها ولولا اهتمامي بمراقبتها، ماكانش هايبقى عندي أسباب تخليني أشتري شريط حماقي بالذات من وسط شرايط كل الشباب الجداد الموجودين، ولا كنت سمعت سؤال الناس عن المطربين اللي بيطلعوا مرة واحدة.. حتى شغلي في المنيل رغم إني ساكن في أكتوبر وعيلتي في المعادي، يعتبر تكرار لتجربة أبويا لما كان شغله في نفس المنطقة من سنين، ويمكن في نفس الشارع.. فكّرت مرة أسأله عن الشارع اللي كان فيه شغله، وبعدين رجعت في كلامي، ظاهر الأمر اللي اعترفت بيه لنفسي، إني كنت متوقّع تعليقه على السؤال: ما انت جيت معايا قبل كدا، لحقت تنسى؟! لكن السبب التاني اللي كنت مكسوف أفكر فيه، هو إني كنت حابب أفضل مصدّق إنه كان في نفس الشارع، وماكُنتش هبقى مبسوط لو سمعت إجابة

مختلفة.. الحقيقة في مسألة زي دي مش هاتبقى مفيدة قوي، بس الفكرة ممتعة.. كل شيء متصل، وكل شيء له مرة أولى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠٤

السنة دي ماكانِتش سنة عادية على الإطلاق.. عارف الإنسان لما يعيش في غيبوبة وفجأة تحصل له لحظة تنوير ويشوف الحقيقة؟ أنا بعتبر السنة دي هي اللحظة اللي اللمبة فرقعت فيها.. الفولت كان عالي لدرجة إن الإزاز انفجر مش بس التنجستين توهج واتحرق.. مش عايز أبالغ في الوصف بس الحقيقة مالقيتش أبلغ من الجملة اللي تم تعريف السنة بيها على ويكيبيديا: ٢٠٠٤ هي سنة ميلادية كبيسة بدأت يوم تلات!

بالنسبة لمعظم الناس، الإحباط بيحصل لما بيلاقوا الواقع أقل من التوقّعات، والصدمة بتحصل لما بيلاقوا الواقع عكس التوقعات.. بالنسبة لي أنا كانت توقعاتي فوق في السما، توقعات رومانسية خيالية فانتازيّة، مبنية على خبرة محدودة ووعود كاذبة وخيال واسع وسذاجة مفرطة.. والواقع كان أسوأ بكتير من أي حاجة شفتها بتحصل حواليا لأي حد أعرفه.. مقدرش أحدد دا كان إحباط ولّا صدمة ولّا حاجة معرفش اسمها، بس اللي متأكد منه إنها كانت السنة اللي شفت فيها وش الدنيا.

في أواخر تالتة ثانوي كنت عرفت إن كل ما يتعلق بالمنحة والسفر لألمانيا خلاص مابقاش له وجود، ولا حتى فرصة إني أجيب مجموع وأدخل هندسة زي ما حصل مع دفعات قبلنا، لسه متاحة.. وإن وزارة التعليم العالي بدأت تتعامل مع المشروع على إنه تعليم صناعي عادي زيه زي أي مدرسة صنايع، لازم مش بس أجيب مجموع وإنما كمان لازم أقدم على معادلة للثانوية العامة وأنجح فيها قبل ما أفكر أقدّم ورقي في أي جامعة، ودا معناه سنة ضايعة ومصاريف كتير وضغط نفسي وعصبي وزمني، عشان فرصة نادرة جدًا في النجاح، وبعد النجاح فرصة أصغر في إني ألاقي لنفسي مكان.. وعلى الجانب العملي، اكتشفت إن الشركة اللي أنا كنت بتدرّب فيها مش محتاجة لنا أكتر من كدا، وفهمت من ناس زمايلي كتير إنهم اكتشفوا بطرق مختلفة إن مصانعهم وشركاتهم اللي اتوزعوا عليها، واشتغلوا فيها ٣ سنين أشغال شاقة يمكن أكتر من أي عامل في المكان، بمكافأة شهرية من خمسين جنيه في سنة أولى لسبعين في تانية وتسعين في تالتة، وقت ما كانت رواتب العمال ساعتها بتتراوح بين ٦٠٠ و٨٠٠ جنيه، استقدموا عدد من طلبة سنة أولى، عشان يستلموا منهم الشغل وعجلة الاستعباد تكمل دوران، وإن في الحقيقة مفيش مصنع أو شركة مهتمة بتدريب حد عشان يبقى صنايعي شاطر ويشتغل معاهم، قد ما كانت الفكرة كلها في توفير عمالة بتكلفة لا تُذكر، والاستفادة من مزايا الانضمام للمشروع.

فجأة لاقيتني مش عارف حاجة.. أسئلة كتير المفروض تتجاوب دلوقت حالًا وأنا اللي لازم أحسم الأمر فيها كلها لوحدي، وأنا ماعنديش أي فكرة المفروض أعمل إيه.. عرفت إن فيه معهدين أقدر أقدم فيهم، الأولاني كان معهد سنتين في شارع الصحافة اللي في رمسيس، والتاني كان في المطرية، ودا كانت فرصته أحسن من معهد الصحافة في إني أقدر أدرس فيه سنتين وآخد شهادتي وأمشي، بس لو جبت مجموع كبير أقدر أكمل فيه سنتين كمان وآخد شهادة بكالوريوس، ولاقيت عدد من الناس اللي معايا في الفصل قرروا يدخلوا المطرية فقلت إذن هي المطرية.. لما رحت استلمت ملف التنسيق ورجعت البيت ماكنتش عايز أفتح الظرف، لسبب ما كنت حاسس إني هافتح حاجة مش هاقدر أقفلها تاني، حتى أبويا ساعتها مارضيش ييجي يقعد معايا نسجّل الرغبات، وقال لي دا مستقبلك والظرف

في إيدك والورق معاك، محتاجني في إيه؟ كتبت كل كليات الهندسة اللي في محيط القاهرة الكبرى ورا بعض، عشان أبري ذمتي، وأول رغبة عارف إنها سهل تتحقق كانت المعهد الفني الصناعي بالمطرية.

فاكر إن الليلة اللي سبقت أول يوم في المعهد كنت بايت عند أحمد صاحبي اللي كان معايا في الشغل، وأشرف جالنا تاني يوم الصبح، وكان معانا اتنين كمان معرفهمش، وطلعنا كلنا على هناك عشان ماحدش فينا يبقى لوحده.. كانت فكرة حلوة إننا خلّصنا مدرسة ودخلنا الحياة الجامعية، ومش مضطرين نلبس يونيفورم تاني ولا نقف طابور الصباح ولا حد يجري ورانا بخرطوم الكهربا في الطُرقة، كنا بالأرقام والتواريخ بقينا كبار، ودا في حد ذاته كان رائع ومنعش.. ساعتها أخدنا ميكروباص للجيزة ومنها للتحرير، وفي التحرير أخدنا المترو لحد المطرية.. المشوار كان طويل بس دا ماكنش مضايقنا لأننا استمتعنا بيه كأنه رحلة خلوية، والجو كان مساعد على كدا.. قابلنا هناك شباب وبنات كتير عايزين يتّاخدوا على محمل الجد، ودا مخلي التعارف سهل، كل واحد بيدوّر على دايرة ينضم لها.. ماكُنتش مهتم أعرف الناس من أول يوم لأن واضح إنهم كتير ولسه قدامي متسع من الوقت، وكان فيه حاجات أهم من كدا محتاج أرستأها الأول.. اخترنا لنفسنا قهوة لطيفة قريبة أسعارها مقبولة، واتعرفنا على القهوجي وحددنا البقعة المميزة اللي هانقعد فيها كل ما نيجي، وأمنّا نفسنا من ناحية الأكل، واخترنا مطعم فول ومطعم كشري برضه في النطاق.. لو كنا في العصور الوسطى كنا نصبنا الخيام وربطنا الخيول ورصينا أدوات الصيد على حافة النهر.. حتى الطريق حددنا له أفضل الشوارع اللي نمشي فيها من المترو للمعهد عشان نوفر الوقت على قد ما نقدر.. على باب المعهد كنا بندخل بالطابور لأن الأمن كان بيفتش اللي داخل ويشوف بطاقة الترشيح والبطاقة الشخصية لكل واحد قبل ما يعديه، والطوابير على الخزنة كانت أكبر، عشان كله عايز يلحق يدفع المصاريف ويطلّع الكارنيه اللي هايعمل بيه اشتراك المترو.. أعداد لا نهائية والخزنة بتفتح ساعتين بس في اليوم، ماكنش فيه مشكلة إننا نأجل الخطوة دي لبكرة، الدنيا مش هاتطير.. أشرف تاه مننا في الطابور وأحمد قرر يروح يسلم على ناس معرفهمش، غالبًا كانوا معاه في الفصل، فقلت أروح أشوف جدول المحاضرات عشان أعرف عليا إيه إمتى فين، وتقريبًا دي كانت أول حاجة أقف عندها.. لوحة كبيرة متقسّمة عدد لا نهائي من الخانات، متوزع فيها كل المحاضرات والسكاشن بتوع كل الأقسام، المواد متداخلة بين قسم الكهربا اللي أنا فيه وأقسام تانية بتشترك معايا في شوية مواد، وأنا المفروض أطلّع المواد بتاعة قسمي وأستخرج أماكن المدرجات بتاعتها ومواعيدها، ومواعيد وأرقام السكاشن وأماكنها من وسط كل دا.. لوحدي!

ووقفت وسط الحشود زي عيل تايه في المولد مش قادر أستوعب.. أنا ماكنتش فاهم إن الموضوع هايبقى كدا، اللي أعرفه إن الجدول معمول عشان الناس تفهمه، يوم كذا الساعة كذا مادة كذا، وممكن نضيف خانة زيادة متعلّقة بمكان شرح المادة.. ليه الدنيا معقدة كدا؟ ويا ترى كل الناس دي فاهمة اللي بتنقله وأنا لوحدي اللي حمار؟ بصيت حواليا مالقيتش ولا وش مألوف ينفع أسأله.. وكله مستعجل ومتجهّم وبيتدافع وبيعلّي صوته عشان يلحق حاجة معرفش هي إيه، وأنا عمال أبص للجدول وأبص لنفسي وأبص للناس.. تقريبًا دي الطريقة اللي أول يوم مر بيها.

تاني يوم عرفت اتنين من القسم بتاعي وشِبه لزقت لهم عشان أروح معاهم محاضرة لمادة معرفهاش ولا عندي فكرة عنها، بس رحت معاهم وخلاص، يمكن أعرف بالاحتكاك ومرور الوقت، وطبعًا أول ما دخلنا كل واحد فيهم راح يسلّم على أصحابه اللي معرفش هو لحق يعملهم بالسرعة دي ولّا جه بيهم من ثانوي.. المدرج واسع قد الإستاد وقديم زي المعابد، وأنا قاعد ورا لوحدي لأن مفيش حد أعرفه عشان أقعد جنبه، والشخص اللي بيشرح اللي معرفش دا دكتور ولّا مهندس ولّا مستر، عمال يشخبط على سبورة بالطباشير ويتكلم بصوت مش واصلني من دوشة الحشود اللي عاملة زي زن الدبابير، لا أنا فاهم هو بيقول إيه ولا إيه المادة اللي بيشرحها، ولا المفروض أكتب وراه ولّا أسجل ولّا أحفظ ولّا إيه؟

تالت يوم قلبت المعهد على أحمد وأشرف، واتضح إني مش هاعرف أشوفهم سوا في نفس الوقت بسبب تضارب مواعيد المحاضرات، وخرجت مع أحمد ومعانا خمستاشر واحد من أصحابه الجداد اللي غالبًا مفيش أي أمل إني أعرف حد فيهم.. الناس بتوع أول إمبارح اللي كانوا مسروعين على التعارف وتكوين العلاقات، اتعرفوا وكوّنوا علاقات، وكل واحد عرف الشِلة الجديدة اللي هاتبقى بتاعته وقفل الباب.. رحنا القهوة، حاولت أنخرط معاهم في أي حديث مالقيتش استجابة، حسيت إني دخيل على كل دا، حتى أحمد ماحسش بيا وأنا قايم أحاسب على الشاي بتاعي.. رجعت المعهد وعديت من جنب طابور الخزنة ولاحظت إن نفس الناس واقفين تقريبًا من أول إمبارح، سبتهم وطلعت على المكتبة عشان أشوف المفروض كتب إيه اللي أشتريها.. كمية كبيرة من الكتب كل واحد فيهم محتاج ميزانية، كل حاجة هنا محتاجة خطة، المشوار كبير بجد، وصعب، ومواصلاته مرهقة وغالية، والفرحة العبيطة المتعلّقة بإني هاقدر آجي بهدوم خروج مش بيونيفورم المدرسة، اكتشفت بسرعة قد إيه هي ساذجة جدًا، لأن في الحقيقة ماكانش عندي هدوم خروج كتير لائقة، ولا معايا فلوس أشتري، ولا حتى فيه مصدر دخل.. ويوم ورا التاني أدركت حجم التعاسة اللي تسببت لنفسي فيها.. أنا مش عارف أندمج، وكل التفاصيل صعبة والمفروض أعرف لوحدي إيه المفروض يتعمل، وأعرف لوحدي بيتعمل إزاي، وأعمله، بسرعة.. لحد السنة اللي فاتت كانت حياتي زي عربة المناجم ماشية على قضبان، خطوة بتقود لخطوة بتؤدي لخطوة، كان فيه مسارات فرعية كتير، بس حتى دي كانت محدّدة سلفًا ومرسوم لها خطة، ومهما كان عندي القدرة على الاختيار وقتها، كنت بختار من بين الأقواس.. لكن دلوقت وصلت لنهاية القضبان، وبقى مطلوب مني أعرف دلوقت حالا أنا المفروض أمشي في أي اتجاه وأعمل إيه.. أعمل إيه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفترة دي كانت ثرية جدًا بالملحنين الشباب اللي عايزين -أو بدأوا بالفعل- يثبتوا نفسهم، وثرية بإنتاجهم الجيّد المتنوع في أشكاله.. طبعًا كل وقت له الرداءة بتاعته، بس الفترة دي بوجه عام ماكنش فيها استسهال، وكانت الناس بتتعب عشان تصنع منتجات عالية الجودة، وكلهم مبسوطين باللي بيعملوه، لكن برضه كان فيه حتة ناقصة بالنسبة لي، مخلياني شايف إن ملحّنين زمان مش أحسن وإنما أتقل من ملحنين الوقت دا.. الحاجة دي ماكنتش عارف أسمّيها إيه، بعدين عرفت إني ممكن أقول عليها الشخصية الفنية أو البصمة.. الحاجة اللي بتخلّيني أمسك ورقة مقطوعة من رواية وأقدر أميّز إنها بتاعة الأديب المفضل عندي من غير ما أكون قريتها قبل كدا، نفس الحاجة اللي بتخليني

أسمع الأغنية وأعرف إنها من ألحان سيد مكاوي أو بليغ حمدي.. دي حاجة فقدانها ماكانش مؤثر على جودة اللحن اللي بسمعه، بس كانت بتخليني مش قادر آخد الملحن بتاعها على محمل الجد قوي، كأن اللي هو قدمه دا فن بالفعل، بس هو شخصيًا لسه مابقاش فنان بالقدر الكافي، لو فيه حاجة اسمها كدا.. مع ذلك كان فيه أسماء نادرة تتعد على أصابع الإيد الواحدة اللي أقدر أقول إنها بتتمتع بالخاصية دي، الناس دي بالذات كان لهم ولأغانيهم في قلبي مكانة خاصة، عشان كدا لما شُفت كليب (قادر وتعملها) للمرة الأولى في التليفزيون مش بس فرحت بالأغنية الحلوة ولا التصوير الجامد اللي عمله نصر محروس، ولا حتى بعودة محي اللي هو بالنسبة لي واحد من المطربين الأحب إلى قلبي.. لكن كمان فرحت لما عرفت لوحدي من غير ما أوصل لجزئية أسماء صناع الأغنية، إن الملحن هو خالد عز.

قادر وتعملها وتنسى هواك

الغدر من طبعك عايش جوّاك

قادر وتعملها

وتروح وتنساني

أشواقنا تقتلها

وتحب من تاني

فاكر إن أول لحن سمعته لخالد عز كان (بَعِد الليالي) لعمرو دياب.. ووقتها استغربت جدًا، اللحن شرقي بس مش الشرقي اللي متعود أسمعه في الزمن دا، أنا مش بفهم في المقامات الموسيقية قوي بس بعرف أميّز البياتي اللي نادرًا ما بقى حد يروح له، خالد مش بس كان بيستخدم البياتي كتير وبيعتبره منطقته المريحة، دا كمان كان بيمزجه بمقامات تانية بعضها غربي، في نقلات مدهشة بالنسبة لي ومختلفة عن اللي اتعودت أسمعه.. حتة جديدة قرر يلعب فيها لوحده.. الجميل في أغنية قادر وتعملها إن خالد مش بس هو اللي لحنها، دا كمان هو اللي وزعها بنفسه، ودي حاجة من ساعة شريط (أنا كده) بتاع لؤي كنت مفتقدها وعايز أسمع منها كتير.

قبل كدا بسنتين تلاتة، تقريبًا مع انطلاق شريط إيهاب توفيق (هما كلمتين) كانت الشرايط بدأ يبقى اسمها ألبومات، غالبًا السبب كان انتشار توزيع الاسطوانات المدمجة في الوقت دا عن قبل كدا، لأن كل الناس تقريبًا بقى عندها كومبيوتر وأجهزة كاسيت بتدعم تشغيل السيديهات، زائد إن فرق السعر بين الشريط والاسطوانة مابقاش جوهري حتى لو كان الضعف، خصوصًا وإن الاسطوانات كانت دايمًا فيها أغاني أكتر من اللي في شريط الكاسيت محدود السعة، وغلاف الاسطوانة فيه صور ومعلومات أكتر بكتير من اللي موجودة في غلاف الشرايط، دي عناصر ساهمت في زيادة توزيع النسخة المدمجة، بالتالي بقى تسمية ألبوم أوقع، وبدأ الناس يستخدموها أكتر من الأول.

وأنا على الجانب الآخر من الدنيا كلها بسبب شكل حياتي في الوقت دا، كنت رجعت تاني أشتري الشرايط من الفاترينة الرخيصة، خاصة وإن الكاسيت الصيني اللي كنت نجحت في تحويش تمنه واشتريته من سنتين من سوق الجمعة اتكسّر، وبقيت مضطر تاني أسمع على السانيو لحد ما ربنا

يفرجها وأجيب ووكمان، فجودة الصوت ماكانِتش هاتفرق بين الشريط الأصلي والمزور على الكاسيت دا، بالإضافة لعدد الناس اللي كنت عايز أتابعهم وأسمعهم، وماكنش فيه مساحة إني ألاحق على كل دا.. ومع علمي بإن شريط محي فيه عشر أغاني بس بينما الاسطوانة عليها ١٣ أغنية، رحت اشتريت الشريط لأن حتى لو معايا فلوس أجيب الاسطوانة، ماكنش عندي حاجة أسمعها عليها.

وقتها كنت نزلت شغل في سنترال قريب مننا، ودا للي ماحضرش النوع دا من الوظايف، كان عبارة عن محل متقسّم كباين مرقمّة، وكنا بنروح نعمل منه مكالمات أرضي أو موبايل بسبب عدم انتشار الموبايل مع كل الناس.. كنت بنزل كل يوم الصبح عشان أفتح المحل الساعة ٨ وأنضف وأرتب المكان اللي الهانم اللي بتستلم مني سابته زي الزريبة قبل ما تقفل، وأعد كروت الشحن وأفرز النواقص، وأعد الفلوس اللي في الدرج وأفتح برنامج تحويل الخطوط وأستنى الزباين.. قعدت فيه كام شهر وبعدين الحاجّة صاحبة المكان أقنعتي بشكل ما إن السنترال التاني بتاع مرات ابنها محتاج حد يستلمه في الشيفت المسائي اللي بيكون من ٤ العصر لحد ١٢ بالليل.. قلت لها إزاي وأنا بخلص هنا ٤؟ قالت لي ماجاتش على مسافة السكة.. لما حسبت الفلوس اللي هاخدها من المكانين كانوا على بعض ٣٥٠ جنيه، ودا كان وقت صعب ماكنش عندي فيه رفاهية القبول والرفض قوي، بس اللي ماكنتش عامل حسابي عليه إن الأستاذة رضا اللي بتيجي تستلم مني الشيفت هاتيجي كل يوم ما بين أربعة ونص وخمسة.. كنتي فين يا رضا؟ معلش أصل حصل حاجة.. أي حاجة.. بينما على الجانب الآخر الهانم التانية اللي فاتحة السنترال التاني مستعجلة وعايزة تمشي قبل أربعة كمان لأنها أم عاملة وكمان بتدرس ووراها كورس مش هاينفع تتأخر عليه.

حتى لو البنت اللي بتستلم مني كانت بتيجي في ميعادها كل يوم، ماكنتش هاقدر أختفي وأظهر بالتليبورت في المحل التاني اللي بيني وبينه مسافة نص ساعة، فكان لازم كل يوم أسمع نفس الكلمتين.. اتأخرت ليه وحرام عليك ويالا وهوبا وبسرعة.. وطبعًا مالحَقش أستلم منها ولا أعرف حصل إيه ولا في الدرج كام.. ودا كله كان مخلي علاقتي بالمعهد عمالة تبهت وتتضاءل، والبيت مايعرفش كل التفاصيل، شهر في التاني في التالت، مابقاش ينفع أدخل ببطاقة الترشيح ولازم الكارنيه، والكارنيه لازم له إيصال المصاريف وأنا لا عارف أوصل للخزنة ولا معايا فلوس المصاريف ولا اشتريت كل الكتب ولا عارف أحضر ولا فاهم حاجة.. العبء النفسي الناجم عن كل دا، وفكرة المسؤولية المتراكمة اللي ماعنديش فكرة دي المفروض تتشال إزاي، وكم كبير من المشاكل أنا فيه لوحدي بالكامل، ومش عارف أبتدي منين، وكوني بقيت كبير دلوقت وبقى مطلوب مني حاجات ومتوقع مني أفعال وتصرفات ونتائج وثمار.. كل حاجة من دول كانت طوبة جديدة بتتحط على قلبي.

وقتها نزل فيلم spider-man 2 اللي ماكانش ينفع حتى أحلم إني أدخله، بس دا فكّرني بالجزء الأول اللي كنت شفته من سنتين.. تقريبًا كل الناس اتعاملت مع الفيلم على إنه فيلم بطل خارق معمول حلو، بالنسبة لي لأ، أنا كنت شايف الفيلم عن بيتر باركر مش عن سبايدرمان.. عن الولد المحاط بناس في كل مكان لكنه وحيد جدًا، وحيد في مسؤولياته ومخاوفه ومتاعبه وأسراره.. مضطر يشيل لوحده، ويعاني لوحده، ومايقدرش يشتكي لأن ماحدش هايفهم.. بيتر الشاب المسكين متوقّد الذكاء محدود الموارد، ضحية التنمّر والظلم والواقع الرديء.. اللي بيحب في السر لأنه مايقدرش يقول.. اللي مش

عارف يعمل إيه في كل دا بس لازم يعرف، لأن ماحدش غيره هايجاوب على السؤال دا.. وأنا يمكن لأن السنة دي بالذات لا كان عندي أصحاب ولا حتى كان فيه مساحة وقت أضيعها في القعاد والكلام مع واحد فيهم لو كان موجود، دا خلاني أتراجع اجتماعيًا وأقارن حياتي بشخصيات خيالية مصدرها السينما والأدب، عشان أقول لنفسي إني مش لوحدي في اللي بيحصل دا.. كنت عامل زي ميكي ماوس لما لبس طرطور الساحر وخلّى المقشّات تنقل جرادل الميّه، وفجأة الموضوع خرج عن السيطرة وقرّب يبقى فيضان، ومفيش حد يساعده ولا يطفي ماكينة العبث.

متهيألي حد غيري كان هايقرر يكمّل في المعهد ولما ييجي وقت الامتحانات يفرجها ربنا، بس أنا وقتها قرّرت إني هاروح أسحب ورقي.. المكان دا مش بتاعي، وكل يوم زيادة وأنا ورقي هناك بيتحول لحجر وتقل جديد يتحط على قلبي، وعبء وخوف من الأيام اللي جاية، وأنا مابرتاحش في الأوضاع المعلّقة دي، لازم أحسم.. في البيت زعلوا طبعًا بس كانوا وصلوا لمرحلة إنهم رموا طوبتي فماحدش اعترض بشكل جدي، ورحت في اليوم دا بدقن طويلة وهدوم مكرمشة وشبشب، حتى شعري مابصيتش في المراية عشان أسرّحه قبل ما أنزل.. وأنا عارف إني رايح أسحب آخر ورقة في شجرة الأمل إن بطاقتي مايفضلش مكتوب فيها حاصل على دبلوم صناعي للأبد.. ما أنا كان ممكن أدخل مدرسة صنايع عادية مش محتاجة ربع المجهود الذهني اللي كنت ببذله في مدرستي لو هي آخرتها دبلوم، على الأقل كنت هابقى مع زمايل إعدادي الكتير اللي راحوا هناك، وكان ممكن أدخل ثانوية عامة وأريح دماغي من الصراعات والخناقات في البيت، لو هي آخرتها إني أدخل معهد كل حاجة فيه مش مناسبة ليا وأدرس حاجات مابحبهاش، لمجرد إن دا الموجود.. أنا لما دخلت المدرسة دي كان في خيالي حاجات كتير مختلفة، بس اتضح لي في النهاية إنه مفيش حاجة مختلفة، وإن كله زي بعضه.. كنت مدرك إني بقطع علاقتي بأي حاجة ممكن أكون حلمت بيها أو تخيلتها أو بنيت عليها خطتي وشكل حياتي المستقبلية، كنت حاسس إني جبان، وإن الأمل اللي بقطعه دا مش أملي لوحدي، وإنما كمان أمل الناس اللي في البيت، اللي صرفوا وتعبوا وصبروا واتعشّموا.. بس كمان كنت عارف إني لو ماعملتش كدا، كنت هاتعب كل يوم أكتر وأكتر.. واستسلمت وقتها لفكرة إني ضعيف ومش بالتميّز اللي تصورته عن نفسي، وانجرفت.. طز، هايحصل إيه يعني؟ في وسط كل دا كانت أكتر حاجة مخوفاني هو إحساسي إني بفقد نفسي ببطء، عمري بيضيع بشكل عبثي بين السنترالين، مفيش مجال للدراسة خلاص، مفيش فلوس، مش بكتب، مش بشوف حد، مش بنام كويس أو بمعنى أدق مش بنام أصلًا.. بس يوم ما سحبت الملف بتاعي قرّرت أكسر اللوب دا، وأروح لواحد من أصحابي القدام حتى لو مش هانتكلم.. ماكنتش عايز أبقى لوحدي.. لما إسماعيل سألني عملت كدا ليه، أدركت حجم الفجوة اللي بقت بيني وبينه لدرجة إنه مايعرفش أي حاجة عني ولا عن حياتي، ولما حس إن اللي عندي صعب يتقال وإني عايز أقعد ساكت، قام حطCD (قادر وتعملها) عشان يسمّعني الأغاني التلاتة اللي مانزلوش في الشريط.. لما سمعت أغنية (ودا مين) عيني نورت لأول مرة من فترة طويلة، وسألته: دا خالد عز اللي ملحنها؟ قام جاب علبة الاسطوانة وقرا اللي عليها وقال لي لأ اسمه مصطفى عوض.. قلت له لأ، دا خالد عز..

ودا مين يشغلني عنك أنا

دا هواك دوّبني فيك

خليك دايما معايا هنا

خليك وحياة عينيك

قام حط الغلاف في عيني عشان أبطل مقاوحة، واكتشفت إن فعلًا مكتوب ملحّن الأغنية مصطفى عوض.. للحظة شكيت في نفسي وبعدين بصيت تاني، لاحظت إن الأغنية اللي بعدها اسمها (في ليلة) مكتوب جنبها ألحان خالد عز، قلت له ينقل على الأغنية دي.. وبعد ما سمعت منها جملتين عرفت إني صح، وإن لو (ودا مين) مش لحن خالد عز و(في ليلة) من ألحان الملحن التاني اللي ماكنتش أعرفه واللي اسمه مصطفى عوض، وإنهم اتلخبطوا وبدّلوا الاسمين.. يبقى أنا راجل مابيفهمش.

لو الموقف دا حصل من سنة ولّا سنتين كنت هافرح أخيرًا بالفرصة اللي جت لي عشان أنتصر وأكسب في نقاش وأطلع صح، وكنت هاعمل البدع لغاية ما ألاقي وسيلة تثبت صحة فرضيتي، بس لحظتها ماعملتش كدا، ولا حسيت إني محتاج أثبت حاجة لحد.. هزيت راسي وسكتت كأني بقول له (انت صح).. ماكنتش حاسس إن بعد كل اللي حصل لي دا، محتاج شهادة من حد على إني جامد، كفاية إني عارف.. وساعتها ولأول مرة من فترة طويلة اطمّنت إني مافقدتش نفسي ولا حاجة، أنا يمكن أكون كسبتها من غير ما أقصد.. وإني لما سحبت ورقي النهارده الصبح ماكُنتش جبان، أنا آه كنت بعمل دا بدافع اليأس، بس مفيش شك إن بجانب اليأس دا كان فيه شجاعة.. خلينا نقول إنها شجاعة اليأس، بس تظل شجاعة برضه.. لأن في الحقيقة الانسحاب مش شرط يكون جُبن، وإنه ساعات الانصراف بيتطلّب شجاعة أكبر بكتير من شجاعة البقاء والاستمرار.. الدافع اللي يوصّلك إنك تتخلّى عن الوضع اللي انت فيه عشان اتأكدت إن مش هو الصح بالنسبة لك، حتى لو ماكُنتش عارف إيه هو الصح، ولا عندك أي فكرة الخطوة الجاية شكلها إيه، وإذا حتى كانت موجودة ولّا لأ.. إنك تخطّي برجليك في الهوا وتتخلّى عن أرض صلبة واقف عليها، لأنها مش مكانك.. دا بالتأكيد يستاهل يتقال عليه شجاعة.

أونكل بن قال لبيتر في الجزء الأول من spider-man جملة:

- with great power comes great responsibility.

وهو كان عنده حق.. بس نسي يقول له إن ساعات الـ great responsibility هي كمان بتخليك تكتشف great power ماكُنتش تعرف إنها موجودة.. ومفيش great power في الدنيا أكبر من إنك تلاقي نفسك في وسط كل دا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠٥

كُتّاب الخيال العلمي وصفوا خط سير الزمن بأوصاف متعددة.. مسار دائري مغلق.. مسار حلزوني.. نهر بيتفرّع لمسارات متشابكة زي الشجرة.. وفيه اللي قالوا إنه كل دول مع بعض، بحسب الحتة اللي انت واقف فيها.. والحتة اللي أنا واقف فيها ساعتها كانت مخلياني شايف إن الزمن شبه القطر، ماشي في اتجاه واحد، ماينفعش يرجع بضهره، وفيه محطات حتميّة لازم يعدّي عليها بالترتيب.. ماينفعش وانت في دمنهور تقول له فيه حاجة وقعت مني في إيتاي البارود لو سمحت، مش هايسمح.. كل اللي تقدر تعمله إنك تزوّد سرعة القطر أو تقللها، تخليه يقف في محطة فترة أطول من المعتاد، أو يعدّي على محطة تانية من غير ما يقلل السرعة.. وأنا ماكانش عندي أي نيّة أرجع بالقطر، حتى لو كان ممكن، لأن ماكانش عندي اختيار معين شايف إن هو اللي بوّظ لي الخطة الكبيرة والمفروض أندم عليه، بس في نفس الوقت ماكُنتش مستعد للي جاي.. عشان كدا قرّرت أبطأ الزمن شوية.

دي كانت أول مرة على حد ما أنا فاكر، أقود مبادرة، وواحد من أصحابي يشاركني فيها.. لاقيت إعلان في الجرنال عن معهد سنتين في الهرم، بيقبل أي حد حاصل على شهادة ثانوية من أي نوع، دون التقيّد بالمجموع ولا بسنة التخرج.. من شكل الإعلان واسم المعهد عرفت المكان دا عبارة عن إيه، دا مكان بمصروفات مش كبيرة، الدراسة فيه مش مهمة، والشهادة بتاعته مش معتَمدة من أي جهة.. بس كان بيقدم خدمة ممتازة للناس اللي وراها شغل وعايزة شهادة مؤهل فوق متوسط تزود بيها مرتبها ١٠٠ جنيه ولّا حاجة.. بالنسبة لي كان بيقدم لي أكتر من خدمة، كان بيعمل تأجيل للتجنيد، تأجيل لفكرة البحث عن شغل منحط في مكان حقير بفلوس لا تُذكر، تأجيل لسؤال آدينا خلصنا، إيه الخطوة اللي بعد كدا، ودا كان أكتر من كافي.. قلت لفريد صديقي اللي مش سعيد في شكل حياته الجديدة ولا في مكان شغله مع أبوه، إننا نقدر نشد أستك الزمن شدة زيادة، تخلي الخطوات الحتمية دي تتأخر حاجة بسيطة، زائد فرصة لا بأس بها للخروج والبنات والحاجات اللي هو مفتقدها، واللي بالنسبة لي ماكانِتش بتمثّل أي قيمة، لأني وأنا عندي تسعتاشر سنة، ماكنتش ارتبطت ولا مرة، ولا دخلت علاقة من أي نوع، ولا عندي فكرة دا المفروض يحصل إزاي وليه.. وإيه معنى إن واحد يشوف واحدة وتعجبه، فيقوم عاجبها تلقائيًا، وتاني يوم كل واحد فيهم يبقى مش قادر يعيش من غير التاني.. أكيد مش بالسهولة والسطحية دي.. اللي خلاني أفكّر بالشكل دا هو انغماسي في قصة حب مستحيل بقى لي كام سنة، حكاية بائسة جدًا، لولد حَب بنت من طرف واحد، لا قادر يقول لها ولا قادر ينساها، وحتى مش عارف يشتكي لاصحابه ويندب لهم، لأنها أخت واحد فيهم.. تعقيد شكسبيري يليق بيا وبشخصيتي، وبحياتي اللي عاملة زي عربية ماشية بأقصى سرعة، وأنا صحيت من النوم لاقيتني قاعد ورا الدركسيون بتاعها، ومطلوب مني أتعلم السواقة دلوقت حالًا. في البيت أقنعتهم بسهولة إن تجربة السنة اللي فاتت ماتتحسبش، وبعدين قدرت أقنع فريد إنه ييجي يقدم معايا.. وساعدني إن المصاريف ماكانِتش كبيرة، وهو ماكنش عنده حاجة يخسرها، وماحدش اعترض.. كان مهم بالنسبة لي يوافق، لأني كنت محتاج أي عنصر قديم من العالم الأساسي بتاعي خلال الرحلة دي.. في آخر كام سنة كانت حياتي شبه المصفاة، ناس كتير بتدخل، وناس كتير بتخرج، طول الوقت.. وأنا دايمًا مُحاط بناس بس لوحدي، لأني عارف إنهم عابرين، ومتصالح مع الفكرة دي.. لكن أصحابي بتوع أكتوبر، اللي كانوا من أوائل الناس اللي عرفتهم، مش هايروحوا في حتة، مهما تفرّقت السبل كل

واحد في بيته وسهل نتقابل حتى ولو صدفة في الشارع، وبيننا مخزون من المواقف والذكريات يسمح بإني اعتبرهم الناس بتوعي بشكل أو بآخر.. وأنا كنت زهقت من فكرة إني عمال أخرج من عالم أدخل عالم، مش لاحق آخد نفَسي ولا أستوعب أبعاد الوضع اللي أنا فيه.. وفكّرت في إن الاستعانة بعنصر من العالم الأساسي دا، ممكن يبقى نقطة ارتكاز مناسبة، تساعدني مافقدش التوازن أثناء المرور بكل المتغيّرات اليومية.. وقلت لنفسي على الأقل لو هاكمل، ولو دا الشكل الحقيقي للحياة، يبقى مفيش داعي أكمل لوحدي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

محمد فؤاد هو كمان كان واحد من أصدقاء طفولتي، والأغاني بتاعته كانت دايمًا بتلاقي لها مكان في قلبي بسهولة، بسبب إنه بسيط وطبيعي ومش عامل فيها نجم بالطريقة التقليدية.. وأنا فاكر إن (القلب الطيب) كان أول شريط اشتريته له، بعدها رجعت اشتريت له (حيران) و(قلبي وروحي وعمري) وكملت معاه فترة بكتشفه في الاتجاهين، مرة عمل جديد ومرة شريط من الحاجات القديمة اللي ماحضرتهاش في وقتها.. وفضلت متابع فترة، لحد ما انتباهي انصرف بالتدريج عن أواخر الشرايط بتاعته، وبدأت أركز أكتر مع الجديد اللي بيطلع كل يوم.. عشان كدا لما نزل شريط (حبيبي يا) كان خبر حلو، لأنه كان واحشني، واعتبرت إن الشريط دا جه في الوقت المناسب.. صوت من العالم بتاعي، يونسني أثناء اجتياز عالم غريب آخر.

عجبني إن مود الشريط بيميل عمومًا إلى الفرفشة، وإن أغانيه إيقاعاتها كلها تقريبًا سريعة وعالية وبترزع جامد، كمية دوشة قادرة على طرد الأرواح الشريرة.. عشان كدا الشريط دا كان هو رفيق رحلتي الأساسي في المواصلات من أكتوبر للهرم والعكس.. لأن الطريق كان بيقف كتير لدرجة مملة، تخليك تنفرد بذاتك وتبدأ تفكّر في أسئلة وجودية، أو تفتكر قصتك البائسة وتفضل تجتر أشجانك لحد ما الطريق يتحرك.. وأنا كنت محتاج الدوشة دي عشان اكتشفت قدرتها المدهشة على تشتيت وبعترة أفكاري.

حبيت أغنية (حبيبي يا) رغم غرائبية طريقة كتابتها ولحنها، وتوقّعت إن اللي عمل الكلمات دي لازم يكون عارف من البداية هي هاتتلحّن وتتوزع وتتغنى إزاي.. وبعدين عرفت إنها كلمات وألحان فؤاد نفسه، وحبيت المعلومة لأنها جاوبت على السؤال بشكل كافي، وكمان عرّفتني سبب خصوصية الأغنية.. كنت بسأل نفسي إزاي الأغنية دي حد كتب كلماتها وبعتها لملحن، وبعدين الملحن عرضها على مغنّي.. أغنية ماحدش يقدر يكتب كلماتها في إهداء على ضهر أجندة زي ما العيال كانوا بيعملوا، ولا حد يقدر يدندن لحنها.. تخيَّل نفسك ماسك كراسة وبتكتب في آخر صفحة جملة:

حبيبي يا حبيبي يا حبيبي انت فين؟

جايز ماكانِتش أجمل أغنية في سنتها، بس الأكيد إنها كانت أكثرهم خصوصية وتعبيرًا عن الفنان اللي صنعها، ومتصوّر إن أي حد غير فؤاد لو جرب يغنيها، كان هايبقى شكلها مُفتعل ودمها تقيل.. ودي ميزة لا يمكن تجاهلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حبيت إن الدراسة في المعهد يومين بس زي أيام ثانوي، ودا وفر لي كل أسبوع أربع أيام، ينفع أشتغلهم في مصنع البوزو.. في الفترة دي كنت متعود أتمشّى في المنطقة الصناعية كل يوم على رجليا، أخبّط على أبواب المصانع وأسأل الأمن والغفر: مش عايزين عُمّال؟.. وعمال الإنتاج في المصانع دي وظيفتهم محددة وبسيطة: رص كراتين، تعبئة، شيل وحط، عد أشياء، كتابة أرقام وملاحظات.. مهام نمطية روتينية مش محتاجة مجهود عضلي ولا ذهني ولا محتاجة شهادات ولا خبرات معينة.. ورغم إن النوع دا من الوظايف كان أكتر حاجة مابحبهاش وبحس إني واحد تاني وأنا بعملها، إلا إنها عاشت معايا فترة لأن ماكنش فيه غيرها.. بس لما الملل وانعدام الشعور بالذات كانوا بيبتدوا يطفحوا جامد، في لحظة معينة بيروح القرار متاخد فجأة: أنا طالع أستقيل دلوقت حالًا، بعدها بثواني بيكون اتنفّذ.. وبعدين أبتدي أدور تاني على وظيفة مماثلة في مكان مشابه.. بس اللي هوّن المسألة المرة دي هو إن فريد كان برضه معايا في المصنع دا.. كل واحد فينا قال لنفسه: على الأقل فيه حد تقدر تتكلم معاه وتشاركه الضحك والشكوى والتريقة بنفس لغتك.

ساعة التقديم في المعهد، اخترنا إن أيامنا تكون سبت وتلات، ومواعيد محاضراتنا في نفس الوقت، ودي حاجة كانت نتيجتها أكبر وأحسن ما كنا متوقعين، لأن وجود صديقين سوا في مكان، كل اللي فيه غرباء ولسه بيحاولوا يستكشفوا العالم والناس، كان عامل جذب مهم.. غير إننا كنا شاطرين وأذكيا، والميزة الأهم وهي إننا كنا بنعرف نخلق ضحك في وسط المحاضرات الكئيبة، وبنكسر الصمت والهدوء بأي حاجة.. دي أسباب خلت الناس تقرّب مننا وتحاول تعرفنا، سواء الطلبة أو المدرسين.. وخلال فترة قصيرة بدأت الشلة تتشكّل.. ودي كانت أول مرة أكون ضمن شلة كبيرة وبتكبر كل يوم، بل وأكون من ضمن أعمدتها الأساسية، مش مجرد عنصر فرعي جه مع حد، والأهم من كدا إن الشلة دي يكون فيها بنات.. حتى البنات اللي كانوا بيبصوا علينا بفضول بيحاول إنه يبان تناكة أو استنكار، يمكن لأنهم مش متعودين على أسلوب هزارنا، وساعات من باب الحرص والاحتياط، غير طبعًا البنات اللي التناكة كانت هي وضعهم الافتراضي.. هما كمان بالوقت بدأوا يفكّوا وينضموا لنا في قعداتنا بين المحاضرات.

لغاية ما في يوم فاكر إني مارحتش المعهد، وكان يوم تلات، ولما رحت تاني مرة بعدها، لاقيت الجو مش طبيعي، فيه حاجة غلط.. كالعادة سلّمت على عم عويس بتاع الأمن ودخلت، قابلت أمينة ودنيا وأمير ومحمود الصعيدي، وسلمت عليهم كأني راجع من سفر، حتى فريد خدني بالحضن، بسبب إن غياب يوم معناه إنك ماتشوفش الناس لمدة أسبوع.. وقبل ما أقعد كانت زهرة ياسين بتلم كشاكيلها وتقوم تمشي، من غير ما تسلّم ولا تبص ناحيتي.. اعتبرت إن حد ندهلها أو حصلت حاجة خلتها تقوم فجأة، بس لما قعدت في وسطهم لاحظت توتر غريب، وكل ما أبص لحد ألاقيه بيحاول يتصرّف طبيعي، بس واضح إن كل حاجة بتحصل مش طبيعية.. حاولت أتصل ذهنيًا بفريد وأسأله من غير كلام: هو فيه إيه؟ هز راسه وهو مستغرب وكمل كلام وهزار عادي.. أنا مابرتاحش في الجو دا، وقبل كدا لما كان بيحصل موقف مماثل، كنت باروح أقعد لوحدي وأعتبر إن التجمّع دا لفظني أو حَب يستبعدني ببطء، أقوم أنا أستبعد نفسي بسرعة.. المرة دي ماعملتش كدا، أخدت أمينة على جنب وسألتها، هو فيه إيه بالظبط؟ مالكم بتتصرفوا كدا ليه وإيه اللي خلى زهرة تمشي أول ما أنا وصلت؟ قالت لي إن تصرفي كان غريب جدًا والمفروض كنت أبلغها بنفسي مش أخلي حد يقول لها، وكمان قدّام الناس مش بينه وبينها.. طبعًا مافهمتش ولا كلمة وحاولت أستفهم منها، فاعتبرتني باستعبط

وسابتني ومشيت.. بعدها حاولت أتكلم مع زهرة يمكن تفهّمني أنا زعلتها في إيه، لاقيتها بتهرب مني تاني، فقعدت لوحدي مابكلمش حد وقافل وشي طول اليوم، لغاية ما جه ميعاد الخروج، وساعتها فريد اعترف لي وهو فطسان على نفسه من كتر الضحك، إنه عمل فيّا مقلب يوم التلات اللي غبت فيه، وراح قال لزهرة إني بحبها بس مكسوف أتكلم معاها.

فجأة حسيت إني صدعت والدنيا اصفرّت قدام عينيا، ووقفت متنّح مش فاهم الكلام دا بجد ولّا هزار.. وفضلت باصص عليه وهو بيعصر بطنه عشان يصطنع ضحكات هستيرية مزيفة، تبين لي إن الموضوع so funny..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وإزاي هادوب بعد ما دُبت في حبه دوب

وأهرب إزاي م المكتوب دا أنا من يومها قلبي داب

خلاني ليه أتعلق بيه وأتشد ليه

دا أنا عايش عمري ليه وبقيت مش قد العذاب

اديت الكمساري الخمسة جنيه اللي في جيبي ونسيت آخد الباقي والتذكرة، بسبب الأغنية اللي كنت مشغّلها عشان مافكرش في أحداث اليوم دا، وبرضه فكّرت..

إيه اللي خلاه يعمل كدا؟ أنا كنت بشوف منه تصرفات أغرب وإحنا في إعدادي، وكنت متخيّل إن دا عشان كنا صغيرين، وعشان أنا كنت مُغري بالخداع، وردود فعلي الساذجة كانت بتسعد طفل سيكوباتي زيه.. بس ليه دلوقت؟ ماكبرناش على الهبل دا؟ اللي حصل دا مش هزار.. وسواء الدوافع اللي وراه، أو النتايج المترتبة عليه، الاتنين زفت.. أنا واخد بالي إنه بيتغيّر معايا شوية بشوية، من وقت ما بدأ يلاحظ شعبيتي في جروب المعهد، وهو ماكنش يعرف الجانب دا من شخصيتي.. هو كان عارفني وأنا صغير وتايه وبسأل خمسين سؤال في الساعة، وأفعالي بتدل على عته اجتماعي.. أكتر من مرة حاولت أنفي الفكرة، بس كانت بتحصل تصرفات، وتيجي على بالي ذكريات قريبة وبعيدة، ماتتفسّرش غير كدا.. لكن حتى لو، توصل لدرجة إنه يغير مني ويبوظ علاقتي بالناس؟ يا ترى مين في البنات لمحت له إني عاجبها فقرر يعمل كدا عشان يقفل الباب للأبد؟ واشمعنى اختار زهرة البنت الغلبانة اللي في الجروب؟ عشان عارف إنه مش هايفكر يخرج معاها مثلا؟ اعتبرها تضحية غير مكلّفة؟ وأنا شكلي إيه دلوقت بعد ما كنت طالب شاطر بيجيب امتيازات بس، وزميل لطيف وذكي وذوق مع كل الناس، يقولوا عليا إيه؟ بيحب واحدة ومكسوف يكلمها بنفسه؟

طب لو قلت لها الكلام دا كذب وصاحبي كان بيهزر، وأنا بريء منه ومن عمايله.. هارد عليه السلام بعد كدا قدامهم إزاي؟ وهما هايتعاملوا معايا إزاي بعد ما زهرة تقرر تقاطعني للأبد وتتجنب وجودي حتى وهي عارفة إن ماليش ذنب.. لأن سواء كان الموضوع مقلب من فريد وأنا بريء، أو كانت قالت له إنها معجبة بيا مثلًا فهو تطوّع وقال لها الكلام دا، هايبقى من حقها -ووارد جدًا تستخدم الحق دا- إنها تقرر تقاطعني.. عشان قلبها اتكسر، عشان شكلها بقى وحش، أو حتى عشان مش عايزة وجع دماغ.. في كل الأحوال النتيجة واحدة، وهي إن الأمور مش هاترجع زي ما كانت.

حبيبي يا ريت يعدّيها

بلاش يفضل مقضّيها

يحيّر فيا كل شوية

يشغلني بسحر عينيه

قولوا له الناس لبعضيها عينيه وخلاص بادوب فيها

وخَدني جماله قلت وماله وبقولها له ودا من إيه؟

طلع مفتّش وسألني عن التذكرة، قلت له التذكرة والباقي مع الكمساري، لاقيت الكمساري بيديني التذكرة والباقي، ويقول لي ناديت لك مرتين ومارديتش.. طفيت الأغنية وأنا لأول مرة بلاحظ التباين الغريب بين مود الكلمات اللي بسمعها وشكل الحالة اللي أنا فيها، وحسيت بالفصلان بعد ما انتبهت للكلمات.. إحنا في إيه ولّا في إيه؟ استخدامي للشريط كـ "كودية زار" حداثيّة خلى الكلام يدخل من ودن ويخرج من التانية.. حطيت الفلوس في جيبي وبدأت أشوّش على انتباهي بأصوات الشارع ورغي الركاب المتداخل..

لما وصلت البيت، دخلت الأوضة ورميت نفسي على السرير وفضلت باصص للسقف فترة طويلة، كنت بحاول أعرف إيه التصرف في موقف زي دا.. كل الاحتمالات المطروحة هاتتسبّب في نتائج أسخف من بعض: زهرة تخرج من الشلة، أنا أخرج من الشلة، ماحدش يخرج لكن الشلة تفقد روحها ويبقى دمها تقيل، الشلة تتفركش بالكامل، الشلة تتقسّم أجزاء صغيرة، أقاطع فريد، أكسر قلب بنت ماعملِتش أي حاجة، يطلع شكلي وحش.. بوفيه مفتوح من الاحتمالات السيئة، تقدر تعمل منهم تشكيلات مالهاش آخر.

أمي ندهت عليا في الوقت المناسب عشان أقوم أتغدّى.. وإحنا بناكل وفاتحين التليفزيون اشتغلت أغنية (لو)، كليب فؤاد الأقرب إلى قلبي.. أول ما سمعت البيانو في أولها، عيني نوّرت وافتكرتها بسرعة.. ضحكت على جملة (سيناريو: أحمد البيه) وقت ما شفت الأغنية أول مرة.. كنت مستغرب الجملة دي، بس دلوقت فهمت سببها ومعناها.. هو سيناريو فعلًا لأن الكليب يعتبر فيلم روائي قصير، مش مجرد قصة درامية تقليدية.. فيه كوميديا وتراجيديا وإسقاطات ورمزيات، وكسر للحائط الرابع.. تقنيات ذكية جدًا علي إنها تبقى موجودة في فيديو كليب مصري معمول ببقايا خامات منزلية، بس الحقيقة إنها كانت موفقة..

كل واحد مننا ليه ماضي ليه ذكرى

قلبك قسي ولّا نسي أكيد عينيك فاكرة

هابعد واسيبك للزمن

والدنيا ولبكرة

ولو عايز تفتكرني..

غمض عينك دقيقة..

وانت تلاقي الحقيقة

آه لو..

رجّعت شريط حياتك.. قلّبت في ذكرياتك

وافتكرت أنا كنت بحب محمد فؤاد ليه..

تاني يوم وأنا نازل المعهد حاولت أحط شريط (حبيبي يا) لاقيتني مش مستعد له، وأخدت بالي إن فؤاد اتغيّر في طريقة غناه وطريقة اختياره وشكل المزيكا بتاعته.. مش تغيُّر للأسوأ، بالعكس.. دا فيه تطوّر واضح وتميز ملحوظ في عناصر كتير.. بس جايز الطريقة اللي هو اتغيّر بيها مش مناسبة ليا أنا بالذات، لأنها فقدت بعض العناصر الهامة اللي حبيت شرايط وأغاني فؤاد عشانها.. واللي خلاني أسمع الشريط دا بالطريقة دي، هو إني ماكنتش عارف أتواصل مع اللي هو بيقدمه بشكل كامل، لكن مش واخد بالي.. بسبب إن المطرب اللي بيغنّيه واحد من الناس بتوعي.. لكن في الحقيقة أنا ماكنتش عارف أبني علاقة مع الشريط لأنه مش عاجبني.. ومش عاجبني مش لأنه وحش، هو حلو وكل حاجة.. بس مش الحاجة اللي كنت محتاج لها.

لما وصلت المعهد يومها، ماسلّمتش على حد، اتجهت لزهرة رأسًا وقلت لها أنا عايز أتكلّم معاكي.. اتاخدت وحاولت تهرب بس ماديتهاش فرصة.. قلت لها اللي فريد قاله لك مظبوط، وماجيتش أكلمك بنفسي عشان كنت مكسوف.. أنا ماكلمتش بنت قبل كدا ومعرفش دا بيتعمل إزاي، وهو عرض يساعدني.. لكن أنا بعتذر لك، أنا ماطلبتش منه يقول لك كدا قدام الناس أكيد.. لو الكلام دا عاجبك قولي لي، ونبقى كلنا مبسوطين.. لو شايفة إن الكلام مش عاجبك أو مش مناسب، أو أنا وصاحبي اتنين أراجوزات، عادي ممكن تقولي لي برضه، ونرجع طبيعيين من غير ما تطلعي تجري كل ما تشوفيني وتخلي شكلنا كلنا غريب.. إيه رأيك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ماكُنتش قادر أتوقّع ردها على الكلام دا، بس كنت متأكد إني أنقذت ما يمكن إنقاذه وقدرت أمشي على الحبل من غير ما أوقع الأطباق.. كان لازم ألبس النكتة لأن دي أقل تضحية ممكنة في المعادلة.. وقرّرت إن مهما كان الرد هاتعامل معاه، والله لو قالت إنها عايزة ترتبط يالا إيه المانع؟ أهو تغيير، واللي يزهق يمشي وخلاص.. أما لو اعتذرت، هايكون دا الحل اللي ينقذ الموقف، وأنا كشخص جنتلمان جدًا هاتقبّل "الرفض" بشكل شيك، يحسسها إن كل حاجة تمام، فتطمّن، ونرجع شلة طبيعية.

قالت إنها موافقة، وبقينا مع بعض.. أسبوعين بالظبط خرجنا خلالهم مرتين تلاتة، خروجات رباعية.. أنا وهي وأمينة وفريد.. وفي واحدة من الخروجات دي، أمينة اعترفت لي سرًا إن لولا أنا وزهرة معاهم ماكانِتش هاترضى تخرج مع فريد لوحدهم.. وطبعًا هو ماكنش عايز يخرج معاها في رحلة جماعية.. مفهوم!

مرة دخلنا فيلم أخجل من ذكر اسمه -كان يوم حبك!- حفلة تسعة صباحًا في سينما كوزموس.. والتانية كانت قعدة على كورنيش التحرير، ويومها رجعنا مشي من وسط البلد للمريوطية عشان فلوسنا خلصت، بس كنا مبسوطين وماحدش فينا اشتكى من التعب.. كانت تجربة لطيفة جدًا.. تاني مرة شفتها بعد الخروجة دي كانت مطفية ومخذولة وبتعيّط.. مالك يا بنتي؟ قالت إن جالها عريس وأهلها عايزين يغصبوها عليه.. إيه الدراما المبالغ فيها دي، هو الكلام دا بيحصل في الواقع مش بس في الأفلام الأبيض وأسود؟ سألتها مين دا، طلع ابن خالتها اللي كان مسافر بقى له سنتين ولسه راجع.. طب انتي ليه متفاجئة، المفترض يعني يكون عندك فكرة، ولّا هو طلع في دماغه فجأة يتقدم لك وأهلك ماصدّقوا؟ قالت لي: أنا مضطرة أوافق، قلت لها ع البركة.. وقعدت تعيط بقية اليوم لوحدها على جنب.. الكلام دا كان يوم السبت، يوم التلات رحت الصبح لاقيتها واصلة قبلي وواقفة في نص المعهد والبنات ملمومين حواليها وبيضحكوا كلهم وبيتفرجوا على الدهب بتاعها وهي سايحة على نفسها من كتر الضحك وهاتنفجر من الحماس وناقص تغني ماتزوقيني يا ماما في حوش المعهد.. فريد بص لي وشكله كان مترقّب رد فعلي.. بصيت له بصة "انت اتجننت يا عم ولّا إيه؟" ورحت سلمت عليها وباركت لها.. والتفاهم كان سهل بيني وبينها، من غير ما نضطر نفتح في مواضيع.. دي كانت علاقة عبيطة والحمد لله إنها جت على قد كدا.. ولاقيت فريد داخل بيضحك ويقول لي شد حيلك وعايز يسلم عليا.. طلعت جريت وراه في المعهد كأننا في إعدادي، وإحنا الاتنين نفَسنا مقطوع من الضحك.. ولما وقفنا وهدينا شوية، قال لي بس إيه رأيك؟ بصيت له وابتسمت وعملت نفسي بنهج من الجري عشان ماضطرش أرد..

بعدها مابقيناش ننزل ونرجع سوا تاني.. الأول كنا بنعمل كدا كل مرة، وبعدين عدد المرات بقى أقل، وبقينا بنتقابل هناك نصبّح على بعض زينا زي بقية الناس.. والمرات النادرة وقتها اللي كنا بنروّح فيها مع بعض، كان الكلام كله بيكون عن المعهد والعيال اللي في المعهد، ودي حاجة أي زميل مستجد كان يقدر يقدمها لي، ماكانِتش محتاجة حد من الناس بتوعي.. لكن بعد اليوم دا، مش فاكر إننا رحنا أو رجعنا سوا تاني.. بس دا مايمنعش إن وجوده معايا في مصنع البوزو فضل مهم، لغاية اليوم العشوائي اللي جينا فيه بدون أي تخطيط الساعة حداشر ونص الضهر.. واحد فينا حط الشغل اللي في إيده على الترابيزة وقال للتاني: تيجي نطلع نصفّي؟ قبل ما يكمل الجملة كان التاني قايل له: ياللا بينا.. ومشينا سعداء بالإنجاز البطولي دا، وبصُرّة الدنانير.. كيس بلاستيك لكل واحد، مليان إنصاص وأربع معدن.. فلوس تصفية الحساب.

أخدت بالي إن خطتي في توقيف الزمن مانجحتش.. بدليل إن خلال السنة دي كان عندي طموح معين، ودوّرت على معهد تاني، وعملت شلة أصدقاء جديدة تمامًا، واندمجت معاهم بسهولة، واشتغلت في أماكن مختلفة.. وأنا كنت فاكر نفسي شادد أستك الزمن، أتاري الزمن كان ماشي طبيعي، والعناصر بتتجدد حواليا، وجوايا.. والحاجات بتحصل لي، وبعملها.. وفهمت وقتها إن فكرتي عن العالم القديم بتاعي فكرة ساذجة جدًا، لأن فيه مسافة سنين فصلت بيني وبين "الناس بتوعي" دول، وخلال السنين الناس بتتغيّر، والبُعد بيقلل ترتيبهم عند بعض في قوائم الأولويات، وبما إن الناس محطات في حياة بعض، يبقى لو فيه ناس ينفع يتقال عليهم (بتوعي) فعلًا، هما الناس اللي في المحطة اللي أنا فيها.. وقلت لنفسي: ماتخلّيش الناس اللي في حياتك على الهامش لمجرد إنهم عابرين ومؤقتين.. لأن في الحقيقة كل الناس عابرين، واللي بيفرق بس هو فترة تواجدهم في حياتك،

واللي بيحدد طول بقاء الناس في حياة بعض هو الرغبة المشتركة، لكن في النهاية كل علاقة لها عمر.. وبرضه لأن الناس بتوع المحطات السابقة، مهما كانوا مهمين، ومهما كانت المحطات دي جميلة.. فهي خلصت، والرحلة ماخلصتش.. تقدر وانت في القطر إنك تتابع بعينيك المحطات اللي بتغادرها، وتحتفظ بيها عايشة في وعيك فترة، رغم إنك خرجت منها.. بس دا لا يعني أي شيء أكتر من إنك رافض تبص قدامك، وبكل تأكيد دي مش مشكلة أي حد غيرك..

مديت إيدي في الشنطة أطلّع شريط أسمعه، طلع في إيدي (حبيبي يا).. بصيت له كتير وأنا مش مجمّع، هو ليه لسه في شنطتي لحد دلوقت، مش في علبته في الدرج؟ غريبة إن لحد الأسبوع اللي فات بس كان وجوده معايا طبيعي، ودلوقت غريب.. لما أروّح أبقى أفتكر أرجّعه مطرحه.. حطيته في الشنطة تاني وطلّعت بداله شريط (توصى فيي) بتاع يارا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠٦

وأنا صغير، كان عندي أسئلة كتير قوي، وأفكار، وافتراضات، وملاحظات، واستفسارات، عشان كدا بالنسبة لأسرتي كنت ولد رغاي وزنان ومزعج.. تعليقاتهم المتكررة خلتني أفضّل السكوت وعلمتني أخلي رأيي لنفسي.. ودا خلى العالم مكان غامض في نظري، مش قادر أتواصل معاه وأعرفه، لأن فيه حد هايسكّتني أو يتريق عليا لو اتكلمت.. وخلاني طفل غامض في نظر العالم، لأني دايمًا ساكت.. أنا ماكنتش الطفل التقليدي اللي بيحب الكورة ويتابعها ويلعبها، ماكُنتش شفت أفلام ولا عرفت ناس ولا كان عندي ليستة طويلة من الاهتمامات والأنشطة.. مفيش غير القصص اللي كنت بقراها، وساعات مجلة الشباب، وأهرام الجمعة، ومرة رواية لإحسان، ومرة رواية للسباعي.. عشان كدا كان بديهي بالنسبة لي إن يوم ما أفكر في وسيلة للتعبير عن اللي مش قادر أعبر عنه، أفكر في الكتابة.. وحتى بعدين لما بقيت باسمع مزيكا، واتكوّن عندي مخزون ما، أو رأي موسيقي.. مافكرتش إني أنفع مطرب ولا ملحن ولا عازف.. لكن كتبت كلمات أغاني.

دا زمان كان أول إدراك لفكرة إن عايز لما أكبر أبقى كاتب، ماكنتش عارف هاكتب إيه، بس كنت عارف إني أنفع كاتب كويس.. وأول واحد لفت نظري للمسألة دي كان أستاذ عبد الله مدرّس اللغة العربية في رابعة ابتدائي، لما قرا لي موضوع تعبير، وساب الحصة وقعد يسخّف عليا قدام العيال وهو مستمتع جدًا، هي ليه (ذاهبًا) مش (ذاهبٌ)؟.. طب هي تلك ولّا تلكماااا؟!.. لحد ما في الآخر خلاني قلت له في سرّي: يا أخي أنا أستاهل ضرب الجزمة إني كتبت موضوع تعبير عجبك!

في الوقت دا كنت كل كاتب أقرا له، بعدها على طول ألاقي نفسي بقيت باكتب زيه.. مرة على مرة خدت بالي من تكرار الموضوع دا، واتضايقت لأني ماكنتش فاهم.. رحت سألت أبويا على الحكاية دي، قال لي: دا عشان انت لسه صغير.. بكرة لما تكبر وتكون قريت كتير وبدأت تعرف نفسك، هايبقى لك أسلوب خاص بيك، واللي تقرا لهم بعد كدا تتعلم منهم من غير ما تتأثر بيهم..

أنا كنت فاكر إني لاقيت نفسي لما قرّرت أبقى كاتب، واضح إن الموضوع كبير.. ودلوقت مطلوب مني أقرا لناس كتير عشان أقدر أتخطى المرحلة دي.. كان عندي مشكلة مع كتب توفيق الحكيم، والعقاد، وطه حسين.. وكنت شايف إن دمهم تقيل ومكشرين على طول وكلامهم قديم.. ونجيب محفوظ كان غامض بالنسبة لي.. ودا كان مضيّق مصادر الاطلاع عليا أكتر.. في المرحلة دي من حياتي ماكانش عندنا تليفزيون ولا فيه كهربا في العمارة كلها، بالتالي ماكانش فيه غير نافذة وحيدة على العالم، لما ماكنتش بلاقي حاجة أقراها، كنت بلجأ لها دايمًا وعمرها ما خذلتني.. يعني هي آه كانت فترة بدائية محرومة من حاجات كتير، ولكن الحاجة اللي حصلت عليها خلال الفترة دي كانت رائعة وفريدة في تأثيرها عليا.. الراديو.

اتصاحبت عليه بسرعة، وحبيت البرامج والأغاني والتمثيليات بتاعته.. الصبح إذاعة البرنامج العام، عشان الأخبار وهمسة عتاب وإلى ربات البيوت، ويوم الجمعة أغرب القضايا.. بعد الضهر الشرق الأوسط عشان تسالي.. وبالليل القرآن الكريم عشان ننام على حس الشيخ عبد الباسط لو كان الكشّاف مشحون.. وبجانب كل حاجة متعلقة بالراديو حبيتها، كان فيه مكانة عالية قوي، مخصصة بالكامل

للراجل العظيم، اللي ساهم في تكوين شخصيتي من بدري، ومن غير ما يعرفني.. الأستاذ فؤاد المهندس.

الراجل دا فوق إني كنت بحب صوته، وبحب حضوره جدًا، هو كمان علّمني حاجة جوهرية، مفيش كاتب من اللي قريت لهم عرف يعلّمها لي.. وهي إن ممكن يكون عندك حدوتة حلوة، بس المهم إنك تكون بتعرف تحكيها حلو.. ومفيش كاتب عرف يعلمها لي، مش لتقصير منهم، ولا عيب في كتاباتهم مثلًا، بس الطبيعي إن كل كاتب بيكون صاحب فكرة الكتاب بتاعه، ولو الكتاب ممتع، خلاص.. مش هاخد بالي عشان أفصِل بين متعة الحكاية وقدرة الكاتب على الحكي.. وكذلك لو الكتاب ممل، مش هافكّر هي الحكاية مملة ولّا الكاتب هو اللي مش عارف يحكي.. ودا لأني ماكنتش لسه اكتسبت حس نقدي قادر على تمييز الفرق دا، أو ماكنتش اتعرّضت لتجربة تخليني آخد بالي من وجوده.. إنما مع برنامج (كلمتين وبس) كان الوضع مختلف، لأن الكاتب كان الأستاذ أحمد بهجت، صاحب الحواديت الحلوة، اللي ممكن تتقري زي ما هي وتفضل حلوة.. لكن لو اتقالت بصوت حد، لازم الحد دا يكون بيتمتع بالحضور والقدرة الممتعة على الحكي، ويكون الأداء بتاعه على مستوى جمال الشيء اللي هايقراه، إن لم يكن أعلى.

الراديو عاش معايا فترة مهمة، لغاية ما الكهربا دخلت العمارة عندنا، وبعدها حياتي بقت حاجة تانية، وأنا بقيت شخص تاني.. نقلة نوعيّة، وقفزة مهولة حصلت لي وقتها.. كنت بالظبط زي الإنسان الأول ساعة ما اكتشف النار.. أنا كمان كنت عايز أكتشف الكهربا وأقرّب منها وأفهمها، فقرّرت أتخصص في دراستها من بدري، حتى لو دا هايحطني في مواجهة مع أهلي.. زمن الشقاوة والهرمونات والقرارات السهلة.. والحياة خدتني كام سنة بعدها، لكن فضل الراديو مهم بالنسبة لي وبفتقده، وكل ما تيجي مناسبة أسمعه ماكنتش بضيّعها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من حوالي سنتين كان عندي مشروع طموح، وهو عمل شريط كوكتيل لبرامج الإذاعة المفضلة عندي.. أغنية يا صباح الخير ياللي معانا، قطرات الندى، أخبار خفيفة، أغنية بالسلامة يا حبيبي، غنوة وحدّوتة، ساعة لقلبك، تسالي.. إلخ.

المشروع دا كانت صعوبته في إني هاسجّل من الراديو اللي إشارته مش فائقة الجودة، على شريط قديم متسجّل عليه قبل كدا، ومفيش مجال للحصول على أي نقاء، ولا فيه مجال لعمل مونتاج.. والحل الوحيد اللي لاقيته، كان صعب ومعقّد في تنفيذه، ومش هايحل مشكلة نقاء الصوت، بس على الأقل كان هايعالج مشكلة المونتاج.. وهو حفظ ميعاد البرنامج بدقة، وبعدين آجي تاني يوم قبل الميعاد بخمس دقايق، وأكون مجهّز شريط قديم عشان أبتدي أسجل عليه، وبكدا أضمن إني آخد الحلقة كاملة من أول تتر البداية لآخر تتر النهاية.. وكانت الخطة إني ألم كل الشرايط القديمة المهمَلة في البيت، وأسجّل على كل واحد فيهم حلقة عشوائية من كل برنامج في الليستة، وبعد إجراء حسابات دقيقة للتأكد من زمن بداية كل حلقة في الشريط بتاعها، أبدأ أنقل اللي سجلته كله على شريط جديد واحد، بشكل منظّم.

وبسبب إن الكاسيت بتاعي أبو بابين اتعرّض وقتها لحادث أليم أودى بحياته، للأسف المشروع توقف بدري جدًا.. بس بعد ما كنت نجحت في تسجيل حلقة واحدة بالفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إذاعة جمهورية مصر العربية من القاهرة، تقدم

كلمتين وبس

سيد أفندي لاحظ إن الكلمة الحلوة قربت تختفي من المجتمع، ومن حياة الناس.. قال لعبده أفندي الحكاية دي، عبده قال له: قصدك إيه بالكلمة الحلوة يا سيد؟ سيد قال له: قصدي كلمة الحب.. كلمة التشجيع.. كلمة الصدق.. كلمة التسامح.. دلوقت الواحد يدوّر على أي كلمة من دول مايلاقيش.. الدنيا جرالها إيه يا عبده؟ عبده قال له: أنا مش فاهم لحد دلوقت، انت قصدك إيه بالظبط.. أنا بتكلم كلام عام يا عبده! مش بشتكي بشكل شخصي.. هدّيلك مثال علشان تفهم أنا عايز أقول إيه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يا ترى فين الشريط دا دلوقت؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت في تانية معهد ساعة ما كتبت آخر صفحة من الرواية دي..

من كام سنة بطّلت أكتب بالقلم الفرنساوي، وبقيت أشتري حبر سايل للقلم الباركر الأثري بتاع أبويا، وكنت بحب أستخدم نضّارة القراءة بتاعته أثناء الكتابة.. ماكنتش باستخدمها في القراءة لأني مش محتاج لها، بس في الكتابة كانت بتساعدني إن الكلام يطلع صغير والخط يطلع واضح وشكل الصفحة يكون منظّم أكتر.

كنت مخلّص أول جزء من رواية خيال علمي وفاضل جزء.. وقتها ماكُنتش بكتب عشان عايز أنشر، لأن ماكنش فيه نشر، لكن كنت بدأت أكتشف سبب جديد يخليني مفروض أبقى كاتب، وهو إن المتعة اللي بتوفرها لي الكتابة كانت فريدة في نوعها ومستواها، والإحساس بالقدرة على خلق شخصيات، ودفعهم في اتجاه مصائر محددة سلفًا، أو مشاهدة كل واحد فيهم وهو بيختار مصيره لنفسه، كان إحساس لا يوصف.

بالنسبة لي فؤاد المهندس كان مدرسة إنسانية كبيرة، كان مُبهر على كل مستوى.. الانضباط، الذوق، الشخصية القوية، الرُقي، خفّة الدم، التناكة والاعتزاز بالنفس.. الحاجات دي كانت بتحسسني إن فؤاد كان طفل متربي كويس قوي، وبعدين لما خرج للحياة اتعرض للتنمُّر، عشان كدا كبر مستقل وقوي وعنده الهيبة دي.. وساعات كنت بفكّر إن لو الفرضية دي طلعت صح، يبقى احتمال لو أنا عشت لحد ما بقى عندي ستين سنة مثلًا، أكون في نفس هيبة وشخصية الراجل دا.. أنا هاكتب لحد ما يكون لكل كتاب جديد من كتبي، نفس تأثير دخلته على المسرح.. الكلام دا عايز سنين طويلة، بس يستاهل.

وقتها كان دكتور نبيل فاروق الله يرحمه، أسس دار نشر مستقلة لفترة قصيرة وكتب فيها بالتعاون مع مجموعة من الشباب اللي داخلين في دوايره القريبة، وبعدها بشوية كمان واحد من مجموعة الشباب دول أسس دار نشر تانية بكفاءة أعلى، وكان مُهتم بالنشر لأصدقائه أكتر من اهتمامه باجتذاب أقلام كبيرة، وكان شايف إن دا الوقت المناسب إن الباب يتفتح شوية.. وقت ما عرفت الخبر، في نفس اليوم نزلت المكتبة اشتريت رزمة ورق فلوسكاب مسطّر، وقعدت كتبت الجزء التاني من الرواية، ماخدش في إيدي أربع أيام وكان خلصان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بسأل ديك النهار واحد تاجر صاحبي، بقول له فلان الفلاني التاجر دا، غني ولّا نص نص؟ قال لي غني جدًا عقبال أملتك.. قلت له فلوسه دي جابها منين؟ خلي بالك أنا بسأله سؤال بريء، كان قصدي الفلوس اللي عملها، عملها من خلال تجارة إيه؟ الراجل اللي بسأله، قال لي إيه تفتكر؟ عبده قال له: قطعًا بومبة! سيد قال له: بالظبط، هو دا اللي حصل.. قال لي بيقولوا إنه كان بيشتغل في المخدرات في الأول، لحد ما عمل فلوس جامدة، وبعد كدا اشتغل بالتجارة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جبت نمرة الناشر دا من على ترويسة كتاب من إصداراته، واتصلت بيه خدت ميعاد، ونزلت قابلته بالورق على حد طلبه.. قصتين، كل واحدة خمسين صفحة فلوسكاب.

بعد ما قعدنا على قهوة صغيرة في شارع معروف، ومعانا اتنين من أصدقائه.. بدأ يكلمني عن إنه تحمس للفكرة لما حكيت له عنها في التليفون، وطلب مني أروح له مقر الدار في المهندسين، عشان أقابل السكرتيرة بتاعته، وأسلّمها الورق! أنا استغربت بس ماتكلمتش، قلت لنفسي زي بعضه، أروح المقر مش هايجرى حاجة.. بس أمّال هو قال لي هات الورق ليه؟ خلاص بقى كبّر دماغك، مش كل حاجة لازم يبقى لها تفسير، وقمت شكرته على الشاي واستأذنت ومشيت.. لما نزلت المهندسين ورحت له المكتب، لاقيته هو اللي بيستقبلني بنفسه، وهو اللي استلم مني الملف، ولا كان فيه سكرتيرة ولا أي حد غيره في المكان، اللي كان واضح إنه لسه تحت التجهيز.. ومشيت على وعد بتلقّي الرد خلال أسبوع من تاريخه.

اتصلت بيه بعد عشر أيام، وأخدت ييجي خمس دقايق على ما فكّرته بنفسي وبالورق بتاعي، وأخيرًا افتكرني.. قلت زي بعضه، أكيد الراجل مشغولياته مالهاش آخر وبيتلقّى كل يوم عشرين ألف عمل جديد لازم يقراهم كلهم بنفسه.. إداني ميعاد في مركز الإبداع الفني عشان أروح أقابله ونقعد نتكلم عن الرواية، ورحت.. قابلته في وسط مجموعة كبيرة من الناس.. دايرة من الكراسي فيها ييجي عشرين نفر.. بيتكلموا في كل حاجة وأي حاجة، وكل واحد فيهم طرف في أكتر من محادثة في نفس الوقت.. شاورت له بالتحية من بعيد وقعدت على أي كرسي فاضي وخلاص.. بعد ما قعدت أدركت إني اتحشرت بين اتنين كبار في السن كان فيه حوار قائم بينهم بالفعل من قبل ما أوصل.. واحد فيهم كان سمعه تقيل، فكان بيخلي التاني يعيد كل جملة تقريبًا مرتين.. حسيت إن فيه واجب إنساني يحتّم عليا إني أنقل الكلام ما بينهم.. وبعدين فكّرت هل من الذوق ولّا من قلة الذوق إن أعرض على حد فيهم يبدل معايا الكرسي، لغاية ما قرروا يقوموا، ومشيوا وهما بيكملوا كلامهم، وجه اتنين تانيين بدالهم

قعدوا.. بعد شوية تأمُّل في الفراغ، قلت لنفسي أكيد حاجة هاتحصل دلوقت.. يا ترى إيه؟ هايقوم يسكّت الناس ويبتدي يحكي لهم عن روايتي مثلًا؟ يا أخي لأ مش للدرجة دي يعني.. قعدت ييجي ساعتين أكلم نفسي، حاولت خلالهم أستلقط أي طرف خيط لأي موضوع من المواضيع اللي بيرغوا فيها، يمكن أعرف أشترك بدل ما أنا قاعد كدا زي اللي قاعد في عزا.. إني ألاقي حاجة أعرف أتكلم فيها من غير أجيب لنفسي الإحراج؟ أبدًا.. وفي النهاية الوقت عدّى والمجلس انفض، وكل واحد قام يسلّم ويمشي، أو يظبّط على تكملة السهرة في مكان تاني، والراجل مشي من غير ما نتكلم.. قام مع الناس اللي كانوا جنبه يكملوا كلام وهما ماشيين في اتجاه البوابة الخارجية، ومابصّش وراه.. وأنا واقف مكاني ومتابعه لحد ما اختفى.. بصيت على التليفون في إيدي شوية، وبعدين حطيته في جيبي ومشيت.

قرّرت يومها إني مش عايز أزعل.. كنت أول مرة أدخل دار الأوبرا، وأول مرة أتحرك خارج نطاق أكتوبر بتليفوني الجديد.. ومش عايز حاجة تبوّظ لي المود دا.. واتصلت بإسماعيل صاحبي مخصوص عشان أقول له الجو هنا حلو قوي، يا ريتك جيت معايا.. اتمشّيت لحد أول كوبري قصر النيل، ووقفت أتفرّج شوية على نَصبة الكتب في مدخل الكوبري، وبعدين مشيت مستمتع بلسعة البرد الخفيفة، وضحك الناس القليلين في الشارع، وريحة حمّص الشام والدُرة المشوي.. وفضلت مبسوط لغاية ما وصلت عبد المنعم رياض، وصوت مزيكا شغال في ودني.. وطلعت الأتوبيس وقعدت على الكرسي المفضّل بتاعي، الفرداني اللي فوق العجلة الورانية الشمال.. وسندت راسي على الإزاز، ونمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

علمًا بإني عارف إن البومبة اللي اداهاله مش صحيحة.. يعني الراجل ماشتغلش في المخدرات ولا حاجة، بالعكس كان تاجر أمين ونشيط، وبسبب نشاطه وأمانته عمل فلوس.. كان زمان يا عبده لما حد يسأل تاجر عن تاجر تاني، كان يمدح فيه، دلوقت يديله بومبة، ليه؟ ماتفهمش.. إيه سر إن الناس نسيت كلمة الصدق؟ مش بس كدا.. دلوقت مين اللي بيقول الكلمة الحلوة؟ نادر اللي بيقولها، نادر إنك تسمعها.. تسأل واحد عن واحد، يقول لك دا بيغش.. أو دا حرامي.. أو دا نصاب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد حوالي أربع مرات تواصُل مع الناشر خلال عدة شهور، ومحاولة معرفة مصير الورق؛ الراجل اعترف لي أخيرًا إنه مش فاكر حط الورق فين يوم ما استلمه منّي.. وإن تقريبًا كدا الرواية -بالجزئين بتوعها- نسختها الوحيدة ضاعت، هي كانت تلزمك قوي؟ أنا تنّحت شوية.. مابقيتش فاهم، الكلام اللي أنا بسمعه دا بجد، ولّا هزار.. قفلت السكة بهدوء، وبعدين لاقيت نفسي بضحك جوّه عقلي ضحكة هستيرية عابثة.. بعد شوية، الضحكة خرجت من عقلي للواقع الفيزيائي وبقى لها صوت.. بصيت حواليا لاقيت أمي وأبويا وأخواتي بيتفرجوا عليا كأني اتجننت، فاضطريت أحكي لهم على خيبتي.. ولأول مرة أشوف على وشوشهم تفاعل وتأثُّر بموقف حصل لي، وأتلقى منهم نصايح وتعازي قلبية حقيقية، تخلّي أي غضب أو حزن يروح عشان يفضّي مكان للدهشة. وافتكرت زمان.. الولد الصغير اللي انفعل وضغطه ارتفع، ووشه بقى أحمر زي الطماطماية؛ ساعة ما اكتشف إن الشريط اللي عليه صورة حميد الشاعري واسم حميد الشاعري، طلع بتاع حميد الشاعري!

قد إيه الرحلة طويلة..

المرة دي لا هاتخانق ولا هاتعصّب ولا هانرفز نفسي.. غاية ما هناك بس إني هادخل الأوضة.. آخد الووكمان وأشيل منه السماعات والحجارة.. أطفي نور الأوضة وأنوّر لنفسي بكشاف الموبايل.. أشد الترانس من تحت اللحاف.. أوصله بالووكمان وأحط الفيشة.. وأفتح الراديو على السماعة الخارجية.. أمدد على ضهري.. أوطي صوت الراديو.. أطفي كشاف الموبايل.. أغمض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لما عرفت إن فؤاد المهندس مات، كان يوم صعب، كأن اللي مات دا أبويا، وفضلت أعيّط عليه ٣ أيام.. موقف صادم جدًا، لأنه محمّل بإدراك مخيف، بييجي على بالي للمرة الأولى. سعاد حسني، كمال الشيخ، عبد المنعم مدبولي، ودلوقت فؤاد المهندس.. الناس دول أنا اتولدت لاقيتهم، كانوا بيساهموا في زيادة نسبة الجمال في العالم، انتظارًا لمجيئي.. اتربيت عليهم، شفت الدنيا لأول مرة وهما جزء منها.. الناس دول هما القلعة الرملية، اللي وقع منها حتة، وبعدين حتة، وفجأة بدأت تنهار.. وشوية شوية هايمشي كل الناس اللي من رواد المرحلة دي، وأفضل عايش في عالم بقوانين جديدة ومعايير جودة مختلفة للأبد.. لأن اللي راح مش هايتعوّض.

الناس دي لو خلصت، شكل العالم هايتغيّر.. هايغيّم وينطفي ويفقد روحه.. والحياة فيه هاتبقى فكرة مؤرقة طول الوقت..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المفروض إن الكلمة الحلوة لها تأثير أكبر من تأثير أي قوة.. عارف الكلمة الحلوة زي إيه؟ زي نقطة الميه.. لو رحنا لصخرة ضخمة وضربناها بالمدافع الرشاشة، الطلقة هاتخدش الصخرة، لكن مش هاتقدر تخرمها.. لو نزّلنا نقطة ميه على الصخرة دي، بشكل متصل لمدة كام يوم أو كام شهر، عارف إيه اللي يحصل؟ الصخرة هاتتخرم! يبقى الميه أقوى ولّا الرصاصة؟ الميه أقوى.. والكلمة الحلوة أقوى.. كلمة التشجيع مطلوبة.. في المدرسة وفي البيت وفي النادي وفي الشغل وفي اللعب، من غير تشجيع الناس تقف مكانها ماتتقدّمش.. حتى أكبر مغنّي أو أكبر فنان، إن مالاقاش تشجيع، مايقولش.. مايشتغلش.. مايشتغلش بنِفس، مايشتغلش بهمة.. الكلمة الحلوة ممكن تمسح متاعب الإنسان.. وتخليه يستمر في حياته بشكل أرقى وأجمل.. شيء سهل إن الواحد يشخط وينطر وينتقد.. لكن الأصعب والأجمل، إنك تقول كلمة حلوة.. تشجع الناس ع التقدم، وتديهم ثقة في نفسهم.. مش كدا ولّا إيه؟

غدًا نلتقي مع فؤاد المهندس، أحمد بهجت، ويوسف حجازي

المخرج المنفذ علي عبد العال

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخيرًا لاقيت الشريط..

الشريط دا أول مرة شفته كنت صغير قوي، واختفى فترة طويلة، وبعدين رجعت شفته تاني سنة ٢٠٠٠.. فاكر إني ساعتها لميته هو وشوية شرايط قديمة، كانوا في كرتونة فوق الدولاب، عشان أكمل بيهم أول صف شرايط في الدرج.. الشريط الشفاف اللي مكتوب عليه "القاهرة – فبراير ١٩٨٧".. وعلى الوش التاني مكتوب "سبوع فريال".. فريال مين دي؟ ماحدش افتكر مين فريال، رحت مسجّل عليه الحلقة، وبعدها مافتكرتهوش تاني.. النهارده لما عرفت الخبر فتحت درج الشرايط، لأ مش دا، اللي تحت.. اللي فيه الشرايط القديمة والمنسوخة والمزورة والفرداني واللي مابقاش حد يفتكر يسمعها.. ماكنش عندي طولة بال إني أدوّر بتأني وهدوء، كنت عايز ألاقيه وبس، ولاقيته.. وقعدت سمعت حلقة (كلمتين وبس) وكملت عياط.. وبعدين فكّرت يا ترى هايكملوا إعادة الحلقات ولّا أنا كدا معايا حاجة هاتبقى كنز نادر؟ بعد ما الحلقة خلصت لاقيت على الشريط دوشة وناس كتير بتتكلم في نفس الوقت، وأبويا لاحظ إن صوته ظهر في التسجيل، وافتكر إن فريال دي كانت بنت واحدة زميلته في الشغل زمان، وإن الشريط دا كان فيه وش فاضي، لما قالوا له سجّل لنا سبوع فريال، قام مسجّل السبوع على الوش الفاضي.. هو الشريط دا أصلًا كان بتاع إيه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تخيلت شكل العالم بعد سنين طويلة من غياب فؤاد المهندس.. كل حاجة عملها اتغطت بتراب الزمن، وكل الناس اللي ساهم في بناء وجدانهم وتشكيل شخصيتهم، رحلوا أو على وشك الرحيل.. كأن الواقع شريط تسجيل عملاق، عليه ماتيريال قديمة مابقتش مناسبة للعصر الحالي، والزمن بيعيد تسجيل عناصر جديدة عليه.. لحد ما بعد سنين طويلة ييجي واحد يلاقيه ويستغرب، ويسأل نفسه يا ترى الشريط دا أصلًا كان بتاع إيه؟

رحيل فؤاد المهندس اداني سبب جديد يخليني مقدرش أشوف نفسي حاجة غير كاتب.. في اليوم دا انتبهت للحقيقة البديهية، وهي إن الناس اللي صنعوا المرحلة الأولى من العالم بتاعي بيمشوا.. وقريب قوي هاتتولد ناس وتكبر، ومايعرفوش اللي رحلوا دول، ولا سمعوا عنهم، والجمال دا كله يختفي ببطء.. الفكرة خوّفتني، وقلت لنفسي: لو مش حاسس إن عندك سبب يخليك تكتب عشانه، اكتب عشان ماتنساش الناس دول..

(نهاية الوجه الأول.. اقلب الشريط)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوجه الثاني

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠٠٧

ساعات لما الدنيا بتضيق قوي، والمشاكل تتراكم من أكتر من اتجاه، بيكون الحل الوحيد هو الهروب.. الهروب مش شرط يكون تخاذُل أو انعدام مسؤولية، الهروب أحيانًا بيكون فرصة للإنسان إنه يصفّي ذهنه ويخفف من على قلبه الأحمال، وبالطريقة دي يقدر يهدا ويفكر ويحل، أو على الأقل يقدر يلاقي سبيل للتعايش.. وأنا في السنة دي كنت وصلت لنتايج مؤسفة فيما يخص معظم الموضوعات الكبرى في حياتي وقتها، نهايات مغلقة وحارات سد.. السنة اللي فاتت كانت السنة التانية والأخيرة من المعهد، والمعهد بتاعنا السنة فيه ٣ تيرمات.. وأنا كنت جبت في التيرم الأول والتاني امتياز.. وبالي رايق ومبسوط، وشغال في مصنع البوزو اللي بقدر أوفّر منه مصاريف المواصلات والكتب، لغاية ما قرّرت أسيب الشغل فيه، وبعدها اشتغلت في سوبرماركت قريب من البيت، بمرتب صغيّر ومواعيد عمل غير منطقيّة، بس كنت مرتاح على الأقل من إني مشيت من المصنع دا، لأني توصّلت لقناعة إنك لو مش قادر تعمل اللي انت عايزه، ولا عارف تحط نفسك في عالم شبهك وقريب من اللي نِفسك فيه، فعلى الأقل تقدر تقلل من عمل اللي مش عاجبك، وتقلل احتكاكك بعالم مش بتاعك على قد ما تقدر.. السوبرماركت اللي اشتغلت فيه كان بتاع واحد مايتخيّرش عن صلاح قابيل في فيلم (نحن لا نزرع الشوك)، بس كان صديق لناس أعرفهم من أيام المدرسة، وكنت متعود أشوفهم في المكان كل يوم والتاني، ودا كان عامل ونس، وفضلت شغّال هناك، لغاية ما في يوم واحدة من الزباين اكتشفت إن ربع كيلو الجبنة الرومي اللي اشترته هو في الحقيقة ٢٢٠ جرام مش ٢٥٠، وساعتها بدل ما يقول لها زي ما قال لي إن دا ثَمَن الطبق الفوم وبلاستيك التغليف، قال لها معلش أصله مستجد ومابيعرفش يوزن كويس، وسمعّني كلمتين قدّامها وجاب الغلط عليا أنا، وهنا قرّرت إني مش هاكمل في المكان دا.. وقتها كان عليا آخر قسط من أقساط المعهد، وأبويا قال إنه مش معاه فلوس يدفعه لي، وكان معنى عدم دفع القسط هو ببساطة إني مش داخل امتحان التيرم التالت، وبالتالي مش هاستلم الشهادة.. ودا معناه برضه إن تأجيل الجيش بتاعي هايتلغي فورًا.. بالتزامن مع الأحداث دي، عرفت إن البنت اللي بحبها في سرّي بقى لي كام سنة، خلاص اتحدد لها ميعاد كتب الكتاب، مما يعني ضمنيًا إن جالها عريس وأهلها وافقوا، ومش بعيد تكون مرّت بمرحلة خطوبة، كل دا وأنا معرفش، وكمان أسبوع ولّا أسبوعين هاتبقى في بيت راجل تاني.. الحياة كانت بتعمل كل اللي تقدر عليه عشان تزقّني برّه، لو نطقت كانت هاتقول لي انت هنا بتعمل إيه؟ امشي.

وتصوّرت إن الحل الوحيد اللي قدامي هو إني أمشي فعلًا، أروح أخلّص ورق التجنيد، وأرمي نفسي في بحر معرفش شكله إيه ولا ظروفه إيه، على أمل إني أطلع بعرف أعوم، بس عشان أتخلّص من مشاكلي وتعقيدات حياتي، أو على الأقل أأجل التفكير فيها.. يعني باختصار، قرّرت أروح لحياة تانية بمشاكل تانية، عشان أحس إن مش مطلوب مني إيجاد حلول لمشاكلي الأصلية دلوقت حالًا، لكن اللي ماكُنتش أعرفه إن مشاكلي اللي بره، لا هاتتحل لوحدها ولا حتى هاتستنّى لما أخرج لها، وإنها هاتفضل عايشة معايا جوه بكثافة وتأثير أعلى، بسبب الظروف الجديدة اللي حطّيت نفسي فيها، واللي كان البُعد والغربة هما أهونهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

آخر ليلة قبل السفر، فريد وإسماعيل قرروا مايسيبونيش لوحدي، ويحتفلوا بيا، ويحاولوا يخلوني أقضّي وقت لطيف.. وأنا من كتر القلق والحزن، اعتبرت إن الاكتئاب والعدمية هما أفضل حل.. لا شيء يهم، هايحصل إيه يعني؟ هاروح مكان معرفش حد فيه، ألبس الهدوم اللي هايدوهالي، آكل وقت ما يحبوا، أنام وقت ما يعوزوا، أصحى وقت ما يشوفوا إن دا الوقت المناسب.. طوابير، تكدير، شتيمة، أوامر، تحكّمات.. إيه الجديد؟ ما إحنا عايشين في الحياة بنعمل اللي يتقال لنا عليه، حتى وإحنا فاكرين نفسنا بنعمل اللي على مزاجنا.. بنتحرّك في حلقات مفرغة، حدودنا مرسومة حتى لو مش شايفينها، بنختار من بين الأقواس، وكمان نتيجة الاختيارات في النهاية بتحددها أهواء وخطط ناس تانية، لهم مصالح تانية.. يمكن كدا أحسن، على الأقل لما بنعمل اللي على مزاجنا، بناخد سنة واتنين وتلاتة لحد ما نكتشف إننا كنا غلطانين وإن الباب دا مقفول ومفتاحه ضايع.. لكن هناك، مفيش مجال للتجربة والخطأ.. مفيش مسؤولية، لأن مفيش اختيار.

وقرّرت إني هاتعامل مع الجيش بطريقة (شيلوني - حطّوني) ولا كأني كرسي أنتريه، لأن في الظروف دي مش هايكون من مصلحتي إني أبقى إنسان.. لا دي النفسيّة اللي هاتستحمل، ولا دي العقلية اللي هاتستوعب.. إن ماكُنتش أستعبط وأتعلم التجاهُل، مفيش حد هايعاني غيري.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد مرور كام شهر على بداية تجنيدي، رجعت أفكّر في إني كنت مغفّل كالعادة، وحاطط افتراضات مبنية على وهم.. أنا كنت متخيّل إن بعد أسبوع أو اتنين هاكون اتعودت على نظام حياتي الجديد المؤقت.. دايمًا أصعب حاجة في كل تجربة هي البداية، حتى لو (ناسا) طلبتني عشان أشتغل معاهم، أكيد أول يوم شغل هايبقى كله قلق وتوتر وأسئلة، والليلة اللي قبله غالبًا مش هايبقى فيها نوم، لكن بعد كدا هاكون عرفت مكان شغلي، مكان نومي، وشوش وأسامي زمايلي، هاكون رسمت جوه عقلي حدود المكان اللي أنا فيه، بالحيطان والأسوار والناس والمهام.. وعشان دا الجيش مش ناسا، مفيش مانع لما آخد فرصة أسبوع أو أسبوعين، وبعدها كل حاجة هاتبقى طبيعية.. قد إيه كنت ساذج!

أنا خلاص اكتفيت من الواقع، وطرقُه العجيبة في السلب والحرمان والسخرية من أحلامي التافهة، وتصدير مواقف وناس وأماكن وظروف، هو عارف كويس إنها لا تناسبني ولا حتى أقدر أتعايش معاها بسلام.. فيه فرق بين إن أمي تكون مريضة، وإنها تكون مريضة وأنا متغرّب عنها، وإنها تكون مريضة وأنا متغرب هنا في مكان مفيهوش راحة ولا أمل، وكمان يبقى مطلوب مني أكون كويس وأنا بكلمها عشان ماتحسّش بحاجة.. ناس بتتجوّز وناس بتسافر وناس بتعيش وناس بتموت، عجلة الحياة مستمرة في الدوران، وأنا على الهامش من كل دا.. ومرور الوقت مابيخلّيش الموضوع أسهل.

ليلتها كنت خارج من العنبر بسبب دوشة العيال، وقرّرت أروح الكانتين أشوفهم بيعملوا إيه.. يمكن أشرب كوباية شاي ملهاش طعم، وألاقي مكان أقعد فيه وسط العساكر القديمة اللي بيتعاملوا مع المكان على إنه بيتهم التاني.. حتى منظرهم وهما بيضحكوا ويهزّروا، ولابسين أوفرولات مهترئة وشباشب، كان بيزوّد عندي اليأس.. ماكنتش بشوفهم ناس في معاناة، وبيحاولوا يتأقلموا ويتعايشوا،

عقلي كان دايمًا بيترجم المشهد دا على إنه مستقبلي.. المكان دا هايغيّرني في يوم، هايخلي كل حاجة بحبها مش مهمة، وكل حاجة مابحبهاش عادية، وكمان سنة، مش هايبقى فارق عندي حاجة.

دخلت واخترت كرسي بعيد عن شويّة العساكر الملمومين حوالين التليفزيون، وعمّالين يضحكوا ويعلّقوا بصوت عالي.. بصيت لاقيت فيلم فيه مشهد من النوع اللي بيقطعوه عادةً، غريبة.. الأول افتكرتهم مشغّلين فيديو، وبعدين خدت بالي من لوجو القناة اللي لسه فاتحة جديد، واللي عرفت إنها كل يوم بالليل بتعرض فيلم uncut على غير ما إحنا متعودين.. وإن اللحظة دي في حياة العساكر بتكون هي السبيل الوحيد لتنفيس كل متاعب وانفعالات وشقا اليوم.. عجبتني الفكرة المدهشة دي، قناة تليفزيون مصرية حداثية.. الفيلم كنت شفته قبل كدا وماعجبنيش، بس اللي أحلى من الفيلم ومسلّي أكتر منه هو ردود فعل العيال على مشهد بوسة عادية.. وسِبت الفيلم وقعدت على جنب أتفرج عليهم وأسمع تعليقاتهم، لغاية ما واحد فيهم قال لهم كفاية كدا قبل ما ظابط الأمن يدخل وينكّد علينا، وقلب على قناة أغاني.. وكنت أول مرة أعرف الخبر السعيد دا، إن شريط عمرو دياب الجديد نزل.. أنا كنت باسمع إعلانات (الليلادي) على نجوم fm بقى لي كام يوم، قريبًا بالأسواق.. المقاطع اللي كانوا بيذيعوها ماكانِتش مبشّرة بالنسبة لي، واعتبرته واحد من الشرايط غير الموجّهة ليا، لأن عمرو له شرايط بتخاطبني وشرايط بتكلّم ناس تانية.. دا طبعًا قلل نسبة ترقّبي، لكن برضه ماننساش إننا بنتكلم عن شريط عمرو دياب، عشان كدا كان خبر سعيد.

نقول إيه خلاص أنا وانت حبيبي مفيش حاجة نقولها

واصلين لدرجة حب ماحدش في الدنيا وصلها

أنا ليك وعمري ما أكون يا حبيبي غير ليك روحي شاغلها

دي الثانية وانت بعيد إزاي قلبي هايستحملها

في البداية ماكنتش متحمّس، لكن مش لدرجة إني أقوم من قدام الأغنية، كنت هاشوفها ولو حتى مرّة من باب الفضول.. لكن بعد شوية، البهجة المصاحبة للأغنية، فصلتني عن العالم اللي أنا فيه لدقايق من غير ما آخد بالي، وحسيت كأن شاشة التليفزيون اتحوّلت لبوابة كونيّة فاتحة بين العالم الحقيقي والعالم الوهمي اللي أنا عايش فيه دلوقت.. أنا طبعًا مدرك إن "العالم الحقيقي" دا ماكنش جنّة، بل يمكن في أواخر أيامي بره كان العكس تمامًا.. لكن حتى الجحيم درجات، والشخص المسجون لو اتحبس انفرادي، أكيد هايشتاق للحُوش والشمس والعنبر بتاعه.

الموضوع أخد مني لحظات لغاية ما استوعبت التصوير والمونتاج والبنات الحلوين اللي ماكنتش متعود أشوفهم في كليبات عمرو آخر كام سنة، لدرجة إني كوّنت قناعة إن عمرو يا ذوقه وحش في الستات، يا إما هو مقرّر مايجيبش بنات حلوين في أغنياته!

لكن المرة دي روح الأغنية وروح الصورة والمزيكا وحتى شكل البنات، كانوا مختلفين عن العادي بتاعه، وعرفت إن اللي صوّر الأغنية هو المخرج المصري الشاب مروان حامد، اللي أخرج فيلم (عمارة يعقوبيان) السنة اللي فاتت.. واستغربت، ليه مش مخرج فرنسي أو إنجليزي، أو حتى ليه مش شريف صبري مثلًا؟ بس على قد ما أنا استغربت على قد ما كنت مبسوط، وشايف إن قرار التغيير

كان موفق جدًا وإنه وجه في وقته، سواء لعمرو أو ليّا. ولمدة عشر دقايق ممتدّة بعد نهاية الأغنية حسّيت إني عبرت البوابة الكونيّة دي، أو على الأقل عناصر من العالم بتاعي قدرت تتسلّل من خلالها وتدخل لي، وقمت طلبت شاي من روبي وهزرت معاه، وقلت له يراعي ربنا في النشارة اللي بيحطها لنا ويقلل نسبة التبن شوية، ورجعت قعدت في الكرسي بتاعي ولا كأني قاعد في البؤرة، وأنا مدرك إنه مش روبي، وإنه عسكري غلبان عايز يخلّص الخدمة بتاعته ويدخل ينام، بس هزاري فكه شوية وخلاه يفرد وشه الساعتين اللي قاعدهم.. وفي اللحظة دي جت في بالي فكرة، أول مرة آخد بالي منها، إن الواقع مهما كان سيء، أنا عندي اللي يقدر يغلبه.. خيالي، اللي قادر يساعدني أبني عالم كامل جوه العالم، أرسم صورة للمكان اللي عايز أعيش فيه، وأعيّن الشخصيات اللي أنا أحب إنهم يكونوا في حياتي، وأرص فيه عناصر بتسعدني وحاجات بحبها، وأحيط المكان دا بفُقَّاعة حماية عازلة.. وإحساسي، اللي عن طريقه أقدر أدخل الفقاعة دي وأعيش جوّاها وأدوق طعم تفاصيلها، كأنها حقيقيّة، وأسيب عقلي بره هو والواقع والإدراك والجديّة، كأني بقيت مجنون أو عندي فصام، بس باختياري.

ساعات الواقع بيكون فوق القدرة على الاحتمال، وفي الحالة دي مش هاينفع الواحد غير خياله، لأنه لو أخد كل حاجة على محمل الجد، وسمح لكل عنصر في كل لحظة إنه يتخلل حياته ومزاجه وتفكيره، في الحالة دي ممكن يتجنن فعلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خلال الفترة اللي بعد كدا ماكانش صعب إني أعتبر مكتب الأفراد هو مكتبي في جرنال أو دار نشر، وإن مينا زميلي -أو رئيسي بحكم الأقدميّة- هو سكرتير التحرير مثلًا، وإن قائد السَرية وحش خرافي عايش في خيالي، مش موجود في الحقيقة، وإنه مجرد رواسب من حواديت الطفولة الساديّة اللي كانوا بينيّموا بيها العيال، والسبب اللي جايبه هنا في الفقاعة، إنه ماصدّق لاقى عالم خيالي زي بيئته الطبيعية، اخترق حدود الخيال وبدأ يكتسب وجود مادي.. الخيال هو المكان الوحيد اللي يقدر يعيش فيه الوحش دا ويتجسّد، ووجوده ضريبة لازم أدفعها، طول ما أنا مرتاح في الفقاعة وعايز أفضل جواها.. طبعًا الفقاعة كانت هشة جدًا لدرجة إنها كانت بتنفجر كل يوم خمس ست مرات، بس كنت بارجع أصنعها، مرة بعد مرة.. كنت متشبّث بيها كأني واحد بينزف وبيحاول يتشبث بالوعي لحد آخر لحظة، عشان عارف إنه لو نام ممكن جدًا مايصحاش تاني.

في مرة دخل عليا مينا المكتب وأنا شغّال، وحدف لي برتقانة، وقال لي: بتعمل إيه، ما تيجي نشرب شاي ولّا حاجة.. قلت له روح وأنا هاحصّلك على طول، أو استنّاني عشر دقايق بس عشان محتاج أسجّل مأموريات بكرة.. قال لي تمام، مستنّيك بره.. خلّصت اللي بعمله وحطيت الدفتر في الدرج، وقفلت بالمفتاح.. كنت مبسوط إن الفقاعة بقى لها أثر واقعي، أو الواقع هو اللي تحوّر عشان يناسب خيالي، لأن دفتر الأفراد اللي في الدرج، كان مستخبي جواه كراسة مكتوب فيها قصّتين، وعلى صفحتها الأولى عنوان بخط عريض: طريق النعناع - مجموعة قصصيّة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

زي الملايين من الناس، كنت مدين لعمرو دياب بأوقات وذكريات كتير حلوة، لكن بجانب دا، أنا كنت كمان مدين له بأفكار وإلهامات، وكان دايمًا بيلفت نظري على غلاف كل شريط من شرايطه جملتين: أول جملة هي (جميع أصوات الكورال: عمرو دياب)، ودي جملة كانت بتحسّسني إنه عايز يغنّي، مش بيغنّي عشان هو صوته حلو ولا عشان ناجح ولا عشان بيعمل فلوس كويسة، لأ هو عايز يغنّي، عايز يستخدم صوته في تغيير الكون.. عمرو من أكتر الناس اللي بتقدّر المجهود الجماعي، وبيحترم جدًا الناس اللي بتشتغل معاه في الكتابة والألحان والعزف والتسجيل.. لكن عند الغُنا، دي حتّته اللي من ساعة ما ظهر وهو حريص عليها، وفكّرت في إن حرص عمرو على غناء الكورال بنفسه، جزء منه نابع من حرصه على إن المطرب ياخد حقه للآخر، لأن لو فيه أفراد كورال هايغنّوا وراه، مش من العادة إن أساميهم تتكتب على الغلاف، مهما كان صوتهم حلو وشكلهم واعد، ودا ظلم للمطرب هو مايحبّش يبقى شريك فيه.

أما الجملة التانية فكانت (رؤية فنية: عمرو دياب).. والرؤية الفنية ماكانِتش بس في اختيار الكلمات والألحان والمزيكا، دي كمان وصلت لاختيار ترتيب أغاني الشريط، وعرفت دا لأن كان فيه نمط معيّن في بعض شرايط عمرو قدرت ألاحظه، واللي لسبب ما كانوا الشرايط الأفضل فنيًا والأكثر مبيعًا في مشواره، زي (تملّي معاك) و(أكتر واحد بيحبك) مثلًا.. إن أول أغنية لازم تكون إيقاعية جدًا وهي اللي هاتتصوّر، بعدها أغنية رومانسية غالبًا هي عنوان الشريط، والأغنية التالتة ممكن تبقى شقيّة وساخرة وبنسبة كبيرة اللي هايكتبها هو أيمن بهجت قمر، واللي هايلحّنها هو عمرو بنفسه، بعدها أغنية درامية، وهكذا.. أنا كنت عارف إن النجاح معتمد على حاجات كتير، بعضها ممكن يكون الصدفة أو الواسطة أو حتى ظروف غير خاضعة للتفسير المنطقي.. لكن الاستمرار في النجاح والبقاء على القمّة بيتطلّب حاجات محددة، من أهمها حُسن الاعتناء بالتفاصيل، وقرّرت إني لما أخلّص مجموعتي القصصية الأولى، هارتّب قصصها بنفس الطريقة اللي عمرو بيرتب بيها أغاني الشرايط بتاعته.. هي يمكن خطوة صغيرة وعبيطة جدًا، بس مش مهم حجم الخطوة، ولا سرعة الحركة، ولا المسافة بيني وبين الهدف.. المهم هو اتجاه السير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في واحدة من الأجازات كنت قاعد سهران مع إسماعيل على البؤرة، وكان بيقرا قصص المجموعة ويناقشني فيها، وقعدنا اتكلمنا عن نظرية الفقاعة وخلق عالم جوه عالم، وبعدين قُمنا طلعنا على الشارع نتمشّى، لحد ما يقرر يركب ويروّح.. في الوقت دا عدّت من قدامنا عربية نيفا بيضا موديل اتنين وتسعين، لاقيتني تلقائيًا وقفت لحظة لحد ما تعدّي بدل ما يكون العميد فيها ويعلّقنا.. وقبل ما أشد إيد إسماعيل عشان يقف، فُقت لنفسي وقلت إيه الهبل دا؟ سألني وقفت ليه؟.. قلت له لأ مفيش، دي الفقاعة بتلعب معايا بس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٢٠٠٨

السنة دي تستاهل لقب (سنة أغرب الوظائف)، لأني خلالها اشتغلت في أماكن عجيبة فعلًا، حاجات من عالم الأفلام الكارتونيّة، والويسترن، وأفلام تشارلي شابلن وإسماعيل يس، وبيحكمها نفس المنطق تقريبًا، زي ساعة ما اشتغلت في المكتبة المهجورة!

في الوقت دا كانت مصر كلها -برغم مرور شهرين- لسه مقلوبة، بسبب هدف أبو تريكة في ماتش الكاميرون، والموضوع كان كبير بشكل يستحيل تجنّبه، واللي خلّاه يستمر شهرين، يبقى يا عالم هايخلص إمتى.. وأنا كنت بتفاعل مجاملة لأني ماليش في الكورة، الماتشات كانت أكتر مناسبات سهل نتلم فيها، أحيانًا في بيت حد من أصحابنا وأحيانًا في البؤرة، عشان كدا كان طبيعي الموضوع يفضل يتفتح كل شوية، فأضطر أرد بكلام عام زي (ربنا يقدم اللي فيه الخير).. وفي أحد أيام الماتشات على البؤرة، فرحت لما لاقيت صديقي اليساري بتاع حزب الكرامة، قاعد على جنب لوحده على غير العادة، بس كان شكله مبتئس.. مالك يا أستاذ محمود؟ قال لي إنه مهموم بموضوع كدا كان بيفكّر فيه، وإن الإضراب بتاع عمال غزل المحلّة غالبًا مش هايتلم، والموضوع هايكبر وممكن يوصل لحد القاهرة.. قلت له بقول لك إيه؟ تلعب طاولة؟ قال لي يا ريت.. أخيرًا لاقيت واحد مش هايتكلم في الكورة النهارده.. وإحنا بنلعب سألني شغال ولّا قاعد، قلت له أنا في أجازة من الجيش وكنت عايز أظبّط أي شغلانة مؤقتة، أقدر أعملها أسبوع واحد كل شهر، من غير ما الناس تتضايق.. قال لي إن فيه ست كبيرة في الحي الحداشر عندها مكتبة، وعايزة حد يمسكها لها عشان هي مابقتش قادرة تنزل كل يوم، وهي ست مُريحة ورايقة ومش هتاكل دماغك، والمكان نفسه هادي وملموم، مفيهوش شقا.. قلت له الكلام دا جميل لو كان فيه حد غيري هو اللي بيفتح المكتبة وأنا هاروح أشتغل معاه، بس دا أنا اللي مفروض أفتح وأقفل، طب وبقيّة الشهر؟ قال لي هانروح نقابلها ونتكلم معاها وتشوف المكان، وابقى قول لها الكلام دا وشوفها هاتقول لك إيه، مش هانخسر حاجة.. قلت خلاص نروح، وخليته اتصل بيها، واتفق معاها تقابلنا بكرة بعد الضُهر في المكتبة.

المنطقة هناك شكلها فاضية خالص، وشبابيك العمارات ماحدش دهنها من ساعة ما استلموا الشقق.. وصلنا السنتر اللي فيه المكتبة، مكعب خرساني صغير كان أبيض في يوم من الأيام، لاقيت في الدور الأرضي ٣ محلات بالظبط، قهوة وسوبرماركت وراجل بتاع فراخ.. وبقية الدور كله مقفول.. طبعًا في الدور اللي فوق متوقَّع مايكونش فيه ولا محل مشغول غير المكتبة، إيه المكان المقطوع دا؟ قال لي تعال نقعد نشرب شاي على ما الحاجّة تيجي.. حتى القهوة مالقيناش فيها نفرين على بعض.. شوية والست اتصلت قالت إنها قدّام السنتر وطالعة تفتح، بعد عشر دقايق قمنا نحاسب على مهلنا وطلعنا الدور اللي فوق، لاقيناها لسه مافتحتش.. الباب المترب المصدّي واليافطة الخشب القديمة المكتوب عليها بخط اليد (مكتبة النور)، ماكانوش مثيرين للتأمل قوي،.. وقلت لنفسي لما الست تطلع هانسلّم عليها، ونقعد معاها خمس دقايق وبعدين نقوم نمشي، واضح من الحالة العامة إن الموضوع مفيهوش أمل.. بصينا من فوق نشوفها فين، الراجل شاور لي عليها، كانت واقفة تحت ومعاها مكالمة وشكلها منفعلة جدًا، وهي كلها قد الكتكوت وصوتها طالع بالعافية، الست كبيرة فعلًا الراجل ماكدبش.. شكلها حاجة وسبعين سنة، هاتطلع السلم إزاي دي؟ أنا متهيألي لو اتحركت من مكانها هاتتفك من بعضها.. وبعد كتير قوي خلّصت المكالمة اللي معاها وطلعت تفتح.. زي ما توقعت بالظبط، عدّت من قدامنا

ولا كأنها شايفانا ولا قالت صباح الخير حتى، ماشية تزحّف برجليها على البلاط، وتهز سلسلة المفاتيح، وهي بتبرطم وتردّد أسئلة استنكارية على موضوع المكالمة اللي لسه مخلّصاها، وبعد ما فتحت ودخلت، قالت لنا اتفضلوا.. المكان ماخيّبش ظنّي، مكتب خشب قديم عليه دفتر، وحواليه كذا فاترينة إزاز متوسّخين، جواهم كام كراسة ورقهم شايط، وعلبة أقلام فرنساوي.. وشوية رفوف عالية، عليها ورق لوحات ملّون ملفوف بأساتك، طبعًا متغطي بطبقة كثيفة من الأتربة، وماظنش حد لمسه من كام سنة.. وفيه زينة رمضان حقيرة ذليلة، واضح إنها متعلّقة من أيام الحاكم بأمر الله.. الإضاءة ضعيفة عشان معتمدة على الشمس، وهي في الوقت دا ماكانتش مواجهة للباب، بس من خروم الباب الحديد الجانبي تقدر تشوف التراب بعينيك وهو بيسبح في الهوا خلال أشعة الضوء، ماكنش ناقص غير بارمان مكسيكي يقول لنا تشربوا إيه، عيني راحت على البار: ماكينة تصوير عتيقة، مفروش فوقها مصليّة قديمة منحولة، وفوق المصليّة صينية فيها كوبايات مقلوبة وجنبها غلّاية وكيس سكر.. عظَمة.

قالت لي إني هافتح كل يوم الساعة تسعة الصبح، وأقفل الساعة خمسة العصر، ومفيش أجازات أسبوعية، لأني هاشتغل أسبوع بس كل شهر، وهي بقية الشهر هاتيجي تقف، وهاتدفع لي خمسين جنيه في الأسبوع.. أنا أجازتي من الجيش عشر أيام كل شهر، هاشتغل منهم سبعة وأريّح تلاتة، وخمسين جنيه وأنا راجع من الأجازة هايبقوا لطاف برضه، وفيه مسدس خرز أهو، لو زهقت أبقى أتمرّن بيه رماية!

وقبل ما أقول لها أنا موافق، لمحت على رف من الرفوف، كاسيت باناسونيك بابيين.. الجهاز اللي شبه شوكولاتة كوفرتينا بتاعة السبوع، بس أسود.. الكاسيت دا شغّال؟.. أنا اشتريت، قصدي أنا موافق جدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بقيت أروح كل يوم الصبح أفتح، وأقعد أستنى الوقت يعدّي.. المكان اللي كله أتربة وبضاعة ماحدش عايزها، ولا فيه حد أصلًا بيطلع هنا.. كنت كل يوم أسأل نفسي: أنا بعمل إيه؟ قاعد وسط الفتارين العجيبة، والإضاءة المريبة، فاضل لي نضّارة بإطار مستدير وأبقى أونكل سكروج بتاع ديكنز.. وأرجع أفتكر إني لو ماعملتش كدا هاعمل إيه؟ نفضّت الكاسيت من التراب اللي عليه وبقيت أستخدمه، بخاف أعلّي الصوت عشان هو محطوط على رف إزاز أصلًا، والحكاية مش ناقصة دراما.. ساعات آخد كرسي بره المحل، وأوقّف إزازة الميه الصغيرة على مسنده، وأضرب عليها من مسدس الخرز.. أنا كنت ناوي ألعب بس، لكن لاقيت دقة التصويب بدأت تزيد بجد.. وفضلت على كدا، كل شهر أروح أسبوع، وأنا رايح أقعد أفكّر، هالاقي الست عايشة ولّا ماتت، جابت حد غيري، المكان اتقفل ولا لسه.. أروح ألاقي كل حاجة زي ما هي.. مرة بِعت أنبوبة أمير، كنت فخور قوي، واتصلت بيها مخصوص أسألها هي أنبوبة الأمير بكام؟ وأنا عارف إنها بجنيه، بس كنت عايز أعرّفها إن أخيرًا حد اشترى حاجة من عندنا.. ماكنتش شاغل بالي هي بتدفع لي الخمسين جنيه دول ليه؟ دا المحل مابيبيعش في الشهر كله بخمسين جنيه! طبعًا الموضوع كان مريب، بس لو كنت فكّرت فيه ماكُنتش هاوصل لنتيجة منطقية ترضي عقلي، وكنت هاتضايق من فكرة إني مش فاهم، وأنا بقيت مقتنع بإن كل حاجة بتحصل، لها سبب ولها تفسير، بس لازم نتعب شوية لحد ما نعرفهم،

وعشان أنا مش فاضي أتعب دلوقت، ماحاولتش أركز.. في مرة جابت لنا تليفزيونها الصغير تحطه في المكان، لأن ابنها اشترى لها واحد كبير، وجابت حد يعلّقه ويركب له دِش.. أنا قلت لنفسي خير؟ فيه إيه؟ وقرّرت أستنّى لحد ما أفهم لوحدي سبب تصرّفها.. هل بتزهق وهي هنا فعايزة يبقى عندها تليفزيون يعني؟ لأ، عمرها ما شغّلته.. لو أنا طافيه مابتحاولش تفتحه.. يمكن بتحب تتفرج عليه لما تبقى لوحدها، يا عم إحنا مالنا؟

بقيت آجي الصبح أفتحه أول خمس دقايق على قناة المجد، قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، وبعدين أجيب قنوات الأغاني، لو لاقيت حاجة عليها القيمة بخليها، مالقيتش بطفي تاني.. اليوم دا كنت أول مرة أشوف أغنية أصالة الجديدة (ولا داري)..

طول ليلي ونهاري بفكّر إيه جرى له

طب إيه غيّر له حاله

وأنا شوقي غالبني

أنا قلبي من شوقه بيحلم بيه يجيني

الله يخليك حبيبي زعلان تعاتبني

دا أنا قلبي معاك ليل ونهار أداديك

مش فارقة معاك ولا داري بحنيني ليك

أيام وسنين ليك وبفكر فيك

ولا هاينة عليك ترسّيني ولا بلاقيك

كنت لسه سامع الشريط قريب، وماكنتش متوقّع هاتصوّر أغنية إيه، ولاحظت إن طارق العريان هو مخرج الكليب، وأنا طارق بالنسبة لي مخرج على مستوى عالي جدًا من الحرفيّة، وبيضمن حد أدنى محترم من الجودة، حتى لو كان صعب تصنيف أعماله السينمائية، أو وضع خط واصل أو رسم نمط واضح لها، مش عايز أقول مالوش بصمة، لأن دا كان متوفّر جدًا في الفيديو كليبات اللي أخرجها.. بعكس الأفلام، كان سهل إنك تميّز الكليب اللي من إخراج طارق العريان، زي (عيني) سنة ٩٧، و(السود عيونه) بعدها بسنة، الأغنيتين دول تحديدًا فيهم كذا حاجة لافتة للنظر، أولًا عدد المجاميع اللي بتتحرك وترقص في نفس الوقت في حيّز مكاني محدود، وكل مجموعة منهم لها قصتها وملابسها وتصميم الحركة بتاعها، من غير ما تحس بأي ارتباك، ولا تلمح تداخُل أو حركة مش مظبوطة.. الحاجة التانية المبهرة جدًا بالنسبة لي هي قدرة طارق على عكس السمات البصرية للفترة اللي اتعمل فيها كل كليب، ولما ترجع للأغاني دي بعد عشر سنين، أكيد هتاخد بالك إن تفاصيل الملابس والإكسسوار وحتى الألوان، منتمية جدًا للفترة الزمنية اللي خارجة منها.. تقدر تقول بسهولة إن الكليب دا منتصف التسعينات، ودا بداية الألفينات، ودا سنة كذا.. الحاجة التالتة بقى اللي كانت محرّكة للمشاعر بالنسبة لي بشكل خاص، هما الموديلز اللي كان بيختارهم في الكليبات، فيضان أنوثة وجمال متدفّق بلا انقطاع، كتالوج متنوّع من البنات، أشكال وألوان وموديلات ملابس، مكياج

وشعر، وكلهم حلوين.. طارق كان قادر على خلق حالة من البهجة والمتعة البصرية باستخدام وسائل فنيّة متعددة، بس الطريقة اللي كان بيشوف بيها الأنثى، ويوظفها فنيًا لخلق الحالة دي، هاتفضل الأكثر إبهارًا بالنسبة لي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الوقت دا كانت قراءاتي الأدبية بدأت تركّز أكتر على الرواية الطويلة، بعد ما كنت مهتم بالقصة القصيرة، ومن قبلها المقالات الساخرة، ومن قبلهم قصص الجيب.. وفي مرة كنت أنا وإسماعيل بنتكلم عن (صورة دوريان جراي)، قصة أوسكار وايلد، اللي كان مترجمها وملخّصها د. أحمد خالد توفيق، ألف رحمة ونور عليه.. الفكرة كانت ثريّة وملهِمة، وقعدنا طول الطريق وإحنا بنتمشّى نحط افتراضات ونتناقش في تنويعات، نقدر منها نستوحي فكرة قصة مختلفة، بس تكون من نفس روحها وواخدة من الجو بتاعها.. قعدنا نقول أفكار كتير منهم واحدة طرحها إسماعيل وعجبتني.. قلت له الفكرة دي تتكتب رواية، قال لي كفاية عليها قصة قصيرة، قلت له خلاص، اكتبها في قصة، وأنا هاكتبها في رواية.. وساعتها هو كتب حاجة جميلة، وتناول الجانب السحري من الفكرة بشكل لطيف، لكن أنا كنت شايف إن الخطوط الاجتماعية والعاطفية والفلسفية، لا تقل أهمية عن الخط الأسطوري من الحكاية، بل يمكن الخط دا هو أقلهم أهمية، وإنه مجرد شكل وإطار ومبرر لسرد الحدوتة.. وكتبت (بورتريه).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكتابة كانت بتساعدني أعدّي الوقت، لكن ماكانِتش قادرة تصرِف تفكيري عن لغز المحل دا، فاتح ليه وبيصرف منين.. شوية أفتكر إني نسيته، وبعدها أكتشف إنِي سرحان فيه وأنا مش واخد بالي.. مرة توصّلت لإن ممكن تكون الست دي، حطت آخر فلوس معاها في المكتبة، ومش قادرة تصدّق إن الموضوع باظ وإنها خسرت، فقرّرت تفضَل فاتحاها طول الوقت لحد ما في يوم الوضع يتغيّر، ولما حسّت إنها مش قادرة تكمّل لوحدها، كان بسبب التعب مش اليأس، لأن رفاهية اليأس ماكانتش متوفرة بالنسبة لها.. مفيش تفسير تاني.

بس السؤال الأهم من (الناس بتعمل كدا ليه؟) هو (أنا عملت كدا ليه؟).. يا ترى ليه أنا لما فكرت في بورتريه، ماقدرتش أشوفها غير رواية؟ هل فعلًا الخطوط اللي أنا ذكرتها كان لازم يتقالوا أو تيجي سيرتهم من أصله؟ ولّا دي الطريقة اللي بقى عقلي يشوف بيها الأفكار من بعد ما بقى يقرا روايات طويلة؟ الكلام دا لو صحيح، معناه إني في كل مرحلة قراءة، هاكتب اللي بقراه.. المرة اللي فاتت لما كنت بقرا قصص، كتبت مجموعة قصصية، وزمان قبلها كتبت مقالات ساخرة، وبرضه حاولت أكتب قصص زي السلاسل اللي كنت متابعها، ودلوقت رواية.. طب افرض حبيت أكتب مجموعة قصصية تانية، تطلع أقل من (طريق النعناع)؟ أو على الأقل مش بنفس الروح والتركيز؟ دي حاجة تخوّف.. يعني مرة أكتب قصص ومرة رواية، والمرة الجاية إيه؟ ماحدش يعرف، ودي مش شطارة.. لازم تركّز انت عايز تعمل إيه، لو كنت عايز الناس هي كمان تركّز معاك.. لازم يبقى لك جمهور عارفك ومتوقِّع منك حاجات، وانت تلبّي التوقعات دي.. يا إما تكتب لنفسك وتتمنّى إن ذوقك المتغيّر

يناسب أكبر عدد من القراء ممكن تسمح بيه قوانين الصدفة، وانت ونصيبك بقى لو وصلت لهم أصلًا. في مرة وأنا بقلّب في التليفزيون لاقيت فيلم الإمبراطور من أوله قلت أشوفه..

ماكنتش شفت scarface -أو الوجه ذو الندبة- اللي كاتبين إن الإمبراطور مُقتبس منه، وماكانش عندي أي مرجعية أقارن على أساسها، بس كنت قادر أميّز مستوى الجودة في الفيلم بشكل مستقل، فيلم حلو في حد ذاته، بصرف النظر طارق العريان نقَل إيه وساب إيه، عمل أقل ولا أكتر ولا نسخ الفيلم بالظبط، كل دا ماكُنتش أقدر أحدده، بس كنت شايف قدامي فيلم جميل، ودا اللي يهمني.. وبعدين فكّرت، أنا ليه اعتبرت إن كون أفلام طارق العريان مالهاش نمط، دي حاجة وحشة؟ كنت شفت له قبل كدا السلم والتعبان، وتيتو، وحبيت الفيلمين جدًا.. طارق صانع أفلام عنده وجهة نظر، وعنده خبرة كبيرة، ومش كسول، ولا بيلجأ للحلول السهلة، وأي عمل بيدخله، بيعتبره تجربة جديدة، اختبار إمكانية، اختبار طريقة لسرد القصة، استعراض مهارة، توظيف ممثل معيّن في دور غير تقليدي، وإعادة اكتشافه.. ليه ماتكونش دي اللعبة وهو مستمتع بيها؟ زي طفل في محل حلوى، عايز يدوق من على كل الرفوف.. أنا كتبت مرة مجموعة قصصية، ومرة رواية، ولو الفكرة اللي جاية حبّت تتكتب مسرحية إيه المانع؟ آدينا بنجرّب وبنكتشف.. قابلية بعض الأعمال للتصنيف مش شرط تكون ميزة، لأنها ممكن تبقى أعمال مملة من كتر ما هي متوقَّعة، والتحرّر مش شرط يكون عشوائية، ممكن يكون مجرد سمة فنيّة لشخص سريع الملل.. يعني باختصار، كون صانع العمل الفني، نمطي بالنسبة لك ولّا متجدّد، دي قيمة بتحددها إجابة السؤال: مين فيكم بيزهق أسرع من التاني؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في يوم على القهوة قابلت الأستاذ محمود، وشرحت له الأسئلة اللي فكرت فيها بالنسبة للمكتبة، وبعدها قلت له التفسير اللي عقلي توصّل له، قلت يمكن ألاقي عنده تأكيد أو توضيح أو نفي، أو على الأقل كلمتين ثناء على رجاحة نظريتي.. لاقيته قال لي: انت كبرّت الموضوع قوي، أنا عارف إنك شخصية نقديّة، بتحب تحلل عناصر الموقف، عشان تقدر تلاقي له تفسير منطقي، وبتعرف تعمل دا كويس، ويمكن دا السبب اللي خلّاني أصاحب واحد أصغر مني بخمستاشر سنة تقريبًا، بس انت مغفل! هي لا حطّت آخر فلوس معاها ولا حاجة، دي واحدة قرّرت تفتح مكتبة، ماسألتش حد، ولا حد نصحها، مافكّرتش، ولغاية دلوقت ماجاش على بالها تسأل نفسها: اللي عملته دا صح ولّا غلط؟ ولا جت لها مناسبة تسأل نفسها إيه العبث دا؟ هي مش حاسة أصلًا إن فيه مشكلة، لأنها مش محتاجة فلوس من ورا المكتبة.. آدي كل الحكاية.. لكن انت مشكلتك إنك فاكر كل حاجة ممكن تخضع للتفسير المنطقي ويبقى لها سبب وجيه، مع إن الواقع بيقول إن الناس العاقلة المنطقية المنهجية، دول نسبة ضئيلة في المجتمع، يعني لا عندهم سلطة فرض الرأي ولا يقدروا يتحكّموا في طريقة إدارة العالم، ولو النسبة العظمى من الناس بتتصرّف بشكل عشوائي، يبقى العالم ماشي بشكل عشوائي، ويبقى بحثك عن المنطق ورا كل شيء دا فعل عبثي، وغير متناسب مع مفردات الواقع.. خلي بالك عشان كل ما بتتأخر في فهم الواقع، كل ما تعبك بيطوّل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٢٠٠٩

أول حاجة فكّرت فيها بعد ما خرجت من الجيش، هي إن كمية الأشغال اللي اشتغلتها دي تعمل سيرة مهنيّة عظمة جدًا، في إنترفيو يوم القيامة إن شاء الله.. كل دي خبرات أنا ماكتسبتهاش مهنيًا، ولا لحقت أقبض منها حتى؟ حاجة تشرّف.. طبعًا ولا حاجة من دول هاتنفعني في التقديم على أي وظيفة، لأن في الحقيقة ماعنديش حاجة بعرف أعملها أو أقدر أقول إني صنايعي فيها، حتى الكهربا، لما اشتغلت فيها كان المجال محدود جدًا.. مش أي مكان عايز كهربائي، هايكون محتاج للتخصص دا بالذات: فني تجميع لوحات إعلانية مضيئة.. بيعرف يلحم بالقصدير يعني؟ أنعم وأكرم!

عشان كدا كنت محتاج إني أركّز على اتجاه معيّن، وابتدي فيه من تحت الصفر، المهم إن خلال سنتين تلاتة، أقدر أقول على نفسي (حاجة) لما آجي أعرّف حد بيا، ودا اللي خلّاني أوافق على العرض اللي قدمه لي إسماعيل، وأروح أقابل الناس في المصنع اللي هو شغّال فيه، الدنيا هناك رايقة ولطيفة وسهلة، هاتتعلّم حاجة جديدة تنفعك، عدد ساعات محدّدة، وهانبقى مع بعض في مكان واحد، قلت له ياللا جدًا.. يوم ما رحت معاه، كان شغّال في وردية المسا، اللي بتبدأ من الساعة ٤ العصر، لغاية ١٢ بالليل.. كنا في الشتا، عشان كدا لما وصلنا هناك أربعة إلا ربُع، كانت الشمس خلاص قربت تغيب، والسما لا هي نور ولا ضلمة، وعمدان الشارع ضاربة النور الأصفر الكئيب بتاعها دا.. هو دا المكان؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طول عمري بحب أنغام، من ساعة ما وعيت على الدنيا وأنا بسمعها، وفاكر لها أغاني من زمان جدًا.. زي أغنية سر الأرض..

إديني م الحب حبّة بألف حبة في حصاده

دا أنا قلبي بستان محبّة طرحُه ما يخلف ميعاده

حمّل وكيّل خزينك

دي الغربة زادت وطالت يا ولدي بيني وبينك

الأرض نادت وقالت

وحاجات أقدم.. أول جواب، لالي لي، تعال نحب صح.. ورأيي فيها من زمان إنها مطربة معمولة بحُب، الحاجة لما تتعمل بمزاج وعلى رواقة، غير لما تكون معمولة تأدية واجب أو أكل عيش، بيبان عليها.. مهما كانت متقنة، بيفضل ناقصها الروح.. ودا ينطبق على كل حاجة.. لو كوباية شاي معمولة بحُب، بيبان في طعمها وريحتها وتفاصيلها، الحب بيغيّر طعم أي حاجة حلوة، ويخليها أحلى.. سلطنة الألحان اللي كان بيقدمها لها محمد علي سليمان، وكمان اختياراته للكلمات، يبيّنوا قد إيه هي كانت محاطة بالحرص والتركيز وحُسن الإدارة، عشان تقدر تقدّم أغاني تحافظ لها على روح البنوتة البريئة، المناسب جدًا لمرحلتها العمرية، والمتناسب جدًا مع حقيقة إن اللي بيرعاها فنيًا هو أبوها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سور المصنع المربع مش مبيّن إيه اللي جوه، حتى الباب الحديد جرّار مقفول بصاج، مفيش فرصة للتلصُّص.. عادةً إسماعيل ييجي مع عربية الشركة كل يوم، بس النهارده عشان أنا معاه جينا مواصلات، وكنا وصلنا بدري عشر دقايق، فقعدنا بره نستنّى العمّال يوصلوا عشان ندخل معاهم. أول انطباع جالي بعد ما دخلت من البوابة الخارجية، إن المكان مُقبض جدًا، مساحة من الفراغ بعد البوابة، بتشغل منها جزء ضئيل غرفة مربعة للغفير وعياله، لازقة في السور، وبعدها بيمتد الفراغ لغاية الهنجر الكبير المقفول بباب حديد، وعلى الناحية الشمال جنب السور فيه كام عربية قديمة ما بين نُص نقل ودفع رباعي، تحت مظلة من الصاج المضلّع.. أنا شفت المنظر دا فين قبل كدا؟ حملة السَرية.. أهلًا! يا مرحب بطوفان الذكريات السيئة والانعكاسات الشَرطّية والتعاسة اللي مالهاش داعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمير عبد المجيد قدّم لأنغام ألحان فريدة في عظمتها، وشُغله معاها كشف لي جانب آخر من شخصية أنغام الغنائية، يمكن جانب مرتبط بعوامل كتير، من ضمنها المرحلة العمرية وحجم نُضجها الفني ومدى قدرتها على الاختيار الجيّد، ومنها برضه إن أمير كان بيحب الشغل اللي بيقدمه لها بشكل خاص، ودا باين جدًا في ألحان زي (وبقول لك إيه)، اللي عظمة تلحين وتريات المقدمة بتاعتها، تكاد تقترب من مستوى روقان وشقاوة عمّار الشريعي لما يكون مبسوط، ولّا لحن (وحدانيّة) اللي كتبها عصام عبد الله، وهي غنّتها مع فاطمة سرحان، ومن ساعتها شكل الغُنا اتغيّر بالنسبة لي.

والقُصّة حاردة على حواجب م اللي تسحر

خايلة لحديّت فروق راسك يا عَيّوجيّة

وإن كان عليّا..

ما ألبس سوى اللي يداري هَمّي

دا أنا وحدانيّة..

ما مَسَح دموعي غير طرْف كُمّي

مال الحديت دا بس بيّا

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يعني أنا أخلَص من الجيش، عشان أروح أشتغل في مكان بيفكّرني بالجيش؟ مش رايح.. وقعدت في البيت كام يوم، وبعدين قلت لنفسي: إيه الهبل اللي انت عملته دا؟ ارجع جرّب يوم تاني ويكون في ورديّة النهار، أكيد لما تغيّر شوية ظروف، انطباعك هايتغيّر.. وفعلًا حصل، واشتغلت هناك.. المكان عبارة عن مصنع صغير بينتج قوالب معدنيّة، لمصانع السيراميك، لكن إحنا شغلنا مالوش علاقة بالسيرامك خالص، إحنا بنتعامل مع حديد.. لاقيت أكتر من ماكينة جوه الهنجر، ماكنش عندي فكرة

عن أي واحدة فيهم، بس كنت عايزِ أعرف، وفهمت إن المنتجات بتاعتنا لها أشكال ومقاسات محدودة، وكلها بتمُر بنفس مراحل الشُغل، سواء في التصنيع أو في الصيانة، وكل ماكينة مسؤول عنها فردين، واحد لكل ورديّة، ويفضَلوا طول عمرهم يبدلوا على الماكينة، ويكرروا نفس المهام للأبد.. رائع، الواحد هايعوز إيه أكتر من كدا؟ أنا فعلًا محتاج حاجة أتعلّمها بسرعة وأعملها بشكل رتيب مكرر، يخلّي مفيش مجال للخطأ بعد فترة قصيرة من التكرار، أو حتى طويلة شوية، حسب حالة الماكينة وطريقة توزيع الشغل وسرعتي في التعلُم، المهم إن بعد شوية وقت، هايكون بقى عندي حاجة بعرف أعملها، وبعملها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أول مرة أنغام تشتغل مع طارق مدكور، كانت بالتزامن مع تغيّرات كتير حصلت لها -أو هي عملتها- على عدة أصعدة.. في الشكل كل الناس اتفاجئت باللون الأحمر المتوهج، والقَصّة الفرنسية القصيرة، في اختيارات الكلمات والألحان، كانت منطلقة جدًا، حتى الشركة اللي بتنتج لها اتغيّرت، أو يمكن يكون دا بداية سلسلة التغيّرات الكتير اللي حصلت.. الخلاصة إنها في شريط (ليه سبتها؟) كانت وصلت لمرحلة إنها بقت قنبلة حسيّة، زي اللغم اللي مش محتاج غير لمسة بسيطة وينفجر، كانت بتقدّم تجربة سمعية وبصرية منعشة للحواس، وكان واضح إنها في قمة نشاطها الفني والنفسي، وطارق وزّع لها (أنا عندك) و(ليه سبتها؟)، عشان كالعادة يسيب على الشريط لمسة جميلة، ويضيف على شغلها قدر أكبر من الجودة والإتقان، بشكل يتناسب مع اختياراتها وشكلها وطبيعة روحها خلال الفترة.. بجانب دا، أخدت بالي إنها بتنُط بسرعة من شكل لشكل، ومن حالة لحالة.. ماكُنتش عارف هل دا شغف بالتجريب بعد فترة طويلة من الاستقرار، ولّا هو بحث عن حاجة معينة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت متخيّل إني بعد شهر هاكون عرفت كل شيء عن ماكينة معينة وبدأت أنتج عليها بشكل منتظم، بس اللي حصل إني -على غير المعتاد هنا في المصنع- لفّيت على كل الماكينات تقريبًا، كل مرة لسبب مختلف.. مرة عشان محمود بتاع الفِريْزة غاب، وتعال أشرح لك بسرعة هاتفهم هي بتشتغل إزاي.. ومرة عشان أحمد بتاع التجليخ السطحي هايسافر البلد أسبوع وعايز حد يمسك بداله لحد ما يرجع.. ومرة عشان.. إلخ.

أنا ماكُنتش متأكد، هل دا معناه إنهم شايفينني كويس وعايزين يعرّفوني على معظم الماكينات اللي في المصنع عشان أبقى موجود للطوارئ بدل أي حد؟ ولّا شايفينني مش فالح في حاجة وبيحاولوا يلاقوا حاجة تُظبط معايا؟ ولّا هي مجرد صدف فعلًا وكل مرة كان فيه ضرورة، وكل مرة كان فيه سبب يخليني أنا اللي أروح؟ بس ماكنتش مهتم بالإجابة، اللي كان يهمّني إن كل مكان أروحه كنت باخد وقت قليل قبل ما أبدأ أتعوّد على الماكينة وأدخل في مرحلة الإنتاج.. مش مهم إني أول ما أنظّم دماغي على الماكينة وشُغلها وأرتّب جدول قصير، يقوموا يغيّروا لي المكان، المهم إني مش هازهق هنا، وبالمرة أشوف إيه أكتر حاجة فيهم الشغل عليها ريّحني، ولما أوصل لمرحلة استقرار أبقى أطالب بيها.

لو فيه حاجة حلوة اتعلمتها من فترة الجيش، فهي الصبر وطولة البال، والراحة في وجود الروتين والملل، أكتر بكتير من البحث عن التجديد والإثارة والمفاجآت.. إحساس عام بإن العضمة النفسيّة كبرت، والزمن مفيش أطول منه، وعشان الوقت يعدي لازم روتين، وعشان يعدي بشكل آمن لازم روتين صارم.. وكانت خطّتي بدأت تؤتي ثمارها، وحسّيت إن عندي استعداد أشتغل عشر سنين بعمل نفس الحاجة في نفس الوقت كل يوم، من غير ما أشتكي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرحلة التعاون الفنّي بين أنغام وفهد، كانت من أهم المراحل في مشوارها.. فهد موزّع شاطر ومبتكِر، وقدّم أعمال رائعة، كفاية إن معظم أغاني شريط (علِّم قلبي) -اللي يُعتبر واحد من ضمن التلاتة الكبار في مسيرة عمرو دياب نقديًا وجماهيريًا- كانت من توزيع فهد.. وأنغام وزّع لها ناس كبار لهم وزنهم، وعملوا معاها أغاني كتير مهمة، بس الأغاني اللي فهد وزّعها لأنغام حاجة تانية، مستوى أبعد بكتير جدًا من الروعة، لأنهم كانوا معمولين بحُب.

افتح كدا أغاني شريط (عمري معاك) ولّا (بحبك وحشتيني) وشوف أبسط أغنية فيهم، الخلفية فيها كام تراك وتريات، وكام آلة؟ ولّا الإيقاعات، وتوزيعها.. كل تفصيلة عايزة لها حواديت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد شوية وقت كنت بدأت أحقّق استقرار نفسي في الشغل إلى حد ما، وكنت اكتسبت ثقة التعامل مع معظم الماكينات، وأي حاجة بيطلبوها مني، ببقى عارف إني عملت الشغل دا قبل كدا.. ودا كان سايب مساحة للاستمتاع بالوقت والتفكير في إنك أخيرًا بتعرف تعمل حاجة، وبتعملها.. وإنتاجك جودته مقبولة، وسرعة إنجازه أعلى من المتوقع، ما عدا في بعض الأماكن اللي دمها تقيل شوية، زي ماكينة التجليخ الكبيرة، لأنها كانت بتشتغل على ألواح صُلب سمكها قليل، وسهل جدًا أي واحد فيهم يتكسر زي الإزاز، غير إن الماكينة ماكانتش موزونة وحوار كبير كدا.. وفضلت على كدا شهور، لحد ما حصلت حركة تنقّلات في إدارة المصنع، ومدير الإنتاج تبادل المهام مع مدير التسويق، معرفش إزاي.. يمكن فيه حكمة، ويمكن دا مجرد قرار إداري عشوائي عادي، ما هو مش شرط كل حاجة يبقى لها تفسير منطقي.. أول ما مدير الإنتاج اتغيّر، كل حاجة اتغيرت.. مواعيد الشغل اتغيرت، يونيفورم الشغل اتغير، عدد ساعات الشغل بقت مفتوحة، الأوفر تايم بقى هو الوضع الطبيعي، لسبب ومن غير سبب.. والموضوع وصل لدرجة تبديل العمال من على الماكينات بينهم وبين بعض، وتغيير توزيع الورديات، والأكتر من كدا، تغيير أماكن الماكينات نفسها.. كل كام أسبوع يجيب ونش، ويشيل ويحط، والحكاية كانت واصلة لدرجة بالغة الخطورة من السواد، وبدأت فكرة الاستقرار النفسي تتلاشى من جوايا.. انت بقيت معرض كل يوم لأي حاجة، كلمة استقرار دي تنساها تمامًا، ودا خلّاني مش مرتاح، وخلّى مشوار كل يوم للمكان دا بقى عبء نفسي، وخلّى مخاطر كتير تحصل، وخلّى الشغل يطلع ملَكلِك ومحتاج يتعاد عليه، وساعتها بدأت أسأل نفسي: هو أصلًا الاستقرار دا كان مبني على إيه؟ أنا لو مشيت من هنا بكرة الصبح، هاروح أشتغل فين وأقول للناس أنا بعرف أعمل إيه؟ المهام الصغيرة البسيطة المكررة، ماعلّمتنيش صنعة، في الحقيقة هي ماعلّمتنيش أي حاجة ينفع تتعِمل غير في المصنع دا.. طب أجرب أقدّم في مصانع السيراميك مثلًا؟

صعب جدًا، لأنهم بيعيّنوا بشكل انتقائي وفي مواعيد محددة على مدار السنة.. الكلام دا معناه إني لما أمشي من هنا -ودا هايحصل قريّب- لازم أبتدي من الأول تاني في مجال تاني، كأن كل الوقت دا راح ع الفاضي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد شريط (كل ما نقرّب)، أنغام قعدت سنتين من غير ما تغنّي، كانت انفصلت عن فهد، وأكيد الموضوع دا سبب لها فجوة كبيرة على الأقل من الناحية الفنيّة.. أنا متأكد إنها كانت حاملة هَم التوزيع، حتى وهي بتشتغل مع أسماء كبيرة ومهمة، لأن مستوى التفاهم اللي كانت واصلة له الفترة الأخيرة، رفع لها سقف التطلّعات.. بس أنغام كالعادة هاترجع، وهاتشتغل مع عصام الشرايطي، الموزّع اللي استعارته من عالم صناعة أغانيها الخليجية، ومع حسن الشافعي ونادر حمدي، اللي كانوا يعتبروا دماء جديدة، وأثبتوا جدارة في شغلهم مع أهم الأصوات خلال فترة قصيرة، بجانب طارق مدكور اللي نجاحاته معاها لسه معلّمة؛ عشان نشوف السنة دي بالذات شريط (نفسي أحبّك).

اللي يلاحظ نمط اختيارها للموزعين: الاستعانة بموزع من تصنيف فنّي مختلف بس هي بتثق في شغله، الاستعانة بتجارب جديدة، العودة لعناصر الاطمئنان في تاريخها الفني، يتوقّع إنها قرّرت تستخدم كل الحيل اللي تعرفها، يمكن واحدة فيهم تظبُط. وبصرف النظر، هل أنغام فكّرت بالشكل دا، ولّا أنا اللي خيالي واسع.. في النهاية المهم إن الشريط طلع بشكل جميل، وكل التعب والمجهود بان عليه.. دا كفاية قطعة المزيكا اللي في منتصف أغنية (دلوقت أحسن)..

دلوقت أحسن

على الأقل مابقيتش باحزن

إنه عمره ما حس بيّا

أنا بس باندم

عشان زمان ماقدرتش أفهم

إن هو ماكنش ليّا

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنا قلت من الأول إني عايز أشوف أي مهنة أحب أتعلمها، وأبتديها من تحت الصفر، وبعدين أشتغلها، وقعدت في المصنع دا على قد ما قعدت، وفي الآخر ماتعلمتش صنعة.. صحيح، بس برضه الشغل في المكان دا قدّم لي مزايا كتير، وعلّمني التعامل مع الآلات، ومبادئ عامة وتفاصيل صغيرة خاصة بالعمل في تشغيل المعادن، يعني لو من بكرة قرّرت أسيب المصنع، ورُحت أتعلّم الخراطة أو البِرادة مثلًا، فأنا قدرت أحقّق خطوة البداية من تحت الصفر زي ما كنت عايز.. وبعد شوية تركيز اكتشفت إني كنت غلطان لما اتريقت على كمية الوظايف الغريبة اللي اشتغلتها لفترات قصيرة جدًا، لأن في الحقيقة دي تجارب كنت محتاج أدخلها، وتفاصيل ماكُنتش أعرف عنها حاجة، وأكيد هاييجي لها يوم تنفعني، في الحياة أو في الكتابة، يعني ماكانِتش على الفاضي.. ولغاية ما أعرف أنا إيه، هافضل

متمسّك بهويّة الكاتب المتفرغ، أو المتنقل المستمر بين وظايف فرعية.. ولو الكتابة في يوم من الأيام بقت مهنتي، يبقى ساعتها كمية الأشغال دي عملت لي سيرة مهنيّة عظيمة فعلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١٠

الواحد معظم الوقت بيكون عنده أسئلة منطقية بسيطة، مابيقدرش يلاقي لها إجابات واضحة، ودا بقى معتاد وتصالحت معاه.. عشان كدا لما أكتر من مرة في نفس السنة، يكون عندي افتراضات جدليّة فانتازيّة صعب يتم تطبيقها واختبار نتائجها بشكل واقعي، ومع ذلك يحصل اكتشاف مذهل، أو صدفة غريبة، تختبر الفرضيّة وتقدم لي النتيجة؛ دا بالنسبة لي كافي جدًا عشان أسميها (سنة المعجزات الصغيرة).

أول مرة سمعت فيها صوت سوما، كان دويتو مع بهاء سلطان، في شريط فري ميكس أربعة.. اكتشاف جديد من اكتشافات نصر محروس اللي مابتخلصش.. دا كان الشريط اللي سمعت فيه دياب لأول مرة، بجانب نجوم الجِيل السابق، تامر وشيرين وبهاء ووليد سعد.. اللي بالمناسبة كان هو اللي ملحّن الدويتو.. ساعتها مالفَتش نظري صوتها قوي، يمكن عشان كانت بتغني قدام بهاء، ويمكن لأن اللحن ماكنش ناصفها بالقدر الكافي.. لكن لما سمعتها بعدين في أغنية (هاتروح) اللي برضه كانت من ألحان وليد سعد، لاقيت مساحة أكبر من الغُنا، وعرفت إنها مطربة حقيقية وخامة صوتها نادرة، لغاية ما السنة دي نزل شريط (دا حبيبي)، ولاقيت معظمه من ألحان عزيز الشافعي، اللي كنت بدأت أتفاءل بوجود اسمه على الأغاني، وبطّلت أتلخبط بينه وبين الموزّع حسن الشافعي، وتوقّعت حاجات حلوة تبيّن صوت سوما بطريقة مختلفة، لغاية ما سمعت أغنية (لوحدك حبيبي)..

لوحدك حبيبي لوحدك

هاتفضل في قلبي لوحدك

ومهما بتعمل فيّا

ومهما الدنيا بتاخدك

الأغنية دي، بجانب أغنية (دا حبيبي)، بيوصّلوا لي انطباع غريب كل مرة أسمعهم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت في الوقت دا معتنق مبدأ راسخ بيقول إن مفيش رواية اتعملت فيلم، وكان الفيلم أحسن من الرواية.. وإن دايمًا الرواية أفضل وأعمق وأمتع، إلخ.. لحد ما عرفت إن (تلك الأيام) اتعملت فيلم.. أنا كنت قريت الرواية من كام سنة، وماكُنتش أعرف إن فتحي غانم كاتب مهم، والرواية ماعجبتنيش ساعتها، الفكرة ممكن تكون حلوة، الشخصيات مثيرة للفضول، بس السرد وطريقة الوصف ماعرفتِش أتواصل معاهم بشكل جيد.. إنما الفكرة كانت ملهمة لدرجة إنها أوحت لي بلوحة رسمتها، وأنا ماكنتش رسام جيّد بس كنت بحب أستخدم الفحم وألوان الميه على ورق الكانسون، وأقلد لوحات تعبيرية أو رمزية، زي اللي كانت مرسومة في دواوين فاروق جويدة، وساعات أرسم من غير تقليد، بجودة أي كلام لكن كانت مُرضية بالنسبة لي وعلى قد ما أنا محتاج.. ورسمت مسدس، وجنبه قلم أحمر شفايف، وقدامهم إزازة حبر فيها ريشة كتابة، التلاتة في نفس الحيّز، والضوء ساقط عليهم من نفس المصدر، وظلالهم كلها في اتجاه واحد.. كانت بالرصاص في سكيتش رسم صغير، وسميتها

(تلك الأيام) زي الرواية.. وبعدين عرفت إن الفيلم سيناريو وإخراج أحمد غانم، ماكنتش أعرف دا مين ولا له سوابق أعمال ولّا لأ، بس عرفت إنه ابن فتحي غانم، ودا كان كفاية جدًا عشان يحط توقعاتي في سياقها الطبيعي.. ولما بحثت شوية عرفت إنه واحد كان مساعد مخرج لرأفت الميهي وطارق العريان، وبعدين قرّر يعمل فيلمه الأول عن رواية أبوه الكاتب الكبير.. ربنا يحمينا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقتها كنت سِبت الشُّغل في المصنع زي ما أنا كنت متوقِّع، ماكُنتش عارف هاعمل إيه، عشت فترة سخيفة ما بين البحث اليائس والكسل البائس، قرّرت إن الحلول المؤقتة مابقتش جايبة همّها، وأنا بقى عندي أربعة وعشرين سنة، يعني مابقيتش صغير.. رحت ورشة الأسطى عرفان الخرّاط، اللي كان عرّفني بيه صديق مشترك اسمه رامي، وزرتهم في الورشة كذا مرة وكانوا يعرفوني هناك كويس.. قلت له يا أسطى، أنا عايز أتعلّم.. لاقيته استغرب قوي، أنا فاهم هو شايفني إزاي، أستاذ محمد صديق الأستاذ رامي، وراجل بيكتب قصص، يعني أفندي مش صنايعي.. قلت له شوف، أنا عارف انت بتفكر في إيه.. أنا مش عايز أشتغل، أنا عايز أتعلم.. يعني هاجي كل يوم أمسك معاك، أسند قصادك، أشيل لك الشنطة، أرص لك العدّة، أنضّف المكان.. ومش عايز فلوس، أنا عايزك تعلّمني الصنعة بس.. مش هاتخسر حاجة، ولو لاقيت وجودي عامل زحمة في المكان، ابقى قول لي وأنا أمشي.. مش عايزك تبقى قلقان في التعامل معايا كدا، قلت إيه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان فات حوالي سنة على نشر (بورتريه) في صورة حلقات أسبوعية في منتدى (ابن مصر) اللي أنا كنت عضو فيه، وبدأت أبقى مشهور هناك، واتعرّفت بناس كتير، بعضهم لسه مكمّل معايا لغاية دلوقت.. ودا كان أول ملتقى أدبي أنضم له، وكان فيه عدد من الناس المهتمّة بالقراءة والكتابة والشعر والنثر وحتى الأدب الإيروتيك.. وفي آخر كام سنة، كان المكان دا بالنسبة لي ملاذ آمن، بلجأ له كل يوم، عشان أشوف ردود الفعل على حاجة كتبتها، أو أقرا منشورات الناس اللي متابعها، أو أتواصل مع الناس اللي بقوا أصدقائي، رجالة وستات من مختلف الأعمار والجنسيات العربية، وبقى واصل معايا لدرجة الإدمان.. لحد ما في يوم، (لقاء) -صديقتي الفلسطينية- سألتني انت ليه ماعندكش فيسبوك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لما سمعت الأغنيتين بتوع سوما، لاقيت المود بتاعتهم بيفكّرني بألحان بليغ حمدي شوية، ولما ركّزت مع صوتها، وتخيّلته على ألحان قديمة لبليغ، قدرت أحس إنه كان هايبقى جميل قوي لو غنّت الأغاني دي بصوتها، وبعدين تصوّرت إن أكيد هي كمان جت على بالها نفس الفكرة، ومفيش شك إنها ليل ونهار ماشية في البيت تغنّي أغاني بليغ القديمة، وتتمنّى لو كانت تبقى موجودة في زمنه، زيها زي وردة وشادية وعفاف راضي ونجاة وميادة وأم كلثوم.. يا ترى كان هايعمل لها ألحان عاملة إزاي؟ أكيد هي اللي طلبت من عزيز يعمل لها ألحان شبه مود بليغ، عشان يحقق لها الحلم دا بشكل رمزي.. وشفت فيديو الميكنج بتاع كليب (دا حبيبي).. بحب قوي في شغل نصر محروس الحرص على التوثيق.. الميكنج دا كان معتاد في الكليبات الأولى أو التانية لكل مطرب بيكتشفه، وكان مادة لطيفة

بتعرض كواليس صناعة الأغنية، والكاميرات وتوجيه المخرج المخضرم للمطرب الشاب، وكلمات الثناء والشكر من المطرب للأب الروحي.. لغاية ما اكتشفت في الشريط أغنية خلتني مش مصدّق اللي عرفته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأنا بقرا أخبار عن فيلم (تلك الأيام)، عرفت إن اللي هايعملوا البطولة اتنين ممثّلين، أنا بعتبر كل واحد فيهم الأكثر تميُّزا في جيله: محمود حميدة وأحمد الفيشاوي.. وبالمناسبة، محمود حميدة من ساعة ما شفته في (الإمبراطور) وعرفت إنه أول فيلم يعمله، وأنا شايف قدامي ممثل كبير وناضج، مش مهزوز ولا مستغرب وقفته قدام أحمد زكي.. وبعد ما قارنت بين شخصية حسن في (الراعي والنساء) وسيد غزال في (رغبة متوحشة)، اتضح لي شيء مهم: أحمد زكي على قد ما هو عظيم ومتنوّع وغزير الإنتاج، بس محمود حميدة يقدر ببساطة يحتل أي دور من أدواره، ويقوم بيه بشكل ممتاز، وفي بعض الأحيان يمكن يتفوّق عليه كمان. كان عندي ليستة قصيرة من الممثلين اللي اختياراتهم بالنسبة لي علامة جودة شبه مؤكدة، من ضمنهم كان حميدة والفيشاوي.. وقرّرت إني هاشوف الفيلم دا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأسطى عرفان دوّرها في دماغه وبعدين وافق ورحّب، بس كانت المشكلة إنه حدّاد مش خرّاط زي ما كنت فاهم، اللي خراط هو الأسطى عبده، ودا مش فاضي عشان عنده تسليم متأخر.. قال لي خلاص، اقف مع حامد، اتعلّم منه، ناوله العِدّة، شوفه هايقول لك إيه.. أنا كنت بحب الأسطى عرفان ونفسي أتعلم منه هو شخصيًا، كان راجل حكيم ودمه خفيف وعنده وجهة نظر في الدنيا، وفهمت إنه اكتسب حكمته دي بالطريقة الصعبة، وأجمل حاجة في كلامه إنه كان بيقول الحكمة دي بأقل عدد من الكلمات، وبيستخدم مفردات بسيطة متناسبة مع مستوى تعليم راجل معاه الابتدائية.. كان مُحرِج جدًا للبلاغة والفصاحة والتقعُّر.

بس مع كل ما سبق، أنا ماكنتش عايز أتعلم الحِدادة، كنت عايز أتعلم الخراطة.. عشان كدا جيت تاني يوم أقف جنب حامد دا، وأشوفه هايعلمني إيه، كان أصغر منّي بشوية بس كان طويل وعضمه ناشف، وجلد وشه المشدود الأسمر بيلمع من كتر التركيز، مع إن الجو كان برد.. ماتصاحبناش بسهولة، وكنت شايفه واد تتك وعلى طول ساكت وبيجيب حاجته لنفسه من غير ما يطلبها مني ، ولا كأني واقف جنبه، بيكلّم نفسه بصوت واطي وبيحسب حسابات ويفكر في أرقام، بصوت عامل زي زن التلاجة.. ويهرش في راسه بصباع واحد زي العالِم المجنون، وبعدين يعمل حاجة بسيطة في الشغلانة، ويوقّف عشان يقيس، ويرجع يكمّل.. قلت له على فكرة، الأسطى عرفان موقّفني معاك عشان أتعلم منك، أنا وجودي مضايقك أو مخليك مش عارف تشتغل؟ كرمش وشه وبص لي من غير ما يتكلم، بس نظرته كان فيها ابتسامة كأنه عايز يقول (إيه اللي خلاك تقول كدا؟)، ورجع يكمّل شغله من غير ما يزوّد، وبعدين بص لي وشاور على عينيه، وعلى الشغلانة.. كأنه بيقول لي (بُص واتعلّم) يعني عايزني أتعلم لوحدي، وحتى الجملة دي مكسل ينطقها؟ إيه الواد المبالغ فيه دا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقاء كانت أول شخص يعلق على فصول بورتريه لما اتنشرت في المنتدى، وأول واحدة أبدت إعجاب وقالت نقد موضوعي تفصيلي، حسّسني إن الفصل نال رضاها فعلًا، وشجّعني أكمّل، غير إنها راحت تطلب من صاحبتها مشرفة الصفحة الأدبية، إنها تثبّت لي الرواية على قمة الصفحة وتبقى متجددة ودايمًا ظاهرة، من ساعتها وإحنا أصحاب.. قلت لها معرفش حاجة عن فيسبوك دا، ومش مهتم قوي، ومتوقِّع إنه يكون أكبر من اللازم ومقدرش أتابعه كويس.. قالت لي جرّب، أنا هاعمل لك حساب عليه، وانت ادخل ضيف الناس اللي تعرفهم من هنا، وبعدين شوف الموضوع هايمشي كويس ولّا إيه، قلت لها اعملي كدا.. كنت عارف إن اللي هي بتعمله مامنّوش فايدة.. أنا مش هاستغنى عن المنتدى، ولا هاتعوّد على فيسبوك، لأني بقيت شخص محب للاستقرار والهدوء، غير راغب في التجريب، زائد اكتشافي إني مؤخرًا بقيت إنسان غير مُحب للتواصل أصلًا.. يمكن المنتدى هو المكان الوحيد اللي بمارس فيه أي نشاط اجتماعي.. موبايلي لسه بزراير، ومعظم الوقت يا إما طافيه يا فاصل شحن، يا بِعْته وحطيت الشريحة في المحفظة.. عشان الأسباب دي، كنت قلقان من فيسبوك ومتأكد إني مش هاقدر أتعامل معاه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأغنية اللي اكتشفتها في الشريط كان اسمها (سيدي يا سيدي)، غنتها سوما مع مطرب شاب اسمه نبيل.. كان صوتهم حلو والأغنية كانت لطيفة، بس كان فيه حاجة ناقصة، لحد ما عرفت إن ملحن الأغنية هو بليغ حمدي، وإنه غنّى الأغنية دي بالذات مع وردة..

سيدي يا سيدي..

إمتى يا سيدي

نبقى زي زمان

لو جابوا لي الشمس في إيدي

انت قمري كمان

ويلي ويلي منكوا يا ويلي

م الهوا ولياليه

قد ما يبكّي مواويلي

قلبي ملك إيديه

كنت أول مرة أسمع الأغنية، اللي عرفت بعدين إن ناس كتير غنّوها، حتى سميرة سعيد، وماصدّقتش إن سوما لها أغنية من ألحان بليغ حمدي فعلًا.. كانت صدفة أغرب من الخيال إن الحياة ترد على تساؤلاتي الفانتازيّة اللي ماينفعش يكون لها إجابة.. سوما مطربة جميلة، بس لو كانت غنّت حاجات كتير من ألحان بليغ، أولًا كانت هاتختار حاجات غريبة، مش هي أكتر حاجات بحبها له.. ثانيًا، هاتعمل أداء حلو، لكن مش هاتاخد راحتها في الطرب ولا هاتعرف تستعرض إمكانياتها الحقيقية،

لأنها لما اختارت لحن من ألحانه، اختارت لحن بسيط وسهل، حتى لو كان متوسط الجودة.. وواضح إنها ماكانتش عايزة تدخل في تحديات ومقارنات، يمكن لأن اللحن دا فيه أصوات تانية أكبر غنّته قبلها.. بس مين عارف، جايز لو كان بيعمل لها لحن أصلي عشان خاطرها مخصوص، كانت تختار حاجة أعقد من كدا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخلت فيلم (تلك الأيام) وأنا بتمنّى مايكونش ضعيف أكتر من اللازم، وشفته، واتفاجئت من مدى جودته، وعرفت إن ممكن يبقى الفيلم ملتزم بالرواية ومع ذلك يطلع أجمل منها، وإن فرضيّتي كانت عبيطة.. هي ممكن تكون حاجة شائعة، لكن فيه استثناءات، زي مثلًا (السقا مات)، رواية يوسف السباعي البديعة اللي مافيهاش غلطة، لكن مع ذلك لما شفت الفيلم، لاقيته أجمل من الرواية كمان، وتقريبًا دا أكتر دور حبيته لعزت العلايلي.. بمناسبة (السقا مات)، الرواية دي فاكر إنها كانت عندي وضاعت، مش فاكر مين اللي خدها ومارجّعهاش، والسنة اللي فاتت قلبت الدنيا على نسخة تانية منها مالقيتش، نزلت فرع مكتبة مصر اللي في الفجالة، لاقيتها خلصانة، شفت في المعرض في سور الأزبكية وفي جناح المكتبة مالقيتش منها ولا نسخة، السنة دي قرّرت أنزل المعرض مخصوص أدوّر عليها.. لفيت على كذا حد في سور الأزبكية، لغاية ما وقفت قدام ترابيزة كبيرة عليها جبل كتب فوق بعضه، والناس بتنقي منهم زي الطماطم.. وقفت أشوف إيه طريقة العرض الغريبة دي، وأقلّب يمكن ألاقي حاجة عليها القيمة.. وفي وسط ما أنا بقلّب، الراجل اللي واقف على شمالي كان ماسك في إيده كتاب، وهو بينكش مجموعة الكتب اللي قدّامه بشكل همجي، طار من إيده الكتاب وقع بين إيديا بالظبط.. بصيت للناس اللي حواليا، أشوف حد فيهم أخد باله من اللي حصل ولّا لأ، وبعدين انتبهت لحقيقة إن حتى لو كان حد شاف اللي حصل، مش هايفهم.. لأن ماحدش عارف معنى إن تقع في إيدي -حرفيًا- نسخة من رواية (السقا مات).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فضلنا في الورشة كام يوم على الوضع الممل دا، لغاية ما سألت نفسي: تفتكر هاتقدر تكسب فلوس من الشغلانة دي في يوم من الأيام؟ بعدها بيومين جه يزورني في الورشة رامي -الصديق المشترك اللي عرّفني عليهم هنا- وقعدت أنا وهو وحامد نتكلم ونضحك وإحنا بنشرب الشاي، من بعدها حامد فك معايا شوية وبدأ يعلّمني واحدة واحدة.. ماكُنتش مستعجل، كنت باكنس المحل وأنضّف الماكينات وأفرز كل نوع خردة لوحده، وأغسل القطع القديمة بالجاز والصابون، وألِمّ العدة وأنضفها وأرصها في مكانها أول بأول.. كنت عايز أثبت لهم إني حابب أتمرمط ومفيش داعي للتعامل معايا بالشوكة والسكينة، لأنهم كانوا محسّسينّي إني ضيف من وزارة التفتيش على المخارط.. في نهاية الأسبوع الأول لاقيت الأسطى عرفان عامل لي يومية عشرين جنيه، وماكانش قايل لحد عشان معرفش.. أنا قلت له لأ، إحنا متفّقين من الأول، قال لي: خلاص بقى اسمع الكلام..

من كام يوم بس كنت لسه بسأل نفسي سؤال، مش عارف إجابته ممكن تتحقّق بعد كام سنة، دا لو اتحققت أصلًا، والنهاردة الإجابة جت بصورة عملية أكتر من اللازم.. ١٤٠ جنيه أجر عمل سبع أيام، لأني بدأت شغل من الخميس اللي فات..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أول ما استلمت الأكاونت من لقاء، لاقيتها عاملة لي الاسم هو نفس الاسم المستعار اللي مسجل بيه في المنتدى، فتحت الإعدادات وغيّرته، خليته اسمي الثلاثي، اللي هابقى مشهور بيه لما كتبي تتنشر، زي الناس اللي أتمنى أبقى مكانهم في يوم من الأيام.. محمد عبد الحليم عبد الله، أمين يوسف غراب، محمد المنسي قنديل، أحمد خالد توفيق.. ونشرت قصة من مجموعة (طريق النعناع) في بوست، مع صورة جبتها من جوجل، ولاقيت الناس بتوع المنتدى بيبعتوا لي طلبات إضافة.. وشوية وأصدقائهم بدأوا يبعتوا لي هما كمان، ولأول مرة أشوف ناس ماتعرفنيش، بتتفاعل مع القصص اللي بحُطّها.. ساعتها قلت لنفسي إن لقاء لها عندي إهداء مطبوع على بورتريه لما أنشرها.. بدأت أتعرّف بمجتمع الكتابة والنشر والصحافة الأدبية ببطء، الوضع بقى أفضل بكتير من السنين اللي فاتت، ولاحظت إن فيه ناس أنا عارف أساميهم من كتر الرسايل اللي كانوا بيبعتوها على بريد القراء، في معظم سلاسل الجيب اللي متابعها.. الناس دي بقى لهم كتب في السوق بالفعل، والعالم بقى أوسع، شكلها قرّبت.. وهنا خدت بالي إني بقيت أفتح المنتدى مرة واحدة كل كام يوم لمدة خمس دقايق على غير العادة، وساعات بنساه بالأسبوع، وإن تقريبًا معظم الناس اللي أعرفهم هناك، خلاص عزّلوا للفيسبوك، وهما كمان مرات دخولهم المنتدى بقت أقل، وشوية والمنتدى نفسه اتقفل.. وكان ناقص يوصلني جواب من مجهول يقول لي: شفت إن كل حاجة ممكن تتغيّر عادي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١١

ساعة ما استلفت (ثلاثية الأمالي) من فريد صاحبي، ماكنتش قريت حاجات كتير لخيري شلبي.. يمكن جزء صغير من (صحراء المماليك).. وبعد ما خلّصت الثلاثية، فتحت صحراء المماليك من الأول لحد ما خلصتها، وبعدين قريت (وكالة عطية)..

شفت في روايات خيري شلبي عنصر جذب فريد، مبني على حكايات طفولة بائسة، ملعونة بالسلب بعد العطاء، ومراهقة متصعلِكة، متقلّبة بين المهن الشاقة، بعدهم المنحنى الاجتماعي بيرتفع، ويظل المخزون الإنساني.. لا هو فضل مهمّش زي كل المهمّشين، واستسلم لمصيره الجديد بعد وفاة أبوه، ولا المعلقة الدهب اللي اتولد لاقاها، فضْلت في بقّه، فطلع محروم من التجارب ومعدوم الخبرات.. الناس بتتكلّم عن روعتها وجمالها وقوتها الخارقة، ودا راجل بيتكلم عن أسوأ الظروف وأحط المواقف، وإزاي في النهاية ممكن ينشأ عنها أديب بالروعة دي، وإنسان يتمتع بهذا الكم من الخبرات الحياتية الثمينة.. خيري شلبي أول واحد على الإطلاق يلفت نظري لفكرة إن ممكن الظلم والفقر والحظ السيء، بعد فترة يتحولوا لشيء إيجابي.. زي الحقنة، بعد ثانية وجعها هايزول، لكن تأثيرها

الوقائي أو العلاجي بيستمر فترة طويلة.. الظروف السيئة والمواقف المنحطة والناس الوحشين، هما اللي بيربّوا الإنسان.. لكن الأوقات الحلوة، عاملة زي الشوكولاتة، طعمها الحلو بيستمر ثانية واحدة، وبتكمّل معاك على هيئة كرش وأرداف للأبد.. عشان كدا هايفضل الراجل دا من أهم عناصر القلعة الرملية في العالم بتاعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لما خيري شلبي يسمّي كرة القدم (سيمفونية الفقراء)، ماحدش يقدر يقول له: عرفت منين؟ لأنه مش بس مطّلع على أحوال الفقرا ومهتم باهتماماتهم، دا واحد من أفقرهم.. والتسمية دي مفهومة جدًا، الكورة في مصر مش بس أعلى الرياضات شعبية، دي تقريبًا وسيلة الترفيه الوحيدة، المجانية القانونية الشرعيّة المرحَّب بيها اجتماعيًا في حياة ٧٠٪ على الأقل من الذكور في مصر، حتى الأكل والجنس لهم متطلبات أعقد من مشاهدة ولعب الكورة.

أنا عن نفسي ماليش في الكورة ولا بحبها، ولا فاهم مبدأ تشجيع النوادي دا.. مش عارف يعني إيه واحد يشجع فريق الكورة بتاع نادي معين.. لو انت بتشجع النادي، شجع كل الألعاب بتاعته.. لو انت بتشجع كورة، شجعها في كل النوادي.. إنما بتشجع فريق، اللاعبين بتوعه ممكن يمشوا في أي وقت ويلعبوا في النادي المنافس؟ المدرب بتاعه هايمشي لما عقده يخلص، مجلس الإدارة بتاعه هايتغيّر، إيه العنصر الثابت اللي انت منتمي له في النادي الفلاني؟ بتشجع النجيلة والتراك وغرفة تبديل الملابس؟ طب دا انت حتى مش عضو فيه.. دي حاجة غريبة جدًا بالنسبة لي.. وكنت دايمًا بسأل نفسي إيه اللي يخلّي واحد زي خيري شلبي يشجع الزمالك بالحماس دا كله؟ راجل فيلسوف كبير زيّه، يا ترى شايف فلسفة التشجيع إزاي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لو جبت عيّنة عشوائية من المصريين، ما بين عشرين وأربعين سنة.. وسألتهم يا ترى ٢٠١١ بالنسبة لكم بتمثّل إيه؟ أو بتفكركم بإيه؟ غالبًا هاتحصُل على نفس الإجابات.. حاجات كتير في السنة دي، سايبة ذكريات مشتركة في الوجدان الجمعي للناس، آمال وإحباطات ودم ودموع وابتسامات..

أما بالنسبة لي أنا، أبرز أحداث السنة دي كانت وفاة خيري شلبي.. ومئوية نادي الزمالك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من زمان، قبل حتى ما أدخل المدرسة وأنا مابنزلش ألعب مع العيال في الشارع.. ولما دخلت ابتدائي كنت التلميذ المرهف المؤدب اللي مسرّح شعره على جنب.. الصورة دي كانت مستفزة جدًا للعيال اللي الواحد فيهم هدومه لون جزمته لون وشه لون الأرض.. مستوى متردّي من الفقر، كنت أنا بالنسبة له شكلي فاحش الثراء.. ودا كان بيصدّر عني انطباع خاطئ، إني تِتك أو مابحبّش زمايلي، ويمكن لأن ماكانش عندي أي مهارات اجتماعية، كنت بتصرّف من غير قصد بطريقة ترسّخ عندهم الانطباع دا، بالتالي ماكانش حد فيهم بيهتم يلعب معايا، أو يخليني أشاركه اللعب في الفسحة.. ودا خلاني طفل غير مهتم بالكورة، لا بيلعبها ولا بيفهمها ولا بيشجعها.

لما وصلت لمرحلة إعدادي، اكتشفت إن ماكانش ليا لعب كورة من أصله، وكويس إنها جت كدا.. بسبب إن لياقتي البدنية كانت منعدمة، وكمان وزني بدأ يزيد، والمرات النادرة اللي لعبت فيها، كانت مرهِقة جدًا بالنسبة لي.. لكن دا مايمنعش إني أروح الماتشات مع أصحابي، عشان أتفرّج عليهم وهما بيلعبوا، وساعات أشارك كل فين وفين لو كانوا ناقصين لاعب، أو نقعد نتفرج سوا على ماتش للزمالك، بحكم إنهم كلهم زمالكاوية.. وبعدين لما كبرت أكتر، ظبطت نفسي كذا مرة واقف في شباك المطبخ، مركز مع العيال الصغيرين، وهما مقسمين نفسهم فرقتين، وبيلعبوا في الملعب اللي ورا العمارة، وساعات لو عدّيت من جنب الملعب وأنا رايح السوق، ولاقيت ناس بتلعب، أقف أتفرج على هجمة أو ترقيصة أو رفعة حلوة، وأراقب ردود الفعل على وشوش الفرقة اللي جابت الجون.. كنت بحب قوي قعدة الماتشات، مع فريد وإسماعيل ومحمد أخوه الصغير، بالذات لما يكون ماتش للزمالك، ومرتّبين للسهرة.. متعة ترتيب السهرة نفسها، والمفاجآت المتعلّقة بمين اتصل قال إنه في الطريق عشان ييجي يتفرج معانا، والتشجيع والزعيق والشتيمة وحدف الطفّايات، كل الشعائر دي كانت من مفضّلاتي، وأنا واحد مالوش في الكورة ولو الزمالك خسر مش هاحس بحاجة.. لكن وقتها كنت مُكتفي بالتفسير البسيط، فرحة اللمة والسهرة واستعادة أجواء أيام زمان هي السبب.. بالتزامن مع الفترة دي، عزيز الشافعي نزّل شريط (زمالكاوي أنا)، احتفالًا بمئوية النادي.. وساعتها سمعته لأول مرة مع العيال.

قلبي.. الزمالك جوّه قلبي

آه بقولها ومش بخبّي

هو دا الحب اللي أنا اتربّيت عليه

انسوا.. إني أبعد عنه انسوا

لو تشوفوا لو تحسّوا

الزمالك غالي عندي قد إيه؟

وقتها، كانت فكرة إني أسمع أغنية بتتكلم عن نادي، منحصرة في مساحة الحماس والزعيق والهيصة والأدرينالين.. لكن إني أسمع أغنية من فنان للنادي بتاعه، بتحمل كل هذا الكم من الدفء والشجن، كأنه بيتكلم عن الوطن أو البنت اللي بيحبها؛ دي حاجة خطفت قلبي، وعلّقتني بالشريط بسرعة.. وأخدتْ أغانيه على فلاشة، وحطيتهم على الكومبيوتر بتاعي، وبقيت أسمع فيهم ليل ونهار.

لما حاولت بعدين أفسّر الحكاية دي، اكتشفت إن الشريط دا، والوقت اللي نزل فيه، يعتبر وقت جميل نادر في حياة معظم الناس اللي بحبهم، واللي العادي بالنسبة لهم هو النكد وكسر الخاطر وحرقة الدم، وافتكرت خيري شلبي.. لو كان استنّى شهرين بس، كان احتفل بالمئوية ومشي وهو مبسوط.. الراجل دا كان يستاهل يدوق الفرحة، لأنه إداني التفسير اللي كنت بدوّر عليه.

سيمفونية الفقراء..

دا التفسير المنطقي الوحيد، اللي مخلي علاقتي بتشجيع الكورة بتتراوح بين عدم الاهتمام، والاهتمام الجم.. أنا في الحقيقة مش مهتم بالماتش ولا اللي بيلعبوه، قد اهتمامي بالبحث عن لحظات البهجة عند الناس، وعلى الحماس والشغف اللي بقوا أشياء نادرة، كنت بدوّر على الناس في لحظة إحساسهم بمتعة جارفة، وفي نفس الوقت تكون بريئة وآمنة وتلقائية، وأقف أتفرج على وشوشهم وتصرفاتهم وهما في الحالة دي، وأستغل المود دا في إني أتعامل معاهم ونتكلّم ونضحك، وأشوف أفضل وش عندهم..

مفيش أجمل من كدا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١٢

من أجمل المُتع اللي في الدنيا، متعة الاكتشاف.. العالَم مكان كبير ومليان حاجات ماتخطرش على البال، ومهما كان الشيء العظيم اللي اكتشفته، سواء كان خبر جيّد أو معلومة سخيفة، يظل للاكتشاف في حد ذاته عظمة وانتصار، وبيفضل جزء من إحساسك إيجابي لأنك عرفت حقيقة جديدة عن العالم حتى لو حقيقة قبيحة.. لكن الأجمل والأهم من اكتشافك للعالم، هو اكتشافك لنفسك.

زي لما تتوصّل لفكرة جديدة، أو تحس بشعور غريب.. أو لما منظورك تجاه الأمور يتغيّر، وتلاحظ إن رأيك في الشيء بقى مختلف.. لما تمر بتجربة جديدة، أو تواجه موقف غير تقليدي، وتلاحظ طريقة تصرّفك واتجاه تفكيرك.. اللي بيدلّك على قد إيه انت اتغيرت واتعلمت دروسك، ويخليك تشوف في نفسك صفات ماكانِتش موجودة قبل كدا.. وتعرف إن الزمن اللي عدّى عليك من غير ما تاخد بالك، كان محمّل بالهدايا.. تفاصيل صغيرة زي حبّات الرمل، بتتضاف واحدة ورا واحدة، عشان لما تشوف لنفسك صورة من عشر سنين وتقارنها باللي شايفه في المراية، تلاحظ الفرق بوضوح، وتجاوب بنفسك على السؤال اللي كان محيّرك: هي الناس بتكبر إزاي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قلت للعيال هاروح أسأل على حاجة في جناح الهيئة وأرجع لكم بسرعة، ماحدش يتحرك.. كانت مجرد حجّة عشان كنت محتاج أتمشّى لوحدي شوية.

والله زمان.. دايمًا لما أروح مكان بحبه وفيه بيني وبينه علاقة طيبة، مهما كنت رايحه مع مين، بحتاج لحظة أختلي فيها بالمكان، أنا وهو وبس.. والأماكن اللي قادرة توصّلني للحالة دي نادرة جدًا، عشان كدا لو جت لي فرصة بيكون صعب أضيعها.. مشيت أتفرج على الناس والأجنحة والكتب، عدّيت من جنب دار متخصّصة في كتب الأطفال، لمحت راجل شايل طفلة صغيرة راسها قد البرتقانة، ولابسة فستان بنفسجي شكله متفصل على قدها مخصوص، كان بيحاول يفرّجها على مجلة ملوّنة، وهي مشغولة باللعب في ياقة القميص بتاعه.. وقفت جنب الجناح أتفرّج على الاستاندات والكتب الملوّنة، وجنبي سمّاعة بتذيع أغاني أطفال غريبة أول مرة أسمعها.

قعدت على كرسي قريب أسمع الأغنية، وأفتكر أغاني الأطفال على أيامي.. كان عندنا في البيت شريط لمحمد ثروت، اسمه (رشا) كله أغاني للأطفال، كنت حافظ كل أغانيه من وأنا لسه سنتين تلاتة، وبعدين لما كبرت شوية عرفت إن اللي كان موزّع أغاني الشريط هو هاني شنودة، وإنه كان برضه ملحّن فيه كذا أغنية كلهم حلوين، منهم أغنية (طيور النورس) اللي كتبها صلاح جاهين..

كان نفسي من صُغري

أكبر وأكون بحّار

وحلمت طول عمري

بالبحر والأخطار

الحلم حققته

لأني صدّقته

وكتبني في ورقته

قبطان من الشطّار

وكمان عفاف راضي كان لها شريط للأطفال من ألحان عمّار الشريعي، عفاف من أروع الأصوات اللي غنّت للأطفال، ودا خلّاني حبيتها من قبل ما أعرف أي حاجة عن الدنيا.. كبرت لاقيتني بحبها، زيها زي محمد ثروت وهاني شنودة وعمّار الشريعي ومحمد فوزي..

وزمان ساعة ما كنّا لسه بنحتفل بعيد الطفولة، وأيام مهرجان القراءة للجميع، صفاء أبو السعود عملت أوبريتات رائعة مع الأطفال، وكانت من أهم مصادر البهجة بصوتها وفساتينها وانطلاقها وضحكتها.. أنا معرفش كنت بحب الأغاني دي عشان هي أغاني أطفال وأنا طفل، ولا عشان كنت مُدرك إنها أغاني رائعة وألحان مميزة وأصوات نادرة، حتى من قبل ما أفهم معنى الكلام دا.. دي كانت المرحلة الأولى من التفاعل بيني وبين أغاني الأطفال، جت بعدها مرحلة الإحراج والتنصُّل.. في سن تمانية أو عشر سنين، بقيت أتضايق لما تتذاع أغنية أطفال جديدة في التليفزيون، وأبقى قاعد مش مرتاح، زي (في البحر سمكة) وتتر مسلسل (السندباد).. بعدين فهمت إن دا إحراج من كوني لسه طفل، وأنا عايز أبقى كبير بسرعة عشان أحقق توقّعات أمي وأبويا، لأنهم عايزين يتعاملوا معايا على إني كبير، وحسّوا إن طفولتي طوّلت تقريبًا.. المرحلة التالتة هي إن مابقاش فيه تفاعُل بيني وبين أغاني الأطفال، بتنزل الأغنية ماباخدش بالي، يمكن لأني خلاص مابقيتش طفل فبطّلت أركز معاهم، أو لأن مستوى الإنتاج مابقاش على ذوقي مثلًا.. المهم إن العلاقة بيني وبين أغاني الأطفال اتقطعت، ومن وقت للتاني لما أسمع أغنية مستفزّة زي اللي شغّالة دي، تخلّيني أفكّر في الموضوع شوية وأرجع أنساه.. أول ما خِلْصت الأغنية قمت، بصّيت للشمس والناس والأجنحة والورق الملون على الأرض.. افتكرت إني كنت عايز أشوف حاجة تنفع هدية في عيد ميلاد طفلة عندها سنة، وبعدين قرّرت أرجع للعيال قبل ما يتحركوا من مكانهم ونتوه من بعض، والهدية أبقى أجيبها في أي وقت تاني.. النهارده يوم استثنائي، مش زي أي معرض كتاب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أول مرة أزور فيها معرض الكتاب، كان بعد ما جيت أكتوبر بسنتين تقريبًا، ومن ساعتها وهو النسبة لي العيد الحقيقي، المناسبة الوحيدة اللي بستناها من السنة للسنة، وطول عمرها زي ما هي، الوقت ماغيّرش طعمها.. وكان مشوار المعرض له طقوس ثابتة، نتقابل في أي نقطة مُتفق عليها الصبح بدري، ونركب أي حاجة رايحة رمسيس، وننزل نفطر في محل كشري معيّن.. نتمشّى شوية لغاية جامع الفتح، ونركب للمعرض من هناك.. وإحنا راجعين، لو عدّينا على رمسيس يبقى لازم نشرب عصير قصب قبل ما نتجه لموقف أكتوبر.. زمان كنت كتير ببقى مفلّس وقت المعرض، وكنت باخد من أمي حق المواصلات عشان أروح بس، من غير ما أجيب حاجة.. كنت مرة أخرج بعشرين جنيه، ومرة بخمسة جنيه وأخلّي حد من أصحابي يدفع لي معاه في المواصلات ويتبنّاني طول اليوم.. رغم

كل الظروف، مفيش معرض حصل من بعد تسعة وتسعين، وفاتني. ومن ضمن طقوس يوم المعرض بالنسبة لي، إني كنت دايمًا باخد معايا قصة في جيبي أو في شنطتي، أقراها في المواصلات.. وكل سنة لازم فريد وإسماعيل يضحكوا على الموضوع دا، مش فاهمين يعني إيه واحد نازل من بيتهم داخل معرض الكتاب، وفي جيبه كتاب.. والمواقف اللي من النوع دا كتير، وفيه منها لسه بنفتكره لغاية دلوقت.. زي في مرة وإحنا في الأتوبيس نازلين رمسيس، محمد ذكَر كلمة (لوا لوا) بصيغة استفهام، أنا وإسماعيل رديّنا في نفس الوقت.. أنا قلت له إنها نوع من الديدان، وهو قال له إن دا اسم لاعب في منتخب الكونغو.. وبعدين أنا وهو بصّينا لبعض، وكل واحد فينا عايز يرزع التاني بالقلم.. فريد خَد باله واتدخّل بسرعة وهو بيضحك، وقال إن إحنا الاتنين صح.. هو الوحيد فينا اللي كان بيقرا سافاراي وفي نفس الوقت مهتم بالكورة.. لحد دلوقت الموقف دا لسه بتيجي سيرته.

لسنين طويلة كان جناح المؤسسة هو مكاني المفضّل في المعرض كله، وساعات مكان تمركُزي الوحيد، بعدها واحدة واحدة الدور كترت والكتب كترت، وأنا كمان مساحة قراءاتي بقت أوسع شوية، واتعرّفت بناس كتير، وقابلت الناشر الوحيد اللي اتعاملت معاه قبل كدا -اللي قابلني مرة في الأوبرا- وافتكرني، وبقينا أصدقاء.. واتعرّفت بمجموعة من شباب الكتّاب، اللي عاملين جماعة أدبيّة على الضيّق، ابتدت من المنتديات وبتحاول توصل لدور النشر.. الأول عرفنا بعض على فيسبوك وبعدين وجهًا لوجه، وحاليًا معظمهم لسه على اتصال بيّا حتى الآن، والبعض الآخر بتتقاطع بينا السبل كل كام سنة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخدت سنين طويلة أتوه في المعرض، وأمشي على الخرايط والأسهم زي السيّاح، في حين إن زمايلي حافظين المعرض زي صالة شقتهم، لأن كل حاجة في مكانها من السنين اللي فاتت، مفيش حاجة اتنقلت.. السنين اللي فاتت؟ أنا الذاكرة الجغرافيّة عندي واصلة لمرحلة إني مش فاكر البوابة اللي دخلنا منها ورانا بالظبط ولا على الشمال من جنب السور.. لحد ما في يوم اكتشفت إني حافظ المعرض زيهم، ولما بسرح وأنا ماشي، بلاقي نفسي وصلت للمكان اللي كنت قاصده.. ذكاء الحمير.. اليوم اللي أدركت فيه الموضوع دا كان يوم احتفالي جدًا، وقرّرت أفتح تليفوني -اللي معظم الوقت بخلّيه مطفي- عشان كل الناس تعرف توصل لي وتقول لي هي فين، وأروح لها على المكان، وأكتشف إني باوصل من أول مرة. مرّات كتير رجعنا من المعرض شايلين كمية مهولة من الشنط، لدرجة إن حاجات كانت بتضيع مننا في المواصلات.. وكتير رجعنا من غير ولا كتاب، أو بكتاب قديم من سور الأزبكية، وساعات كنا بنرجع ببوستر لجهاز قياس ضغط الدم المنزلي وتقويم عليه صورة إصدارات دار مصنع الكراسي وإعلانات شركات كومبيوتر، أخدناهم مع كتاب ماحدش فينا فاكر أصلًا إحنا اشتريناه ليه.. ساعات كنا بننزل مبسوطين ونرجع متنكّدين، ونقول مش هاننزل تاني، وننزل تاني.. وأحيانًا كنا نتفق من قبلها بأسبوع ونيجي يومها تحصل حاجة، وكل واحد ينزل في يوم لوحده.. خروجة المعرض كل سنة كانت بتمثّل لي حاجة مهمة، يمكن أهم حاجة في السنة كلها، لكن السنة دي بالذات كان لها أهمية أكبر، لأن دي كانت المرة الأولى اللي بادخل فيها المعرض وأنا كاتب، مش بس قارئ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لما برجع للبدايات اللي أدت للحظة دي، مابكونش عارف المفروض أرجع لحد فين.. إمتى حبيت إني أبقى كاتب، ولّا إمتى عرفت إني مانفعش غير كاتب، ولّا إمتى خلّصت المجموعة دي، وظروف كتابة كل قصة، سواء كان في وقت الجيش أو كنت في أجازة.. افتكرت تفاصيل كتابة أول قصة من المجموعة، يومها كنت قاعد لوحدي في البيت زهقان، وقرّرت أنزل أقعد في البؤرة.. كنا قبل المغرب بشوية، ودا وقت غالبًا مش هقابل فيه حد أعرفه.. قبل ما أدخل، عدّيت على المكتبة، اشتريت قلم فرنساوي وكراسة مسطّرة، وقعدت على ترابيزة بعيد عن التليفزيون وكتبت (ما بين ضفّتي كتاب متهالك الصفحات).. كنت حابب فكرة الكتابة على القهوة، رغم إن فرص التركيز بتكون ضعيفة، بس أنا وقتها كنت بحب الاستايل اللي بيربط بين المقاهي والكتابة، وكان بيحسّسني إني امتداد لمحفوظ أو سارتر.. والغريبة إن الإحساس الطفولي دا، كان بيساعدني جدًا لما تكون الظروف ملائمة، زي إن مايكونش فيه ماتتش، أو مش قاعد مع حد، وألاقي نفسي كتبت كويس. أول محاولة للكتابة على القهوة كانت في ٢٠٠٣.. كنت ساعتها لسه في ثانوي، والمحاولة دي فشلت لأسباب وجيهة، كنت جهّزت نفسي وحطيت الكراسة والقلم والشاي قدامي، ورتبت أماكن كل حاجة حواليا، وقبل ما أفتح الكراسة بلحظة، حصلت حاجة خلتني رجعت في كلامي.. حصلت حاجة اسمها (نانسي عجرم).. كنت أول مرة أشوفها على الإطلاق، واتأكدت إنها مش بس هاتمنعني عن الكتابة الفترة الجاية، دي احتمال تمنعني من المذاكرة كمان.. وتنّحت زي اللي واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسي وأنا بتفرّج على كليب (أخاصمك آه)، وبشاهد كل هذا الدلع للمرة الأولى..

يمكن عليك باسوق دلالي

ويُخطر في بالي أعاند هواك

لكن قوام بِحن تاني

وأصالحك يا غالي وباطلب رضاك

نانسي في الوقت دا كان عندها عشرين سنة تقريبًا، بس أنا كنت شايفها طفلة، أو بالكتير مراهقة.. مثيرة جدًا ومحركة للمشاعر بالتأكيد، بس دا لأن أنا كمان كنت مراهق، إنما ماكُنتش شايفها ست.. كانت في نظري تلميذة في أولى ثانوي، لابسة غوايش وباروكة خالتها وبتتصور قدام المراية.. الكلام دا من ييجي تسع سنين بس كأنه أول إمبارح..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لو كان حد من حضارة المايا عايش لغاية دلوقت، كان هايبقى فخور بيا قوي، إن اقتراب نهاية العالم مامنعنيش من تحقيق حلمي.. لحد دلوقت مش قادر أصدّق إن دا حصل.. واقف بتفرّج على نُسخ الكتاب، مرصوصين على الرف، كأني بتفرّج على هولوجرام.. حاجة، إيدي لا تملك الجرأة عشان تتمد وتحاول تلمسها، خشية ألا تكون حقيقية.. ومسكت نسخة وفتحتها وقلّبت فيها، وقريت كلامي مطبوع.. شمّيت الحبر.. بصيت للكتاب من كل الزوايا.. قربته من ودني عشان أسمّعها صوت رفّة الورق.. تواصلت معاه بكل الحواس.. ماكنش ناقص غير إني أطلّع لساني وأبدأ ألحس الغلاف.. لأ،

برضه مش مصدّق، أنا لسه من كام يوم كنت طفل صغير جدًا، بييجي يسأل عن (أسطورة النافاراي)، يشتريها بجنيه ونص، ويروّح بيتهم في ساعتين، بآخر تلاتة جنيه في جيبه..

إمتى حصل كل دا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السنة دي لما شريط (سوبر نانسي) نزل حسّيت إن نانسي أخيرًا بتغنّي حاجة شبهها، ومش مضطرة تقلّد الكبار.. دي مش حاجة غريبة، بالعكس دي خطوة متأخرة وكان لازم تحصل من بدري.

لما سمعته أول مرة كنا في عيد ميلاد سلوى بنت إسماعيل صاحبي، كانت لسه مكمّلة سنة.. وكانت الأجواء تقليدية زي أعياد ميلاد زمان، في محاولة من إسماعيل لإحياء تراث طفولتنا.. زينة متعلّقة في السقف، وتورتاية صغيرة، وصينية كيكة منزلية الصنع، كان نفسه يجيب أزايز حاجة ساقعة، لكن مالقاش غير كانز، وأغاني أطفال شغّالة على اللاب، بس متوصلة على سمّاعات الكاسيت الكبير.

عيد ميلاد الليلة مين

عيد ميلاد النونّة

هانفرّح ست الحلوين

ونشيلها في عيونّا

هنحيّيها ونطير بيها

ونخلّيها تغنّي معانا

نتمنالها كل آمالها

تتحقق وتعيش فرحانة

بعد شوية لاحظت إني مهتم باللي باسمعه، ودي حاجة مابقتش تحصل من زمان.. إيه اللي يخلّيني دلوقت حالًا أرجع أركّز مع أغاني الأطفال وأحبها وأقولها مع الناس؟ كبرت لدرجة إني بقيت متصالح مع الطفل اللي جوايا مثلًا؟ رجعت أفكّر في نانسي، وفي موضوع إن أغاني الأطفال بتاعتها خطوة متأخرة وكان لازم تحصل من بدري..

فعلًا من بدري، من وقت ما كنت بشوف نانسي لسه صغيرة.. أنا ليه مش عايز أفهم إن السنين دي عدّت وإننا بنكبر؟ نانسي ماغنّتش الشريط دا عشان هي طفلة، هي غنّته عشان بقت أم.. وأنا مارجعتش ألاحظ أغاني الأطفال عشان تصالحت مع الطفل اللي جوايا، أنا بس كبرت لدرجة إن أصحابي بقى عندهم أطفال بنحتفل بعيد ميلادهم النهارده.. ولما شِلت سلوى اللي عندها سنة واحدة، وحضنتها، ولاقيتها كلبشِت فيّا زي الكابوريا بإيديها ورجليها، ساعتها فكّرت في إن الأنثى بالنسبة لي على مدار عمري كان لها صور متعددة.. بس كان فيه صورة جديدة متحوّشة، أول مرة أختبرها كان

السنة دي.. ولما سمعت أغنية (يا بنات يا بنات) وأنا شايلها، فهمت الفرق بين الطريقة اللي كنت بحب بيها أغاني الأطفال زمان، والطريقة اللي بشوفها بيها دلوقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأنا بقدم الهدية لأبوها افتكرت المعرض اللي فات، وأنا بدوّر في أجنحة الأطفال عن كتاب حواديت أو رسوم للتلوين أو لعبة صغيرة.. كنت عارف أن فاضل كام شهر على عيد ميلاد البنت، وأنا مش شاطر في اختيار الهدايا وممكن أنسى، عشان كدا استغلّيت وجودي هناك وقرّرت أشتري حاجة مناسبة.. وبعد شوية لف على حاجات الأطفال بلا طائل، عرفت أنا هاعمل إيه، أنا خلاص مش هاختار هدية بشخصية القارئ تاني.. من أول دلوقت هاختار الهدايا كأني كاتب.

وكتبت لسلوى إهداء باسمها على نسخة من (طريق النعناع)، وكلمتين يوثّقوا اليوم.. رسالة من الماضي عشان تبقى تقراها لما تكبر هي كمان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١٣

السنة دي كانت صعبة بكل المقاييس، مش بس عليا لوحدي، على البلد كلها.. تقريبًا أي حد كان عايش في مصر في ٢٠١٣ مهما كان انتماؤه السياسي أو مستواه الاجتماعي أو المادي، يقدر يفتكر كويس حاجة أو حاجتين ماكنش يحب يفتكرهم.. لكن على صعيد آخر، دي السنة اللي رامي جمال نزّل فيها ألبومه الجديد، اللي اسمه كان سهل إسقاطه على حاجات كتير قوي وقتها، لدرجة إننا نقدر بسهولة نعتبره عنوان للمرحلة ككل.. (فترة مش سهلة).

الخبر فرّحني، في وسط حاجات كتير قوي ماتفرّحش.. وخلاني رجعت بالذاكرة لبداية ما عرفت إن فيه حد اسمه رامي جمال بيعمل مزيكا.. البداية اللي كانت عند مطرب أنا ماكنتش مهتم بيه بشكل خاص، بس ماحدش يقدر يعرف كل خط هايتمد لحد فين أو هايمشي في أي اتجاه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فضل شاكر كان بالنسبة لي صوت كويس، بس ماكانش من مطربيني المفضلين ولا كنت مهتم بأغانيه في مرحلة (بياع القلوب - حبّك خيال)، لكن بدأت أسمعه من أول (سيدي روحي) في ٢٠٠٣، وحبيت الألحان اللي عملها له ناصر الأسعد ومروان خوري ورياض الهمشري.. ألحان قدرت تخلق علاقة بيني وبين صوت فضل.. حتى أغنية (حقي عليك) اللي عملها له ملحن ماعرفهوش، اسمه منير الجزائري، واللي واضح من طبيعة لحنها إن الراجل فعلًا جزائري، مش لقب، حبيتها جدًا وحبيت فكرة إن أغنية يكتب كلماتها واحد مصري، ويلحنها واحد جزائري، ويغنيها واحد لبناني، وكانت مدهشة الطريقة اللي حصل بيها امتزاج وتداخل التلات لهجات بشكل عفوي.. عشان كدا لما نزل شريط (سهّرني الشوق) في ٢٠٠٥، وسمعته شغّال عند جارتنا الجامدة صاحبة أمي، قلت حلو.. أبقى أستلفه منها، ما أنا بسلّفها كتب كتير.

فين لياليك عمّال بناديك

مشتاق لعينيك وواحشني لُقاك

بالي مشغول

بهواك على طول

والليل بيطول وأنا مش ويّاك

دا كان أول لحن سمعته لرامي جمال.. في الوقت دا كان فيه نجوم كتير في قائمة الملحنين، في مصر وفي المنطقة العربية، وكنت متعوّد أسمع أغاني حلوة لملحنين أول مرة أشوف أساميهم، فماكُنتش بركز مين دول.. لأن كتير منهم بعد كدا اختفى وماشفناش اسمه تاني على أغنية.. إنما المرة دي لسبب ما، ماسكتّش بعد ما قريت اسم رامي جمال في خانة الملحّن.. وبقيت عايز أعرف مين دا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من الناحية المهنيّة، كنت بدأت أوصل لقناعة تامة إن الكتابة مش هاينفع أعتبرها مهنة، واستنّى من وراها دخْل، دا كلام غير واقعي.. إذا كان الواحد دفع فلوس عشان ينشر كتابه الأولاني.. أكيد عقد الكتاب دا ماكنش تذكرة لوتريا، والكتاب هايفرقع بقى من أول مرة وأبقى مليارديير.. ومن ناحية تانية، كنت بدأت أزهق من نفسي ومن كميّة الأماكن وأنواع المهن اللي جرّبت أشتغلها، أو اشتغلت فيها فترة بالفعل، لدرجة إن لو كل مكان اشتغلت فيه يوم ومشيت، رحت أخدت أجر اليوم دا؛ كنت جمعت ثروة صغيرة من غير مبالغة.. هو أنا فاشل ومش نافع في حاجة للدرجة دي؟

في الوقت دا كنت بدأت أستعد لنشر كتابي التاني، وكان رواية، وقرّرت لسبب ما إني أصمم غلاف الرواية بنفسي، معرفش إيه اللي طلّعها في دماغي ساعتها.. كنت بدأت أنتبه لنقطة خطيرة في شخصيتي، وهي إن ساعات بتحرّكني دوافع مش واضحة تمامًا بالنسبة لي، وألاقي نفسي عايز أعمل حاجة كدا وخلاص، من غير ما أكون عارف ليه بالظبط، وأنا ماكُنتش متعوّد على كدا، المفترض إني عارف نفسي كويس.. كل اللي لاحظته إني أثناء الكتابة ولحد ما خلّصت، كانت بتقابلني على النت صور أحيانًا أحس إنها تنفع غلاف للكتاب دا، شكلها معبّر عن حاجة، وفيها مساحة للكتابة.. وأنا وقتها لا كنت بعرف أشتغل على برامج تصميم ولا فاهم أي حاجة في التصميم.. والطريقة اللي أنا اشتغلت بيها دي، لو فيه مصمم جرافيك سمع عنها، هايفهم معناها كويّس، ورد فعله هايتراوح ما بين الضحك اللي بيوجع البطن، والدهشة اللي بتبظّظ العيون.. كنت بنزّل الصورة من النت، وبعدين أبحث عنها تاني في جوجل صور، وأختار أكبر حجم ممكن، وأفتح الصورة على paint وأظبط أبعادها على قد أبعاد غلاف الكتاب طول وعرض، عن طريق إني أنزّل صورة لغلاف أي كتاب وأفرده على الصورة بنفس النِسَب.. كانت أهم حاجة عندي النسب، لكن ماكانش فيه ولا مقاسات ولا دقة صورة ولا ألوان طباعة ولا حقوق ملكيّة ولا أي حاجة.. وكنت أكتب العنوان على word وأستخدم خاصية word art عشان أعمل تأثيرات على شكل الكتابة، وبعدين أنقلها في ملف الصورة.. ولما كنت أحب أظبط كعب الكتاب، كنت بشوفه كام صفحة، وأفتح فولدر الكتب بصيغة pdf اللي عندي عشان أدوّر على كتاب مماثل أو مقارب في عدد الصفحات، وبعدين أدوّر في جوجل على غلاف للكتاب دا، يكون كامل وش وضهر، حتى لو مقاس الصورة صغيرة، عشان أفردها على قد مساحة الصورة اللي شغال عليها، وأظبط الكعب بتاع الغلاف زي الصورة بالظبط.. وبعد ما أخلّص، أحفظ الصورة png عشان ماتبكسلش.. حتى الداخلي بتاع الكتاب، اتعلّمت أنسّقه على الوورد عشان أنفّذ كتبي لنفسي.. كان عندي دافع مجهول، مخلّيني عايز أعمل الكتاب دا، برؤية فنيّة تخصّني بشكل كامل.. وماكُنتش مهتم إن كانت الرؤية الفنية دي ناضجة بما يكفي ولّا لأ، ولا أدوات تنفيذها حاضرة ولّا لأ.. كان عندي هدف عايز أحققه بصرف النظر، والرواية اتنشرت بالغلاف اللي عملته لها.. شفت عيوب التصميم ومشاكل التنفيذ بسبب عدم دقة المقاسات، وبعض القرارات الخاطئة مني، بس ماكُنتش متضايق، بالعكس كنت سعيد بالتجربة وبالنتيجة، وساعتها فهمت إيه الدافع الخفي اللي كان بيحركني عشان أعمل كدا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ملحّن شاب من مواليد المنصورة، بيظهر في وقت متشبّع بالأسماء الكبيرة، والأسماء الشابة اللي بقى لها كام سنة لحد ما أصبحت هي كمان كبيرة.. وبنعرفه لأول مرة مع مطرب ماكانش شائع قوي في

مصر، في وقت برضه متشبّع بالأصوات الكبيرة والشابة، المصرية والعربية والأجنبية.. ومع ذلك يحصل نجاح كبير جدًا للأغنية، يحقق شعبية كبيرة للمطرب اللبناني في مصر، ويسلّط الأضواء على الملحن الشاب دا، وبمرور الوقت تلاقي له ألحان مع أهم وأنجح الأصوات.. حماقي، شيرين، بهاء سلطان، صابر الرباعي، مصطفى قمر، إلخ.. أغاني مميّزة جدًا لها روح مختلفة، وأول ملاحظة هتاخد بالك منها، إن ألحانه فيها مساحة كبيرة للغُنا الطربي الرايق، وعلى مقاس صوت المطرب بالظبط، زي البدلة المتفصّلة مخصوص على قد صاحبها.. ومن كتر ما هو متوهّج جدًا وظاهر اختلافه بقوة، فيه ملحّنين غنّوا من ألحانه، زي تامر عاشور وحسام حبيب، وأنا متهيألي إن دا قرار بيحتاج ثقة كبيرة.. الطبيب لو تِعب واحتاج لطبيب تاني يكشف عليه، بيختار أحسن واحد يعرفه، وقيس على دا كل المهن.

رامي جمال بالنسبة لي كان ملحّن جميل، لغاية ما قرر يكشف عن وجهه الخفي، ويقول لنا إنه أكتر من كدا.. ويغني شريط (ماليش دعوة بحد)، اللي بيتكوّن من تلاتاشر أغنية هو بنفسه لحّن منهم اتناشر.

قالوا عليك بكرة تنسى

وأشوف على إيديك جرح لسه

وقالوا كلام بس ماضايقنيش

كلام واتقال زي بعضه

وقلبي معاك عند وعده

دا لو هانساك صعب ليلة أعيش

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من حوالي سنتين، لاقيت إسماعيل بيكلّمني عن كتاب حلو جدًا لسه مكتشفه قريّب، مجموعة قصصية لكاتبة مصرية اسمها شيماء، أول مرة نقرا لها أو نسمع عنها.. بس واضح إن القصص حلوة من رد فعله، وأخدت منه الكتاب وقريته.. في الوقت دا هو كان مهتم بالقصص القصيرة أكتر منّي، بس إحنا الاتنين كنا بنشترك في احتياجنا لوجود عنصر نسائي في الكتابة الأدبية، يكون رفيع المستوى بطريقة معينة، تحسسك إن اللي بتكتب دي إنسانة فاهمة وناضجة وعندها فلسفة أو وجهة نظر، وطبعًا أسلوبها حلو، من غير ما تقول (أنا واحدة ست) كل خمس سطور، والمجموعة كانت موفّرة الشرط دا بقوة.. والسنة اللي فاتت لاقيت بالصدفة أكاونت الكاتبة على فيسبوك، وبعتت لها طلب صداقة، وبعد ما قِبلت بعتت لها رسالة، وحكيت لها إن أنا وصديقي قرينا كتابها، وحبّيناه، وقلت لها على القصص اللي عجبت كل واحد فينا أكتر من غيرها.. كنت بتكلم بالنيابة عنه عشان ماكنش عنده فيسبوك وقتها، وهي فرحت بالكلام جدًا، وكانت بسيطة ومتواضعة بشكل آسر.. كان بالنسبة لي فكرة إني أقرا كتاب ويعجبني، وبعدين أقدر أتواصل مع المؤلف بتاعه، فكرة أسطورية شوية.. وقتها ماكُنتش أعرف إن فيه حاجة اسمها حفلات توقيع، ولا كنت قابلت حد من المؤلفين اللي قريت لهم في الواقع، وبعدين هي عرفت إن أنا كمان نشرت مجموعة قصصية، وطلبت تقراها وعجبتها، وبقينا أصدقاء.. ومن خلال

شيماء اتعرّفت بمجتمع دمنهور الطيّب، وبقى لي أصدقاء كتير هناك.. ماكنتش بحاول أسأل حد انت شغّال إيه، لأنه أكيد هايسألني نفس السؤال.. أنا كنت عارف إنها موظفة في مكتبة مصر العامة، بس ماكُنتش عارف طبيعة شغلها بجانب الكتابة.. تصورت إنها أمينة مكتبة مثلًا أو مسؤولة عن الكتب بشكل ما.. بس السنة دي عرفت بالصدفة هي بتشتغل إيه هناك، وكانت صدفة مهمة جدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شريط (ماليش دعوة بحد) أولًا عرّفني قد إيه رامي مطرب شاطر وصوته حلو وسهل تمييزه.. ثانيًا قدّم لي مجموعة من أفضل أغاني السنة وقتها، كلمات وألحان وتوزيع وغناء.. وساعتها الحكمة بأثر رجعي خلّتني أقول لنفسي إن دي مش مفاجأة، اللي يخلّيه يقدر يلحّن لكل الأصوات الحلوة المتنوعة دي، يقول إن صوته حلو وبيعرف يغنّي كويس، ويقول إنه لو قرر يغنّي، هايعمل لنفسه ألحان متنوّعة ويغنّي كل حاجة، ولو كان ينفع يعمل الألبوم تلاتين أغنية كان عمل.. وبعدين رجعت اتكسفت من نفسي.. هو يمكن استنتاج بديهي، بس أنا ماتوصّلتلوش إلا لما الحقيقة اتحطت قدام عينيا.. عشان كدا لما نزل شريط (فترة مش سهلة) السنة دي، اتجهت له رأسًا وحمّلته من النت بعد ما بقى تداول الأغاني أسهل من زمان بكتير.. للأسف عرفت بعدين إن دي سرقة وإهدار حقوق للفنان والمنتِج، بس وقتها ماكانش حد بيفكّر بالشكل دا.. وفرحت إنه بيغنّي تاني من كلمات أمير طعيمة، اللي يعتبر واحد من أهم كتّاب الأغنية وأحبهم لقلبي في آخر عشرة خمستاشر سنة.

مرتاح كدا في بُعدي حبيبي ولّا إيه جوّاك

عن نَفسي أنا فاكر وعيبي إني مش بانساك

دايمًا على بالي ودا حالـي ومستنيّك

دا أنا حتى في خيالي لا يمكن ثانية أقسى عليك

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت بدأت أفهم ببطء إيه هي مشكلتي مع الشغل بالظبط، أنا من الآخر كدا ماعنديش القدرة على إني أصحى كل يوم بدري في ميعاد معيّن، عشان أقوم أركب عربية معيّنة مع ناس معيّنة، نروح مكان معيّن نعمل فيه حاجات معيّنة عايزها حد تاني، ونخلي أولويات الناس المزاجيّة أو الربحيّة قبل أولوياتنا الحيويّة، عشان آخر الشهر في ميعاد محدد سلفًا، آخد شوية فلوس هما اللي محددينهم، وشغل أكتر من الوقت الرسمي بمقابل ١٥٠٪ وإجباري، ولو غِبت يوم يتخصم بتلاتة.. والكلام دا ينطبق على كل أنواع الوظايف، سواء قاعد على مكتب ولا واقف في ورشة.. بس دا مش معناه إني راجل مش بتاع شُغل، دا معناه إن مش كل الناس زي بعضها، ولا كل الوظايف زي بعضها، وإن كل مجموعة من الناس بتناسبها فئة معينة من الأشغال.. وتوصلّت لتقسيمة من شقّين بالنسبة لأنواع الوظايف: وظايف يغلب عليها الطابع الإجرائي، إنك تبقى عارف بكرة هاتعمل إيه إمتى فين، بطريقة روتينية مكرّرة، نظام صارم محطوط عشان يلتزم بيه صانع العمل.. ووظايف بيغلب عليها الطابع الإبداعي، معتمدة على ما يراه صانع العمل، في الرؤية والتنفيذ والمواعيد وحتى الأجر.. أنا كنت واحد من الناس اللي يناسبهم أكتر العمل الإبداعي، وكل الأماكن اللي أنا مشيت منها ماكانِتش أماكن

فشلت فيها، دي كانت محاولات لمقاومة طبيعة شخصيتي، اللي اتضح في كل مرة إنه أمر مالوش جدوى ومُهدر للوقت والطاقة، بالتالي مفيش قدامي غير إني أعمل حاجة بحبها بالطريقة اللي تريّحني.. كنت عارف إن أكتر حاجة بحبها وبرتاح في التعامل معاها وممكن أتعلم حاجة متعلّقة بصناعتها، هي الكتب.. وبدأت أعلم نفسي إزاي أصمم غلاف كتاب من غير ما أستعين بأي مساعدة، وأي مشكلة تقابلني أحاول أدوّر لها على حل لوحدي.. ولما قرّرت أصمم غلاف روايتي بنفسي كنت بختبر مدى كفاءة الطريقة البدائية اللي أنا اشتغلت بيها، وماكانش قدّامي حد أجرب فيه غيري.. بعد المرة دي، تلافيت مجموعة من الأخطاء، وصمّمت غلافين لكاتبين من أصدقائي على سبيل الهدية، وكنت مستعد أتحايل عليهم عشان يقبلوهم لو كانوا اعتذروا، لأني كنت محتاج أشوف أغلفة مطبوعة ليا بعد ما حلّيت المشاكل، وفعلًا لاقيت النتيجة اتحسّنت إلى حد كبير، وعرفت إني ماشي صح..

عملت في الوقت دا عدد كبير من الأغلفة هدايا لأصدقائي، من غير مقابل.. ومن غير ما حد فيهم يطلب كنت أنا اللي بعرض خدماتي.. ماكنتش مهتم بأي حاجة غير إن يكون لي أكبر عدد ممكن من الأغلفة المطبوعة، قبل ما أفكر أحط سعر لشغلي وأحوّل اللعبة من الهواية للاحتراف.. ماكنتش مستعجل على حاجة. لحد ما شيماء لاحظت اللي أنا بعمله، وسألتني إيه الهواية الغريبة دي؟ لأنها عارفة إني مش باخد أجر على الأغلفة اللي بعملها، ولما حكيت لها أنا بعمل إيه، ووصفْت لها الطريقة اللي بشتغل بيها، استغربت أكتر وأكتر وماكانِتش مصدقة.. قالت لي بس تصميم الجرافيك له قواعد، وفيه طرق ممكن تتعلّم بيها إزاي تتعامل مع البرامج.. قلت لها أنا مش عايز أبقى مصمم جرافيك، أنا هابقى مصمم أغلفة كتب.. هاتعلم التصميم عشان أعمل الحاجة اللي بحبها وتبقى هي شغلي، مش هاشتغل في إعلانات ولا مكتب دعاية ولا مطبعة ولا حاجة غير أغلفة الكتب.. وهنا عرفت إنها بتشتغل في المكتبة مصمّمة جرافيك محترفة، وبتتعامل مع برامج التصميم بكفاءة عالية، وطلبِت منّي أنزل فوتوشوب وهي هاتعلّمني أتعامل معاه. قلت لها إني مرة من سنتين ستبته واتخضيت من شكل الواجهة بتاعته، وماعرفتش أعمل حاجة وحذفته تاني.. قالت لي إن الموضوع بسيط وهي هاتبتدي معايا من الأول خالص.. استغربت من حماسها وإصرارها، وحسيت إني لازم أعمل كدا على الأقل عشان ماخذلهاش، ومهما كان صعب، أكيد واحدة واحدة هاتعلّم، أو هي هاتزهق منّي وتبطل توقعات.. لكن لما حاولت أنزله لاقيت النت مش هايسعفني، لأني كنت داخل من USB modem بيتشحن رصيد زي خط الموبايل، فقلت لها شكل الموضوع مش هاينفع.

بعدها بأسبوع، لاقيت حد بيتصل بيا، وبيعرّفني بنفسه إنه من دمنهور من طرف شيماء وهو دلوقت في أكتوبر ومعاه حاجة ليا، نزلت قابلت الراجل، لاقيته جايب لي اسطوانة DVD شيماء باعتاها معاه، حطت لي عليها البرامج ومعاها شوية فيديوهات تعليمية للمبتدئين.. لما كلّمتها عشان أشكرها على اللي عملته، قالت لي ماتشكرنيش، روح اتعلم تصميم وبعدين صمم اللي يعجبك، أغلفة كتب إعلانات سمنة، انت حر.. انت تصميماتك حلوة بس محتاجة شوية صنعة، ولما تتعلّم هاتعمل أحسن من كدا.

بعد ما اتعلّمت شغل على فوتوشوب، اختبرت الأغلفة الأولانية اللي عملتها وطبعتها، واكتشفت منها إن البرامج بتسهّل الشغل وبتطلعه مظبوط صحيح، بس عمرها ما تعمل مصمم.. وفرحت بنفسي إني كنت شغال كويس من قبل ما أعرف الصح، نفس إحساسك لما تقول رأي وبعدين تكتشف إن

الفيلسوف الفلاني قاله قبل كدا.. جميل إنك تكون قادر على استنتاج الصح من الغلط حتى لو ماحدش قال لك.. بس عارف إيه الأجمل؟

إن بقى عندي حاجة تتحط في خانة المهنة وأنا بعرّف الناس بيا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم إنها كانت فعلًا فترة مش سهلة، بس كفاية إن بعد السنين دي لما بنفتكر ٢٠١٣ بنقدر نلاقي فيها ذكريات إيجابية.. رامي الملحن اللي الناس كانت بتبارك له على أغاني ناس تانيين، بقى رامي المغنّي، ودلوقت بيحتفل بالألبوم التاني.. ومحمد الكاتب اللي بيحتفل بكتابه التاني، بقى محمد المصمم، والناس بتبارك له على كتب ناس تانيين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١٤

كنت تقريبًا اتناشر تلاتاشر سنة، لما أخدت بالي إن اللي عندي دا درجة من درجات الوسواس القهري.. لاقيت مقالة بتفسّر اللي بيحصل معايا، وقارنت الأعراض ووصلت للاستنتاج دا، لكن عمري ما قلت لحد ولا اعتبرت الموضوع يستاهل إني أكبّره.. إيه يعني إني أفتح الشنطة أربع مرات عشان أتأكد إني مانسيتش كراسة الواجب؟ ما أنا لما نسيتها المرة اللي فاتت خدت خمس عُصيان، وبعدين اتضح إني مانسيتهاش، أنا بس نسيت إني أخدتها! ذاكرتي ضعيفة شوية، مش حاجة خطيرة يعني.. أو إيه المشكلة لما أقفل الباب تَكّتين بدل تكّة واحدة، أمال التكّة التانية دي عاملينها ليه.. للمجانين بس؟

بغسل إيدي كتير، معلش.. الحياة قذرة أكتر من اللازم، وأي طالب في كلية العلوم قعد قدام ميكروسكوب هايقدر يفهم أنا بعمل كدا ليه.. ثم أنا واحد مناعته ضعيفة يعني معرّض أكتر من غيري للأذى.. متضايق من الترابيزة ثلاثية الأرجل، عشان لما أقعد أعد رجول الكراسي والترابيزات بتطلّع لي عدد فردي في الآخر.. ما هي فعلًا شكلها وحش ومش لايقة على الأنتريه، وبعدين مدوّرة وكل حاجة جنبها مربعة، ووجودها مبوّظ السيكوانس، وأكيد لو فيه مصمم ديكور قاعد معانا هايقوم يشيلها ويرميها من البلكونة من غير استئذان، ومش بعيد يحدفها يكسّر بيها شبّاك الصالة، والإزاز يطير وييجي فينا كلنا و.. شششش!

فيه إيه.. إهدا.. تعال نفكّر في أي حاجة تانية.. أقول لك؟ تعال نقوم نرتّب المكتبة، بقى لنا كتير ماعملناش كدا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت متعوّد أقول لنفسي إن مفيش حاجة تخوّف، كل إنسان عنده مشاكل واضطرابات بدرجة ما، المهم إنه يكون على دراية بيها، والأهم إنه مايكونش شخص مؤذي لنفسه أو للغير.. ودايمًا كانت نفسي بتقول لي إن كتر القُعاد لوحدي جوّه دماغي هو السبب.. لكن النقطة اللي أنا ونفسي اتفقنا عليها، إني مختلف، ودي حاجة حلوة.. أنا ماعنديش حاجة.. ولا وسيم ولا غني ولا عبقري، بس مميّز.. مش أحسن واحد في الدنيا، وكلي عيوب، بس مش زي حد.. وكوني مش زي حد بالنسبة لي كان كافي جدًا، في عالم ٨٠٪ من الناس اللي فيه قرّروا يحطّوا نفسهم في قوالب مكررة من بعض، عشان يسهُل تصنيفهم، والناس الكتير اللي شبههم يتقبّلوهم.. أنا فعلًا طول عمري عايش جوّه دماغي والناس حواليّا ضيوف، بس دا ماكنش اختيار شخصي.. وأنا طفل كنت لوحدي عشان مش عارف أتفاعل مع الناس كلها بما فيهم أهلي، لأن رأيي غالبًا غير رأيهم ودا كان صعب عليهم استيعابه، وكان بيعرّضني مرة للتريقة ومرة للقمع.. بعد شوية اتعلّمت أخلق الونس لنفسي لما أصحابي انشغلوا عنّي وماكُنتش بلاقيهم.. بعد شوية كمان اخترعت الفقاعة لما لاقيت الواقع مش عامل حسابي.. يمكن دا طول عمري وهو عامل لي أزمة، بس اتضح إن له جانب إيجابي، لأنه ماسمحليش أقلد أو أنسخ شخصية حد.. عشان كدا كنت بقدّر المميزين، والتقدير دا كان بيتناسب طرديًا مع المسافة بين مقدار التميّز وحجم النجومية.. كل ما يكون الإنسان مش واخد حقّه أو مش متشاف كما يجب، كل ما تقديري لتميّزه كان بيزيد.. عشان كدا حبّيت شريط (اسمعني) بتاع حمزة نمرة من أول مرة، لما لاقيته نزل على يوتيوب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأرد بأي كلام

وأقول والله تمام

وأسيبهم وأمشي عشان ماسمعش سؤالهم تاني

ويا دنيا جرى لك إيه

بتعاندي معايا ليه

أنا بس غلطت في إيه وليه قلبي بيعاني

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دا كان تاني شريط أسمعه لحمزة، بعد (إنسان) اللي نزل في ٢٠١١، واللي ساعتها كان بالنسبة لي اكتشاف مهم.. هو صوته عادي، مش جذّاب ولا مُلفت بشكل خاص، لكن بيغنّي كويس.. إنما اللي لفت نظري كانت طبيعة الألحان اللي بيعملها واختياره للكلمات والمواضيع، حتى لو مش كلها بتمثّلني أو بتعبّر عني، بس كنت حابب اختلافها عن المواضيع الشائعة.. جميل إن من وقت للتاني تظهر حاجة منعشة وجديدة، تكسر الرتابة وتغيّر المود.. والنهارده لما سمعت الشريط الجديد لاحظت فرق الحالة.

(إنسان) كان شريط كله أمل وتفاؤل، لكن (اسمعني) كان رسالة بتتراوح بين الغضب والحزن والسخرية.. فعلًا الزمن نسبي، آينشتاين ماكدبش، فرق ٣ سنين بس يعمل كل دا.. بالنسبة لي الشريط دا كان هو تترات نهاية الفيلم.. فيلم بدأ بأمل، ومر بحيرة، واتزحلق في حلقة مفرغة من الاكتئاب.. وبقى الحل الوحيد عشان الوضع دا ينتهي، هو إننا نضحّي باللي عملناه ونختار نرميه بإيدينا، ونقبل بوضع أسوأ من اللي كان نفسنا نلغيه.. لأن اللي إحنا وصلنا له كان أسوأ من أي حاجة ممكن تخطر على بالنا.. ودلوقت قاعدين نبُص لبعض، عايزين نقول هو إيه اللي حصل؟ فين الغلطة.. بس ماحدش بيقول حاجة، لأن الكلام فقد معناه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السنة دي كنت لسه متعرّض لتجربة من نوع جديد ماعدّاش عليا قبل كدا.. تجربة من النوع اللي بيغيّر المفاهيم وينقل الإنسان من مربع لمربع زي قطعة شطرنج في ماتش بين القلب والعقل.. وقتها كانت حياتي زحمة بشكل غير مسبوق، كل مجتمع النشر أصحابي.. كتّاب وقرّاء وناشرين وصحفيين وبنات جامدة ماحدش عارف مين دول، بس قاعدين يشربوا قهوة معانا في وسط البلد.. صداقات باهتة، علاقات عابرة، حب مؤقت، ضحك بلاستيك.. كتابي التالت كان في السوق بالفعل، وأخيرًا بدأت أحس إني في المكان اللي مفروض أبقى فيه من زمان.. لغاية ما في إحدى العلاقات بوّظت اللعبة وغلطت غلطة كبيرة: سِبت نفسي أحب، ودا ماكنش ضمن البروتوكول.. الطريقة اللي انتهت بيها العلاقة دي زقتني زقة جامدة، وجرّت بيا الزمن ييجي عشر سنين.. بعدها مابقيتش اجتماعي، قصدي رجعت مش اجتماعي.. بدأ الشعر الأبيض يظهر في دقني.. بدأت تبقى حركتي أبطأ وصوتي أوطى وكلامي أقل.. فقدت إيماني بقيم كتير كنت متشبّث بيها وبدافع عنها.. واكتشفت إن الإيمان والحب والأمل، وكل القيم الوجدانية والعاطفية، عبارة عن غازات مختلفة في اللون والكثافة، محبوسين مع بعض في إزازة واحدة، هي القلب.. لو اتكسر، كله هايتسرّب ببطء، واحد ورا التاني.. شخصيتي بقت dark جدًا، لدرجة إن باتمان نفسه لو كان قابلني ماكنش هايحب قعدتي.. بيقولوا إن اللي بيتعرض لتنمّر وهو صغير، لما بيكبر بتبقى شخصيته قوية لأنه اتعلّم يبقى مُستقل ويحل مشاكله بنفسه، أنا شخصيتي كانت قوية قبل التجربة دي، بس بعدها الغضب والحزن المستمرين خلّوها بقت مخيفة.. تقريبًا مش ببتسم، الكلمة قبل ما تتقال لي كانت بتعدي على خمسين فلتر بسبب إحساس عام بإن رد فعلي هايكون خشن.. كمان التجربة دي خلّتني أتوصّل لإدراك إن مش بس الزمن هو اللي نسبي، دا كل القيم نسبيّة.. حتى الخير والشر والجمال والقبح.. والإدراك دا أفقدني الثقة في حاجات كتير حتى نفسي، لأن لو أي حاجة ممكن تبقى حلوة أو وحشة حسب منظورك ومكانك، يبقى فين نقطة الارتكاز؟ في الأول دا كان شيء حزين ومقبض جدًا.. بس بعد شوية حالة الحزن دي انتهت، والغضب بقى يروح وييجي.. واتحوّلت لشخص عدمي، مش فارق عنده حاجة.. ما دام كله زي بعضه، يبقى مفيش حاجة تستحق الاهتمام.. وقرّرت أدفن نفسي في الشغل لأن ماحدش هاينفعني ولا هايستحملني غيره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صديق ناشر طلب مني شُغل للمؤلفين بتوعه، بعد ما شاف لي كذا غلاف المعرض اللي فات.. ساعتها كنت حاطط سعر للغلاف أقل من المتوسط، عشان ماكُنتش مهتم آخد فلوس كتير، قد اهتمامي

بإن ييجي لي شغل كتير.. وقلت له ياللا بينا.. كانت أول مرة أعمل أغلفة لكتب معرفش أصحابها، وبدأت أشوف نوع جديد من المؤلفين، ناس متطلّبة وغير منطقية وعقلها على قدها.. كنت متعوّد أسمع من المؤلف، وبعدين أعمل اللي أنا شايفه، ومهما يتشال ويتحط ماكُنتش بغيّر رأيي، مش لأني عملت له أحسن غلاف في الدنيا، بس لأني عملت غلاف مناسب فنيًا وتسويقيًا، وهو طلباته عبثيّة جدًا، مفيش مصمم يرضى يحط اسمه عليها.. بالإضافة لكدا، فكرة إنك تطلب خدمات شخص وتدفع له أجر عشان يؤدي مهمة، وبعدين تروح تقول له يعملها إزاي، كانت مرفوضة بالنسبة لي وضد المنطق.. تخيل تروح لدكتور عشان تعمل عمليّة، وبعدين تطلب منه يستخدم مشرط معيّن، أو تروح مطعم تطلب أكل، وتقول للشيف يشتغل على فرن كهربا مش غاز، عشان انت مابتحبش الغاز!

هو الغلاف دا شغلك يابني؟ دي حاجة بيعملها المصمم عشان يوزعها الناشر عشان تعجب القارئ.. حتى لو انت المؤلف، ذوقك دا ذوق شخص واحد بس، والمفروض الغلاف يعجب ألف شخص ذوقهم مختلف عنك.. دا بعيدًا عن المعايير الفنية اللي انت بتخبّط فيها ومش عامل لها اعتبار.. ولّا ما دام انت جامد كدا تاخد الغلاف تصممه لنفسك؟ كنت عدائي شوية، ودا كان بيحط الناشرين في مواقف مُحرجة مع المؤلفين بتوعهم، بس أنا ماكُنتش شايف نفسي غلطان.. طول عمري كنت بحترم التخصص، وشايف إننا بنروح للناس عشان يعملوا لنا الحاجة، لأن دا شغلهم والمفروض يقولوا لنا نعمل إيه، مش إحنا اللي نقول لهم.. أمّال انت جايب متخصص ليه؟ عشان تتنطط عليه بفلوسك؟ أبويا كان متعوّد كل يوم جمعة هو اللي بيعمل لنا الفول الصبح في الفطار.. وكان بيعمله حلو قوي، وأنا كمان كنت بعمله كويس بس بطريقة مختلفة.. فلما كان ييجي في مرة يصحى متأخر ويقول لي اعمله انت، ماكانش بيقول لي حط وماتحطّش.. أنا عملت الفول عشان اعتبرته طلب مني دا لأنه عايز ياكله بالطريقة اللي أنا بعمله بيها، مش عشان أبقى إيد تالتة تنفذ رغباته وأحلامه اللي مكسّل يعملها، وهو عارف كدا.

وفضلت مستمر على كدا فترة، الصح هو اللي هايتعمل.. لحد ما بدأت أزهق من المناهدة.. وقرّرت أعمل الغلط وأنا عارف إنه غلط، وأقول هما حرّين.. أنا حاولت أنصح وحاولت أعمل حاجة كويسة، بس في الآخر كل واحد بيلبس نتيجة اختياراته.. عايزة أرضيّة الغلاف وردي ومكتوب عليه بالوردي عشان بتحبي اللون الوردي قوي؟ حتى بعد ما قلت لك إن دا غلط؟ حاضر، اتفضلي.. عايز بوستر فيلم ماتريكس هو غلاف روايتك، حتى بعد ما عرفت إن دي حاجة غير إنها ممكن توديك في داهية، هي أصلًا مش هاتخلّي حد مهتم يبص على كتابك؟ عيني، اتفضل.. وكنت بعتبر إن دا أنسب عقاب لكل واحد رفض يسمع كلامي.. مش هاتناقش مع حد ولا هحاول أقنع حد، اللي عندي هايتقال مرة واحدة، وبعد كدا هاسيب كل واحد يختار فشله بالطريقة اللي تناسبه، وأشيل اسمي من على التصميم في إعلان صامت عن إني بريء منه.. كل غلاف جديد كان بالنسبة لي معركة جديدة، حرقة دم جديدة، شخص جديد باخسره للأبد.. كل حاجة حواليا كانت بتزقني في الاتجاه دا.. وأرجع أقول لنفسي كبّر دماغك، هايفرق في إيه حلو من وحش؟ كله محصل بعضه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عالم كامل من الغضب جوّه دماغي.. قطط وكلاب بيجروا ورا بعض، الأول كان طول الوقت وبعدين بقى لحظات قصيرة مكثّفة.. ساعات لأسباب وجيهة وكتير من غير سبب، أو بسبب حاجات

مرّت عليها سنين طويلة.. بس ماظنش إن الموضوع خطر، صح؟ أكيد لأ مش للدرجة دي.. أنا شخص هادي جدًا في الظاهر، بغضب كتير لأني عصبي، لكن مش انفعالي.. ولو مانفعلتش أو عبّرت عن الغضب دا وفضلت كاتمه جوايا زي ما بعمل، طبيعي الذكريات السيئة تيجي على بالي فجأة وتهاجمني من غير مناسبة، في صورة ومضات غبيّة لأسوأ اللحظات.. دا لأني ماتصالحتش معاها ولا عملت لها قفلة.. إحنا كويس.. لحظة أرجّع القلم دا مطرحه جنب اخواته، بدل ما هو الوحيد اللي طالع من الصف وشكله مبوّظ الدنيا.. تمام، كدا إحنا كويسين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

واحدة واحدة، بقيت أخلّي بالي من موضوع الوسواس القهري دا، وأحاول أقاومه.. مرة وقفت في البلكونة عشر دقايق قدام الجردل الصغير بتاع مشابك الغسيل.. مشابك خشب وبلاستيك، أحجام متنوّعة من كذا طقم، كلهم فوق بعض زي ما أي مشابك ممكن يتحطوا في أي حاجة.. ما هي مشابك غسيل، هايحطوهم إزاي، في تشكيل هندسي؟ لِم نفسك بقى، العالم مليان أسباب حقيقية للنرفزة لو عايز.. الورقة دي عمّالة تتحرك ومخلّياني مش عارف أركّز؟ طب ما هي ورقة، معمولة عشان لو فيه شوية هوا تتحرّك، مضايقاك قوي؟ وريني كدا.. بيض، جبنة، طماطم.. دي ليستة قديمة كنت كاتبها عشان أشتريها من السوق، بتعمل إيه هنا؟ هانكرمشها ونرميها في الباسكيت وخلاص.. لأ، هانخليها ونعمل نفسنا مش شايفين.. وآدي القلم اللي رجّعناه الصف.. آدي الأقلام كلها.. ما دام الأقلام محطوطة في درج بيتفتح ويتقفل، هاتفضل تتحرّك من مكانها، صح؟ لأ أنا هاحركها بنفسي وأقعد أتفرج عليها كدا عشان نقفل الموضوع دا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأهو كله بيعدّي.. افهم بقى يا أفندي

مش واقفة على حاجة ولا حتى محتاجة

إن انت تزعل كل دا

كله بيعدي.. أي والله يا أفندي

لو مين عليك يقسى.. اجمد عشان لسه

هتشوف كتير من دا ودا

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد شوية خدت بالي من حاجة كانت غايبة عنّي.. لو كوني نشأت طفل ومراهق وحيد وقافل على نفسه، أدّى لإني أبقى إنسان مميّز ومش شبه حد، يبقى نسبيّة القِيَم دي مش حاجة وحشة قوي كدا، بالعكس دي خاصيّة رائعة عندها القدرة على تحويل أي حاجة مزعّلاني لشيء إيجابي، لو بس غيرت زاوية الرؤية.. بل إن ممكن تكون فيه حاجات أنا معتبرها عيوب ومشاكل، بس هي في الحقيقة ضروريّة، ومن غيرها يحصل خلل.. مصمم الأغلفة لو ماعندوش شوية وسواس قهري على ما قُسم، مش هايهتم قوي بكل التفاصيل زي تناسق الألوان وسيمتريّة التكوين والنِّسَب والمقاسات..

حارس الأمن اللي ماعندوش شوية بارانويا، سهل تفلت منه تفاصيل مهمة يقدر يمنع بيها مشكلة قبل ما تحصل.. السواق اللي عنده كلوستروفوبيا هايفتح الشباك اللي جنبه، ومش هايعزل نفسه عن كلاكسات السواقين اللي حواليه، كأنه ماشي في الشارع لوحده.. حتى الصحة والمرض، والنفع والضرر.. حتى الغضب ممكن يبقى دافع للانغماس في الشغل وحافز للإنتاج.

ومن هنا ورايح الحياة هاتبقى أسهل من الأول، لأن مابقاش مطلوب منّي تحقيق حاجات معينة عشان أبقى مرتاح.. كل اللي مطلوب مني إني ألاقي التوظيف الأمثل للحاجات اللي عندي مهما كنت شايفها سيئة.. إحنا كويسين، وهانبقى أحسن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١٥

أي freelancer في الدنيا بيتعامل مع شغله زي الروليت، يكسب مرة ويخسر كذا مرة.. لأن اللي بيقدّموا نفس الخدمة ناس كتير، بعضهم بيعملها بجودة أحسن، وبعضهم بسعر أقل.. وطبيعي مايبقاش عارف الشغلانة الجاية هاتروح له ولا هاتروح لواحد تاني.. بس قيامي بدورين في مجتمع صناعة الكتاب، دور الكاتب ودور المصمم، كان موسّع دايرة معارفي أكتر من لو كنت حاجة واحدة.. أي نعم دا مش ضمان على إن ييجي لي شغل، لكن على الأقل ببقى عارف إني على بال الناس، ولو احتاجوا حاجة مش بعيد يفتكروني.. إنما دا ماكنش كفاية، مواسم صدور الكتب بقت موسم واحد، ومابقاش فيه كتب بتطلع في الصيف ولا في الأعياد.. وبقى معرض الكتاب هو المناسبة الوحيدة على مدار السنة اللي بييجي لي فيها شغل، وماكانش شغل قليل بالنسبة للموسم، بس برضه ماكانش ينفع لوحده يعيّشني طول السنة.. وبقى واضح جدًا إني محتاج شغل ثابت براتب شهري، لأني حصرت نفسي في مجال ضيّق، عمّال بيضيق وينضغط أكتر.. في الوقت دا كنت وصلت لحالة صحية متردّية.. لياقة منعدمة، وآلام مستمرة، وحالة نفسيّة تحت الأرض.. مناعتي كانت بتلعب معايا ألعاب قذرة، وماحدّش كان عارف أنا فيا إيه، والدكاترة كانوا بيجرّبوا ويخمّنوا، ودي أقصى حاجة كانوا يقدروا يعملوها.. وبآخر نقطة في شريط الطاقة عندي، خلّصت رواية (غياب) ونشرتها.. حطّيت نفسي فيها كأني بخبّي حاجة غالية في صندوق مقفول، عشان عارف إني لو خليتها معايا هاتضيع عاجلًا أو آجلًا.. وبعدها مابقاش عندي حاجة تتقال.. ولا حد مهتم أقول له.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صديقتي د. إيمان كانت مسؤولة عن نشاط ثقافي شبه الصالون الأدبي المتنقّل، وكان عندها جماعة من القراء والمؤلفين الناشئين، متعوّدين يتفقوا كل مرة على كتاب معين يقروه، وبعدين يناقشوه في لقاءاتهم الدورية.. ولسبب ما كان موضوع أحد اللقاءات هو مناقشة روايتي، ومقارنتها بـ (ميرامار).. إيمان كانت متصوّرة إن دا المفروض يفرّحني، لكن أنا كنت شايف إنها هاتضحّك الناس عليا لو فكرِت تقارنني بنجيب محفوظ.. ولما قلت لها كدا، قالت لي مالكش دعوة انت، وقلت لها اللي تشوفيه.. لا كنت قادر أعارض ولا عندي طاقة للشرح والإقناع، ولا رغبة ولا خوف ولا قلق ولا تطلّعات، لأني كنت بدأت أعتبر نفسي مش مطوّل.. كأني عملت checkout بس مستني العربية اللي هاتيجي تاخدني من هنا.. واللقاء كان على قهوة في الحسين، تحية للراجل اللي جايين نتكلم عنه النهارده -محفوظ مش أنا- ورحت عشان أقابل الناس اللي قرأوا الرواية ومستنّيين يناقشوا صاحبها، وأنا مأهّل نفسي لكل حاجة، من أول النظرات المستنكرة لغاية الطماطم اللي هايحدفوني بيها.. لكن لاقيت استقبال لطيف كله ود ودفء، واتعرّفت بمجموعة من الشباب والبنات اللي لسه عندهم القدرة يتحمّسوا ويحلموا، وجواهم شغف وطاقة وأمل.. فرحت لهم، وحاولت أتعامل مع الموقف بطريقة لائقة، من غير ما أسيب شخصيتي الحقيقية تظهر وتبوّظ اليوم وتتكد عليهم.. وفي وسط ما أنا بسمع تعليقاتهم وبجاوب أسئلتهم، عيني وقعت عليها.. بنت حجمها صغير قد القطة حديثة الولادة، قاعدة قدامي مباشرة.. هادية وخجولة لدرجة إنها تقريبًا ماشاركِتش في الأسئلة، ولا عينها جت ناحيتي مرّة واحدة.. استغربت كمّ البراءة اللي حسيت بيها من مجرد النظر لملامحها وقعدتها، من غير حتى ما

أسمع صوتها، وبدون ما أنتبه بدأت أركز معاها، مستنّي أي بادرة أو حركة أو كلمة، تخليني أعرف مين البنت دي.

لو كنّا في فيلم، كانت الموسيقى وحركة الكاميرا غشّشوني إنها مش شخص عادي.. لكن إحنا كنا في قهوة، عشان كدا كان لازم أستنى شهور قبل ما نبقى أصدقاء، وسنين قبل ما أعرف إنها كانت أهم شخص ظهر في حياتي على الإطلاق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مش قادر أحدد إذا كانت مشكلتي إني كنت باخد الشأن العام على محمل شخصي، ولا هي صدفة متكررة إن حال البلد دايمًا معبّر عن حالتي ومنعكس عليا.. بس السنة فعلًا كانت مليانة مشاكل على مستوى دولي، ومتهيألي لو كان فيه كواكب أخرى مأهولة كان حصل بيننا وبين سكانها مشاكل.. مفيش حاجة ماشية صح، وأنا كنت في أسوأ نسخة منّي.. وماكنتش فاهم هي البنت دي قريبة مني ليه، كانت رقيقة وطيبة وكلها أمل وحب وخير، وبيحركها إيمان عميق بإن العالم مكان رائع وإحنا اللي مش قادرين نفهمه.. كنا قريبين من بعض في السن، لكن هي كانت روحها طفلة، شخصية من عالم ديزني تجسّدت على أرض الواقع.. وأنا كنت كيان متهدِّم فاقد الثقة والأمل، وروحي عجوزة ومثقلة بالهموم.. كانت على النقيض مني تمامًا، وماكنتش متصوّر إزاي ينفع نبقى أصدقاء أنا وهي، إزاي النور والضلمة يجتمعوا في سياق واحد؟ طول الوقت كنت خايف عليها منّي، وشايف علاقتنا زي علاقة الجميلة والوحش، أو شلبي سلوفان وبو، أو ليون وماتيلدا.. وكنت بقول لنفسي إنها تستاهل تكون محاطة بناس شبهها، عشان يحافظوا عليها ويحموها من الناس اللي زيّي.. لكن هي كانت شايفة حاجة تانية، لما كانت تبص لي ماكانِتش بتشوف العصبيّة والمرض والاكتئاب والعدمية والحدّة والغضب، ولا كانت بتخاف منّي، ولا كانت رافضاني.. وعلى قد ما كنت محتاج لوجودها، على قد ما أنا ماكُنتش مستعد أعرّضها لأي حاجة من الحاجات اللي بتطاردني طول الوقت، ولا هاستحمل تتئذي أو تنطفي بسببي.. ودا كان بيخلّيني كتير أحاول أبعدها بطريقة خشنة، يمكن في مرة تيأس مني وتمشي.. لكن هي قصاد كل دا كانت بتبتسم زي الملاك وتقول لي: انت كيوت قوي.. هاتجنن، عايز أقول لها جبتي الكلام دا منين؟ أنا شخص سيء.. لكن هي ماكانتش مصدقة، وكان رأيها إنها شافتني من جوه أحسن ما أنا شايف نفسي.. كنت متصورها طيبة وبريئة لدرجة السذاجة، وإنها بتدوّر على حاجة مالهاش وجود.. وهي كانت شايفة إن أنا اللي غلبان وساذج عشان مش عارف نفسي كما يجب.. وقدام عينيها اللي بتلمع وابتسامتها اللي مصدّقة ومؤمنة باللي هي بتقوله، ماكانش قدّامي غير إني أسكت وماعارضهاش، وأكتفي بإن فيه إنسان بالنقاء دا شايفني كويس.. تقبّلت الهدية، بس دا ماقلّلش من خوفي عليها منّي، لأن آخر حاجة كان ممكن أستحملها هو إن كائن جميل للدرجة دي يتكسر.. أو يشوف وش الدنيا بسببي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان بقى لي كام سنة ملاحظ إن سوق الكاسيت بيروح من سيء لأسوأ، لغاية ما فكرة الكاسيت نفسها بقت من عالم الماضي.. بعد الشريط والاسطوانات المدمجة، بقى فيه إنترنت، والشركات بدأت تخسر بشكل مستحيل السيطرة عليه، لحد ما ظهرت فكرة إن الشريط ينزل على يوتيوب، وبكدا كل

الأطراف تتراضى.. الناس تسمع ببلاش وبسهولة، والشركات تحقق أرباح من المشاهدات، واليوتيوب يحقق أرباح من الإعلانات.. وانغمست سنين في أنواع جديدة من المزيكا، وأصوات ماكُنتش أعرف عنها حاجة من فترة بسيطة.. لحد ما اكتشفت إني مُفتقد الناس بتوعي، بتوع زمان، ووحَشني إني أسمع حاجة من العالم اللي أعرفه.. راحوا فين؟ وقبل ما أكمل السؤال، لاقيت سميرة، بعد سبع سنين غياب جاية تقول لي حقك عليا، أنا جيت أهو.. شمس صغيرة نوّرت جوه قلبي، وحسيت بالدفا وإحنا في عز نوفمبر، وفرحت لدرجة إن عيني دمعت كأني قابلتها شخصيًا، وحكيت لها على كل حاجة كنت شايلها لها من زمان.. سميرة سعيد الرائعة، اللي الزمن بيتكسف يعدّي من جنبها، راجعة ولا كأن عندها عشرين سنة، تغنّي وتملا الدنيا فرحة وحب وجمال وبهجة.. والله زمان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الله الله

إيه الجمال دا؟

الحياة احلوّت من إمتى؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السنة دي كنت أول مرة على الإطلاق أشوف أسامي شادي نور وبلال سرور، وكانت على أغاني ألبوم (عايزة أعيش)، وعرفت بسهولة إني هاشوفهم تاني كتير الفترة الجاية.. وجنبهم لاقيت أسامي نادر عبد الله ووليد سعد ومحمد رحيم وبهاء الدين محمد، ناس أنا عارفهم وبحبهم ومُفتقدهم، بعضهم طلعت لاقيته، وبعضهم طلع قدام عينيّا.. كانت عودة كبيرة، بالظبط كأنهم لمّوا بعض وعملوا لي زيارة عشان عرفوا إني مش كويس.. ولأول مرة من فترة معرفش هي قد إيه، أحس إني فرحان وإن على الأرض ما يستحق الحياة، حتى لو كانت الحياة اتغيّرت وأنا اتغيرت، بس العالم بتاعي اللي أنا أعرفه لسه باقي لي منه تفاصيل حلوة، ولسه بيعرف يصالحني.

وهي في وسط دا كانت بتتفرّج على فرحتي بالأغاني وبرجوع سميرة، وأنا زي العيل الصغيّر اللي لاقى أمه بعد ما تاه منها في السوق وأيقن إنه مش هايشوفها تاني.. وكانت تعليقاتها بتجنّني.. دبدوب قوي.. مقطقط جدًا.. كانت فرحانة لي، وشايفة إن سميرة عرفت تنقذ روحي جزئيًا.. ماكُنتش بناقشها في الأوصاف دي، تخيّل حد يوصف الأسطى أونكل عزّت بإنه مقطقط.. أكيد دي لغتها ومفرداتها وتفاصيل من عالمها اللي بيتكوّن من درجات اللون البمبى، لكن مش أنا.

لما حكيت لها على المكالمة الغريبة اللي جت لي وأنا قاعد معاها، قالت لي بمنتهى الثقة: روح.. شخص معرفوش اتصل بيا وعرّفني بنفسه، إنه صاحب دار نشر ناشئة، بس مش مقيم في مصر بصفة مستديمة، ومحتاجني معاه عشان أمسك الإشراف العام على إنتاج المطبوعات في الدار، زي مراقب جودة للداخلي والأغلفة، وإن مقرّهم في المهندسين، وإنه وصل لي بترشيح من كذا حد!

قلت لها لأ، أنا مش هاعرف أعمل كدا.. أنا أنفذ غلاف، أعمل إخراج فنّي لكتاب.. لكن مانفَعش في وظيفة إدارية.. قالت لي تنفع، ومش هاعرف أقنعك ولا فيه طريقة تخليك تصدق غير لما تجرّب

بنفسك عشان تتأكد.. قلت لها أجرب في الناس؟ قالت لي روح وبطل تقليل من نفسك.

أقول لها إزاي إن الموضوع مش تقليل.. أنا عارف إنها شايفاني كبير وشاطر وحلو، وكل الكلام الجميل دا، بس مش لدرجة إني أورّط الناس معايا في حاجة مش عارف إذا كنت هاحب ألتزم بيها ولا لأ، وهي كانت شايفة إن مفيش مانع أقابله وأسمعه على الأقل، مش هانخسر حاجة.. مضطر أعترف إن كلامها منطقي، أنا محتاج وظيفة ثابتة، تكون في المجال اللي اخترته لنفسي.. ومعنى إن اسمي ظهر قدّامه أكتر من مرة في الترشيحات، يبقى غالبًا هاعرف أعمل اللي هو عايزه منّي.. إيه اللي مخليني مش عايز آخد الخطوة؟ من جوّايا كنت فاهم إن اللي مخليني مش عايز، مالوش علاقة بالشغل ولا بالتفاصيل دي كلها.. دي حالة السلبيّة والكسل وعدم الرغبة في اتخاذ أي إجراء.. عايز شُغل بس مش عايز أشتغل، وعايز تغيير بس مش عايز أعمل مبادرة.. هي عندها حق، ومش بس عندها حق، دا كتّر خيرها إنها اختارت كلمات رقيقة للتعبير عن رأيها بدل ما تهزأني وتحطني قدام نفسي بشكل عنيف.. لأ، هيا مايطلعش منها كدا.. هي بتعرف تغيّرني بطريقتها اللطيفة.. بيصعب عليا أخذل توقعاتها فيا.. واسترجعت أكتر من موقف في آخر كام شهر، لاقيت إنها فعلًا غيّرتني من غير ما آخد بالي.. اختيارات وردود أفعال وحاجات حصلت منّي، ماكانِتش هاتحصل بالطريقة دي لولا وجودها.. ولما قلت لها الكلام دا، هزّت راسها وقالت لي: ماحصلش، أنا من الأول عارفة إنك كيوت ومقطقط، انت اللي ماكُنتش مصدّق.. أنا ماغيّرتكش، أنا بس ساعدتك تكسر القشرة اللي محاوطاك ومانعة عنك الشمس والهوا.. افتكر نفسك قبل آخر كام سنة في حياتك كانت شخصيتك عاملة إزاي، قبل ما تمّر بكل حاجة وحشة.. وانت تعرف إن عندي حق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رجّعت الشريط من أوله عشان أفتكر أنا كنت إيه.. الولد الصغير الخجول أبو صوت واطي، اللي استلف من أمه اتنين جنيه ونص عشان يشتري شريط بيحبه.. اللي كان بيعيّط وهو بيتفرج على مشهد عاطفي في فيلم كارتون.. اللي كان بيحط القصص جوه كتب المدرسة، ويقرا في غير الوقت المخصص للقراءة، لأنه مش قادر يسيطر على شغفه.. واللي كان مليان أمل وحماس وطموح وطاقة، وعنده أحلام كتير.. هو أنا فعلًا دبدوب ولا إيه؟ هي شافت الولد دا إزاي أصلًا تحت كل طبقات الزمن؟ وبصّيت لها وأنا بفكر.. الكائن الرقيق الصغنن دا، اللي كنت بتعامل معاه طول الوقت على إنه عايش في عالمه الخاص وبيتكلم على قد ما هو عارف.. طلع عارف أكتر ما أنا كنت متخيّل، وطلعت أنا اللي مش شايف كويس.. واتصلت بالراجل وحددت معاه ميعاد، ساعتها هي ابتسمت ابتسامة كبيرة وسقّفت بحماس كأنها كسبت جايزة.. وأنا كمان قفشت نفسي مبتسم على غير العادة، ولاحِظت إن فيه حاجة عندي اتغيّرت، حتى لو هي بتنكر وبتقول ماحصلش.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دا أنا كنت قربت أنسى الإحساس الحلو اللي حساه

انت اللي أثبت لي إنه في الدنيا ناس حلوة لسه

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لما افتكرت كل الشخصيات الشريرة اللي شبّهت نفسي بيهم، اكتشفت إن في النهاية كلهم اتغيّروا.. وإن مهما كان الواحد واصل للقاع، صعب مايرجعش تاني يفرح ويبقى عنده أمل ويفتكر كل حاجة حلوة فيه، طول ما عنده حد مؤمن بيه وشايفه كويس من جوّه، وبيحب جوهره الإنساني وقادر يتعاطف معاه.. ساعتها بالنسبة لي البنت دي، كانت في نظري أقوى كائن في الوجود، واللي هي قدمته لي كان أكبر وأهم وأروع بكتير من أي حاجة حلوة حصلت لي.. وحسّيت ناحيتها بامتنان عميق، وبإني مدين لها بروحي اللي أنقذتها، وبالشمس الصغيرة اللي نورت جوه قلبي.. لأن لولا وجودها ماكنتش هاعرف حتى أحس بالفرحة لرجوع سميرة، ولا كنت هابقى مهتم أركز مين بيعمل إيه.. وعرفت إن البنت دي نجدة إلهية جت لي عشان تلحقني، وقرّرت أشبط فيها وماسيبهاش أبدًا.. عشان لو تُهت تاني، ماحدش هايعرف يلاقيني غيرها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢٠١٦

اليوم دا كان يوم حلو لأني النهارده كنت كمّلت سنة ونص في وظيفة ثابتة لأول مرة في حياتي على الإطلاق، وقرّرت أحتفل بإني أطلب أجازة لمدة أسبوع.. كنّا في رمضان، والشغل خفيف ولسه أكتر من ٦ شهور على المعرض.. دا كان أنسب وقت عشان أعمل الرحلة اللي كنت مأجلها وخايف منها.. فكرة إن بقى لي سنين معرفش مالي ولا عندي إيه، كانت متعبة أكتر من التعب نفسه، لأني مابحبش أبقي مش فاهم.. ماعنديش مشكلة إن علاجي ياخد وقت أو يتكلف فلوس أو يحتاج منّي إجراءات معقّدة، ويمكن مايفرقش حتى أتعالج ولا لأ.. لكن يفرق قوي أعرف إيه اللي مخلي الدكاترة مش قادرين يساعدوني، لأن دا وضع عبثي جدًا.. كنت أحب إن أي حد يقول لي أنا عندي إيه، ويقول لي إن اللي عندي دا مالوش علاج، كان هايبقى أهون بكتير من إن الناس تضطر تعترف لي إنها مش فاهمة حاجة.. بس من فترة قصيرة جمال صاحبي اقترح عليا أعمل له زيارة ونروح نقابل جرّاح هو يعرفه، كان حكى له عن حالتي وطلب يشوفني، ولما سافرت له وقابلت الدكتور، قال لي إن غالبًا كدا جهازي المناعي بيحارب نفسه لسبب مجهول، واللي عامل لي السخونية والألم والخراريج المستمرة دي، غدّة لمفاويّة حصل لها تليّف ومحتاجة تتشال.. وطلب منّي أقرر عايز أعمل العملية إمتى وأبلغ صاحبي وهو يرتّب معاه.

حتى مع زحمة الطريق، اللي في المعتاد بياخد منّي أقل من ساعة، ودلوقت بقى لي ساعتين ولسه ماخلّصتش المحور، ماكنتش متضايق.. واعتبرت إن ما دام مفيش شغل بكرة يبقى مش مشكلة حتى لو المغرب أذّن عليّا في الشارع.. كنت حاسس إني روحي بدأت تتعافى، وإني رجعت لنفسي تاني، وإن الفترة المظلمة من حياتي انتهت، وبقيت الشخص اللي أنا كنت بحبه، بعد ما كنت وصلت لدرجة إني خاصمت الحياة وخاصمت نفسي.. وبدأت أرصد تصرفات في مواقف يومية صغيرة، وأنتبه لردود أفعالي اللي ١٠٠٪ بتدل على إني اتغيّرت.. كنت سعيد بالنتيجة دي، وبدأت أشوف كل حاجة وحشة حصلت لي مجرد محطة، وصّلتني لمكان جميل، ومن غيرها كنت هابقى في حتة تانية، جايز ماكنتش هابقى راضي عنها الرضا الحالي.

لما وصلت البيت كنت مهدود من تعب المشوار، وكانت الدنيا ليّلت.. أمي قالت لي أحط لك تاكل؟ قلت لها بعدين، دخلت الأوضة ورميت نفسي على السرير بهدومي وفضلت باصص للسقف فترة طويلة.. هي الدنيا اتزحمت كدا إمتى؟ وفين أيام ما كنت بلف أكتوبر كلها على رجليّا من غير ما أحس بالتعب دا.. دلوقت عشان أوصل من الحُصري لغاية البيت، مش أقل من تلت ساعة في المواصلات.. وقبل ما أفكّر أقوم أقلع الكوتشي ولّا أستنى لما آخد نفَسي الأول، لاقيتني بفتّح عينيّا قُرب الفجر، وأنا مش فاكر نمت إمتى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قمت غيّرت هدومي وخرجت، كانوا قاعدين قدام التليفزيون بيتفرّجوا على مسلسل (راس الغول) بتاع محمود عبد العزيز.. أنا آخر مسلسل شفته له كان (محمود المصري)، من بيجي عشرة اتناشر سنة، وهما أربع مشاهد متفرقين اللي اتفرّجت عليهم، وصّلوا لي انطباع إنه مجرد نسخة باهتة من (رأفت الهجّان)، عشان كدا قرّرت ماركّزش مع مسلسلاته، عشان مازعلش.. محمود عبد العزيز

بالنسبة لي كان حاجة كبيرة قوي، عمري ما أنسى إن أول مرة دخلت سينما كان فيلم من أفلامه، ومهما كان مستوى الفيلم، هايفضل له في قلبي حتة بتاعته لوحده، وهايفضل زيزو -زي ما أنا بحب أسمّيه- واحد من أهم أعمدة قلعتي الرملية.. دخلت الحمّام وحطيت راسي تحت الميّه عشان أفوق، وخرجت أعمل قهوة، وأنا بدندن (ياللا بينا تعالوا) اللي هي أول حاجة بتيجي على بالي كل ما أفتكر محمود عبد العزيز.. أمي سألتني تاني إذا كانت تقوم تحط لي أكل، قبل ما الفجر يأذّن.. سألتها عندك إيه، قالت لي: الموجود.. قلت لها: لأ مش عايز.. قالت لي: طب بامية، حلو كدا؟ قلت لها: ما كان من الأول يا وليّة.. حلو المسلسل دا؟ قالت لي: كويّس مش وحش.. قلت لها: طب كمّلي فُرجة، أنا هاشوف فيه إيه في التلاجة وخلاص.. وأنا واقف بعمل القهوة لمحت حلّة البامية على البوتاجاز، بصّيت لها كدا وأنا مش مقتنع، وبعدين فتحت التلاجة، لاقيت نص ليمونة في الباب بتغمز لي، بصّيت ورايا لاقيت طبق فيه بتنجان مخلل على الرخامة بيعمل لي باي باي.. دي مؤامرة بقى! الأمر لله، حطيت حلة البامية تسخن على ما أعمل القهوة.. وأنا بفكّر في إن الراجل دا underrated وماخدش حقه كما يجب، محمود عبد العزيز ممثل كبير، بس أنا مش عارف ليه مش متّاخد على محمل الجد طول عمره، من بداية ما ظهر والأدوار اللي بيعملها هي الأدوار اللي أي ممثل متوسط أو حتى عديم الموهبة يعرف يقوم بيها بسهولة.. مرحلة (سمير) زي ما بيسميها.. الشاب الوسيم الملزّق اللي أهميته كلها بتكمن في إن عينيه ملوّنة.. ولما كبر شوية، بقى محاط بعدد كبير من الناس اللي من نفس جيله، كل واحد فيهم بيتمتّع بخاصية معينة بتاعته لوحده.. عادل إمام الأكثر نجومية ونجاحًا في شباك التذاكر، نور الشريف الأغزر إنتاجًا والحاصل على ثقة المخرجين الكبار دايمًا، يحيى الفخراني متفوّق عنهم كلهم في المسرح، أحمد زكي الأوفر حظًا في التقدير النقدي، صلاح السعدني المشهور بإنه أكثرهم ثقافة واطلاعًا، ومحمود عبد العزيز هو أوسم واحد فيهم.. ورغم إنه عمل حاجات ماتتنسيش، وله أدوار ماحدش كان ممكن يشيلها زيّه، ضحّكنا وبكّانا وخوّفنا.. خلانا نحبه وخلانا نكرهه من خلال الشخصيات اللي أداها، ولو سألت كل الناس عليه مستحيل تلاقي حد مابيحبّوش، بس مع كل ما سبق، دايمًا اسمه بيتقال آخر واحد، دا لو ماسقطش من الذاكرة. وافتكرت لما سنة ٢٠٠٠ نصر محروس أنتج له شريط، حط له فيه معظم أغاني الأفلام بتاعته، وزعلت لما مالقيتش فيه أكتر أغنية بحبها له، بتاعة فيلم (الكيت كات)، بس فهمت هو ليه ماحطهاش.. بعيدًا عن حسابات حقوق الملكيّة والكلام اللي بفلوس دا اللي أنا معرفش عنه حاجة، كنت شايف الأغنية دي بالذات في حتة لوحدها، بقية الأغاني لطيفة ودمها خفيف ولها مود معين، لكن دي كانت حاجة تانية.

دي إيه؟ دي مدبغة علشان صنع الجلود

ودي إيه؟ دي مصبغة علشان صبغ الجلود

لكن ورا الصباغة والألوان والدباغة

فيه جلد كان جمل، وجلد كان حمل

وأهو كله بيتعمل جزمة وحزام وشنطة

فيه جلد مالهش لون وجلد بألف لون

لو تغسله بصابون يطلع لونه أونطة

كنت أول وآخر مرة أشوف أغنية تنتمي لعالم الواقعية السحرية، فلسفة جوّانية صعبة بس شكلها حلو وممتع، ولما عرفت أدخل جوّاها بعدين، لاقيت جوهرها أحلى من شكلها كمان.

الشريط للأسف ماحقّقش مبيعات ساعتها.. كانت خطوة شجاعة إنه يقرر "يعبّي الشريط بصوته" بجد، متهيألي أنا وخمسة بس في مصر اللي اشتريناه ساعتها، أي نعم ماحبّيتش التوزيع الجديد للأغاني، ولا شكل صورته على غلاف الشريط، بس قررت أحتفظ بيه عشان كنت متأكد إنه في يوم من الأيام هايبقى مادة أرشيفية نادرة.. يا رب يكون لسه موجود.

طفيت على البامية، وخدت القهوة ودخلت أوضتي ووقفت قدام الشوفينيرة، وأنا مغمّض عينيا.. وعدّيت من واحد لتلاتة في سرّي، وخدت نفَس عميق قبل ما أفتح درج الشرايط..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أجندة قديمة ورقها مقطّع.. شنطة بلاستيك فيها ألبوم صور فاضي.. كابل باور مقطوع.. عدسة نضّارة مكسورة.. المقص الصغير اللي كل ما نعوزه نقلب عليه الدنيا ومانلاقيهوش.. حاجات لو لميّتها في شنطة ورميتها ماحدش هاياخد باله.. مادوّرتش بحماس، عشان عارف إنه غالبًا مانجاش من المذبحة اللي عملتها من سنة ونص في لحظة غضب.. ساعة ما لمّيت كل الشرايط بتاعتي مع الهدايا القديمة لناس مابقوش موجودين في حياتي، مع تذاكر سينما وأقلام فاضية وميموريز كتير، بعضها نسيت ملابساته، ونزلت رميتهم في الزبالة.. وقتها قررت أقطع صلتي بالعالم، وأرمي كل حاجة مابقالهاش قيمة مادية.. ساعتها ندمت لمدة يوم واحد، وبعدين مابقيتش زعلان إن دا حصل، لأني من غير ما أقصد أجبرت نفسي على تعلّم الاستغناء وعدم التعلّق.. خصوصًا وإن استرجاع الذكريات بالنسبة لي مش حاجة جميلة، حتى لو هي في حد ذاتها كانت ذكريات جميلة، بس أنا مابحبش أفتكر.. بصيت في تاريخ اليوم المتعلّق على الحيطة، من ٤ شهور كملت ٣٠ سنة.. رقم كبير ماكُنتش متصوّر إني هاعيش لحد ما أوصل له.. وقفت أفكّر أنا عملت إيه في التلاتين سنة دول، لاقيتني عملت حاجات كتير، وفي نفس الوقت ماعملتش حاجة خالص.. أخيرًا بقيت مستقر مهنيًا إلى حد ما، بقى لي كتب في المكتبات وناس ماعرفهاش تعرفني.. تخفّفت من حاجات كتير كانت عاملة لي زحمة في حياتي، ناس وتفاصيل وأماكن وذكريات.. أول ما وصلت للنقطة دي ضحكت.. الناس بتقيس إنجازاتها بعدد الأشياء اللي جمعتها، وأنا بقيس إنجازاتي بعدد الأشياء اللي تخلّصت منها.. بصيت على الدرج بصة أخيرة، وأنا بفتكر كل تفاصيل رحلتي مع شريط الكاسيت، من سنة ٩٧ لحد النهارده، رحلة عمرها عشرين سنة بس من كتر تفاصيليها تحس إنهم تلاتين.. وقبل ما أقفل الدرج لمحت حاجة، كانت ساقطة من ذاكرتي واتفاجئت إنها لسه عايشة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جمال سألني: انت فطرت؟ قلت له: لأ، قال لي: جدع، عشان البِنج.. لما تخرج من العمليات تبقى تاكل، هزيت راسي ومارديّتش.. فِضل جنبي لحد ما فُقت وقعد يضحك، ويفكّرني باللي عملته وأنا متخدّر، وقال لي إني عاكست الأربع ممرضات ومشرفة الدور، كلهم في نفس الوقت، وإني تسبّبت

في إن الدور كله اتقلب على صوت ضحك الناس من عمايلي.. ماكنتش حاسس بدراعي الشمال، بس كنت مبسوط إني خدت خطوة في أي اتجاه، وعشمي إن الخطوة دي تودي لحتة في الآخر.. مارضيش يروّح وبات معايا في المستشفى، وتاني يوم وصّلني بالعربية لحد باب بيتي في أكتوبر، وقال لي ماتنساش ميعادك مع الدكتور كمان أسبوعين عشان يفك لك الغرز.. كنت واصل البيت الصبح بدري ولاقيت أمي صاحية مستنياني، قلت لها نامي.. أنا كمان هاخد الدوا وأدخل أنام، وأبقى آكل لما أصحى.. دخلت الأوضة وطلّعت من شنطتي كاسيت صغيّر اشتريته من موقف العاشر، حطيته على الترابيزة، وفتحت درج الشوفينيرة وطلّعت الشريط اللي مكتوب عليه "القاهرة – فبراير ١٩٨٧".. الشريط اللي بقى له سنين بيطاردني وبيظهر لي من العدم.. لما شفته في الدرج آخر مرة، قلت هاشتري له كاسيت صغير مخصوص عشان أسمع عليه حلقة (كلمتين وبس) اللي سجّلتها من عشر سنين، لآخر مرة قبل ما أعدمه.. كنت شايف إنه يستاهل جنازة فايكنج لو كان جنبنا أي مسطّح مائي.. (سبوع فريال).. زمانها فين فريال دي وعندها كام سنة دلوقت؟ شكلها إيه؟ أصحّي أبويا أسأله إذا كان شافها تاني وهي كبيرة، أو لسه على اتصال بأهلها؟ حطّيت الشريط، وبعدين قلت أعمل كوباية قهوة الأول وأغيّر هدومي، وأقعد أسمع على رواقة، بشكل يليق بالشريط الـ survivor دا، وبكونها آخر مرة هاشوفه تاني.. قبل ما أرجّع الوش من أوله، قلت أشغّل الوش التاني من باب الفضول.. وحطيته قدامي وقعدت، ودست play..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هو الشريط دا أصلًا كان بتاع إيه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أبويا وأمي صحيوا على الصوت، وجم وقفوا جنبي وهما بيضحكوا، وبيسألوني لاقيته فين؟ دا إحنا دوّرنا عليه كتير قوي.. وأنا لسه بستوعب إن دا صوتي وأنا عندي سنة، وإن الشريط دا متسجّل عليه أول عيد ميلاد ليّا.. الحوار اللي دار بيني وبينهم وإحنا بنسمعه، كان يستاهل هو نفسه يتسجل على شريط.

- خالك فلان

- خالتك علانة

- الحق.. سمعت صوت ستّك؟

- دا عمك جرانت.. فاكره؟ تلاقيك مش فاكره.. كان معايا في الشغل، هو اللي جاب لك العربية..

- عربية الجيش؟

- فاكرها؟

- آه اللي كسّرتها في أول يوم دي.. أول ما شفتها بتتحرك قدامي حسيت إني عايز أصلّحها!

- استنى استنى.. اسمع كدا الواد بيقول إيه؟

- واد مين؟

- انت!

- كنت بتكلّم وأنا عندي سنة؟

- كنت بتتكلّم وتمشي وكان عندك أسنان..

- الطفل المعجزة!

- استنّى، رجّع الحتة دي..

- بقول إيه؟ ماما فين؟

- بتقول ماما فين آه..

- خالتك شايلاك وبتدوّر عليا وأنا واقفة وراها ومش عارفة أعدي من الزحمة، ولا هي سامعاني

- خدي عمال يقول ماما فين.. ماما فين..

- ماما أهي يا حبيبي، ماما أهي.. أوباااااح.. عايز إيه؟

- بابا فين؟

- صوت ضحك جماعي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد كام شهر، كنت راجع من شارع القصر العيني، شايل في إيدي نتيجة تحليل الباثولوجي اللي كنت عرفتها بالتليفون وماقلتش لحد.. وقاعد بفكّر في الموقف الجديد اللي اتحطيت فيه، وإني إزاي في الظروف دي مطلوب مني أنا اللي أطمّن اللي حواليا وأقول لهم مايخافوش وإني كويس، وإن دا نوع شائع من الكانسر وهايتعالج بسهولة ويخلص على طول ونساه.. بعد ما خلّصت المحور، لاحظت عربيات كتير واقفة قدام مسجد الشرطة، سألت السواق هو فيه إيه النهارده؟ قال لي: محمود عبد العزيز، تعيش انت.

حمدت ربنا إني لما طلعت البيت كانوا في السوق، غيّرت هدومي وقعدت أرتاح من المشوار.. وبعدين قمت فتحت اللاب وجبت فيلم (الكيف) على يوتيوب وقعدت أتفرج وأضحك بدموع..

أغاني الفيلم فكّرتني بشريط زيزو اللي دورت عليه من كام شهر ومالقيتهوش، ودا فكرني بشريط عيد ميلادي اللي ماكانش حد فاكره، ولا أنا كنت رابط بين المكتوب عليه وتاريخ ميلادي.. الشريط اللي فِضل يقاوم الضياع والإهمال والزمن، ونجا من مذبحة الشرايط، وفضل يتنقّل من درج لكرتونة عشان يحافظ على نفسه لحد ما يوصلني وأسمعه.. قمت جبته من الدولاب من وسط الهدوم، وحطيته قدامي وقعدت أتكلم معاه، كأني شايف قدامي نسختي الصغيرة اللي عندها سنة، مش مجرد بكرة ممغنطة شبه متآكلة، في غلاف بلاستيك شفاف بهتان، عليه كتابة قديمة بالحبر.. حاجات كتير كان

نفسي أقولها له، عارف إنه مش هايستفيد من ولا كلمة فيهم، لأنه مش مهتم غير بإجابة سؤاله: ماما فين.. ماما في السوق وزمانها جاية، ماتخافش.

أول ما سمعت صوت المفتاح بيتحرّك في باب الشقة، قمت رجّعت الشريط مكانه تاني، وجهّزت نفسي عشان أخرج لهم بالأخبار.. وقبل ما أقفل عليه باب الدولاب، انتبهت لحقيقة مدهشة، إن ظهوره في الوقت دا بالذات، أثبت لي إن رحلتي مع شريط الكاسيت أكبر ما أنا كنت فاكر بكتير.. رحلة عمرها الحقيقي تلاتين سنة، حتى لو كان شكلهم عشرين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

رس..

إهداء

إشارة

مقدمة..

الوجه الأول

١٩٩٧

١٩٩٨

١٩٩٩

٢٠٠٠

٢٠٠١

٢٠٠٢

٢٠٠٣

٢٠٠٤

٢٠٠٥

٢٠٠٦

٢٠٠٧

٢٠٠٨

٢٠٠٩

٢٠١٠

٢٠١٢

٢٠١٣

٢٠١٥

٢٠١٦